الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف(مقاربة في ضوء لسانيات النص)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصّص: اللسانيات التطبيقية

من إعـداد الطالب:

مصطفاوي جلال

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د.العرابي لخضر

أعضاء لجنـــة المناقشـــــة:

أ.د.مرتاض عبد الجليل	أستاذ التعليم العالي	(جامعة تلمسان)	رئيسًا
أ.د.العـرابي لخضــــر	أستاذ التعليم العالي	(جامعة تلمسان)	مشرفًا
أ.د.عبـــاس محمـــــد	أستاذ التعليم العالي	(جامعة تلمسان)	عضوًا
أ.د.عـــزوز أحمـــــد	أستاذ التعليم العالي	(جامعة وهران)	عضوًا
أ.د.جلايـلـي أحمـــــد	أستاذ التعليم العالي	(المركز الجامعي النعـامة)	عضوًا
د.زروقي عبد القــادر	أستاذ محاضر قسم"أ"	(جامعة تيارت)	عضوًا

مــقــدمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،وبعد

فإن القراءة التفكيكية المحكمة(الهدم و البناء) للنتاج المعرفي الإنساني،الجوهر الأساس في توليد التحديّات الخلّاقة، وإفراز الوجوه المبتكرة للحضارة الإنسانية، في كافة الحقول المعرفية. ففي مجال البحث اللغوي على سبيل المثال، تتجلى تجربة القراءة البنّاءة في شخص العالم اللغوي السويسري فردينان دي سوسير(F.De saussure) الذي اقترح أنموذجا جديدا، في سبيل تشخيص الظاهرة اللغوية و وصفها ، أنموذجا يشكّل شبه قطيعة مع الدراسات اللغوية القديمة(النحو التقليدي-الدراسات المقارنة-الفيلولوجيا...)، لأنه يدرس اللغة وفق منهج علمي، قوامه التركيز على اللغة المنطوقة بدلاً من اللغة المكتوبة ، و التزامن بدلاً من التعاقب، و المحايثة بدلاً من ربط اللغة بالدوائر المعرفية المختلفة التي تكتنفها، و التركيز على العلاقات النسقية بدلاً من المرجعيات المادية، فاللغة-من هذا المنظور-صورة وشكل وليست مادة أو جوهرا. ثم إن النحو التوليدي قد قام على أساس انتقاد غاية اللسانيات البنيوية ، فالعالم الأمريكي "نوام شومسكيN.Chomsky"يرى بأن اللسانيات البنيوية و إن كانت تتمتع بطابع العلمية إلا أن آفاقها ضيّقة و محدودة، فلا يكفي أبدا –في عرفه-أن نصف الظاهرة اللغوية ، بل علينا أن نعلّل القدرة الإبداعية والإنتاجية التي تخوّل لنا إنتاج و توليد الجمل اللامتناهية في لغة بعينها. و موقف التداوليين يعضد ما نرمي إليه من أن المعرفة اللغوية أو أيّة حقيقة، ذات طابع حيوي ديناميكي و ليست ثبوتية استاتيكية ... فقد تحوّل موضوع البحث مع التداوليين من اللغة إلى الكلام،وتمّ التركيز على القصد بدلاً من المعنى ،وأصبح ينظر إلى اللغة في علاقاتها بمستخدميها و بالسياقات المختلفة التي أنتجت في خضمّها.ولنا أن نتساءل الآن:ما هو موقف علماء لسانيات النص(أو نحو النص) من أنموذج دي

سوسير(=لسانيات الجملة) ؟هل تعتبر لسانيات النص امتدادًا للسانيات الجملة و الاختلاف بينهما ينحصر في دائرة الكمّ فقط؟أم أنّ بينهما قطيعةً تامةً تتعلّق بالمنهج و الموضوع و الغاية؟ثمّ ما هي المسوّغات العلمية و الموضوعية التي خوّلت للعلماء والباحثين في الدرس اللساني الحديث التحوّل من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص؟.سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نقدم بطاقة تعريفية لكلٍّ من لسانيات الجملة ولسانيات النص،ثمّ نسائل حدود العلاقة بينهما التي تتأرجح بين الاتصال و الانفصال. و سيتمّ التركيز على لسانيات النص،لأنها تمثل المقاربة التي تتبناها الدراسة،وسنعمد إلى مساءلة حدودها ومدى فاعليتها بتطبيق إجراءاتها المنهجيةعلى سورة الكهف. وتعدّ المقاربة اللسانية النصية مقاربة حديثة تقوم على أساس تجاوز لسانيات الجملة،وتهتمّ بتحليل النصوص باعتبارها كليّات متجاوزة للجمل،وذلك بالتركيز على جملة العلائق التي تربط وحداتها الجملية ومقاطعها النصية.هذه العلائق تنحلّ إلى وجهين في ضوء هذا العلم الجديد، وهما:التماسك(وهو ذلك الترابط الحاصل بين الجمل المكوّنة للنص على المستوى السطحي والشكلي وينقسم بدوره إلى تماسك نحوي وآخر معجمي) والانسجام(وهو ذلك الترابط الحاصل بين أفكار النص ومفاهيمه في باطن النص حيث تتحكم فيه علاقات منطقية مثل السببية والمقارنة وغيرها) ولكل منهما أدواته ووسائله،ولا بدّ للملفوظ أن تتجلّى فيه هذه العلائق، لأنّها من أهم معايير النصية.وقد اخترت لهذا البحث عنوان:"تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف(مقاربة في ضوء لسانيات النص)".

وإنّ مقاربة النص في ضوء لسانيات النص قد عرفت اتجاهات متعددة،يمكن تصنيف أهمّها فيما يلي:

1-اتجاه يهتمّ بالجانب النحوي، ومنه أيضا نموذج يُعدّ النص سلسلة من الإضمار،وآخر يهتم بالربط بين الجمل،واتجاه التجزئة النحوية للنص عند (فاينرش).

2-اتجاه يهتمّ بالجانب الدلالي، ومنه نموذج السمات المعجمية بوصفها دلائل على الترابط النصي.

3-اتجاه يهتمّ بالجانب الاتصالي، ومنه نموذج النص النظري لدى(إيزنبرجH.Isenberg) سنة1976.

4-اتجاه يهتمّ بالجانب النفسي.

وغنيٌّ عن البيان أن كلّ اتجاه(على حدة) من هذه الاتجاهات_فيما قبل اتجاه فان ديك على الأقل_غير كاف لفهم النص،لأن النص متشعّب الجوانب،ولعلّ عدم صلاحية الاتجاه الواحد منها للتوصّل إلى الفهم الحقيقي والشامل للنص يعود إلى أن كل اتجاه منها نظر إلى النص من ناحية أو من ناحيتين،فلم يستوعب جميع جوانبه.

وقد ارتأيت أن أتخذ في دراستي هذه منهجا يشمل عددا من الجوانب،وهي الجانب النحوي، والجانب المعجمي، والجانب الدلالي، بما في ذلك سياق الحال،والجانب التداولي الذي نربط بموجبه بين البنية الداخلية للنص والعالم المرجعي الخارجي،وينبغي أن تكون هذه الاتجاهات أو الوسائل متضافرة لا متنافرة،ومتقارضة لا متعارضة،بمعنى أنه إذا بدئ باتجاه منها أدّت إلى النتيجة التي يؤدي إليها البدء من اتجاه آخر.

وما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو إيماني بأن النص يحتاج إلى منهج كلي يلمّ أشتاته،وبهذا المفهوم يتجاوز النص كل حدود المعيارية لنحو الجملة أو دلالتها أو بلاغتها،كما أنه يتجاوز كل عادات القراءة التقليدية،وطرق التحليل النحوي المعروفة التي خدمت اللغة قرونا طويلة،وما زالت،هذا النص المنجز الذي لا يتمّ تحليله نحويّا إلاّ عن طريق مراعاة التفاعل والترابط بين جسد النص بأجزائه من ناحية،ومدلولاته من ناحية أخرى،وكذلك من خلال مراعاة المقام الذي يشغل جزءا بنّاء في التحليل اللساني النصي.ولقلة الأبحاث اللسانية النصية التطبيقية في المكتبة العربية،وللحاجة الماسة للتعريف بهذا المنهج،أحاول من خلال هذا البحث أن أحلّل سورة الكهف تحليلا نصيّا معاصرا،بالإجابة عن بعض التساؤلات الأساسية:

ما طبيعة هذه التحليل الذي يقوم على لسانيات النص؟وما هي أهدافه؟وكيف يمكن تحليل النصوص من خلاله؟وما هو الجديد الذي أسهم به دون غيره من الاتجاهات اللسانية السابقة؟وهل له جذور في التراث العربي؟وغيرها من الأسئلة التي دفعت فضولي المعرفي إلى محاولة الإجابة عنها.ثم إنّ انتقاء"سورة الكهف" راجع إلى وحدة

الموضوع،ولأن العنصر الغالب فيها هو القصص،فقد احتوت على خمس قصص،تفرض الدراسة وجود خيط دلالي يجمع بينها.

وارتكز منهج الدراسة على الوصف والتحليل،تجلّى الأول في عرض معطيات الأنموذج اللساني النصي،بالتركيز على خصوصياته وإجراءاته في التعامل مع النصوص،أما الثاني فتمثّل في الإجراء الذي كان مسرحه نصا قرآنّيا عظيما وهو سورة الكهف.

ويقع البحث في ثلاثة فصول مسبوقة بمدخل،وكان الحديث في المدخل حول تحديد الإطار المعرفي الذي تنتمي إليه المقاربة اللسانية النصية،والمتمثل في الاتجاه التواصلي في دراسة اللغة ،أي دراسة اللغة أثناء الاستعمال،كما تطرقنا أيضا إلى بعض الإشارات النصية التي توزعت في التراث البلاغي الغربي والعربي،مع الإشارة إلى أن الإشارات أو التلميحات لا تعني الأنموذج العلمي الذي يبنى على نسق من الإجراءات المنطقية والمنظمة.

أما الفصل الأول فكان بعنوان:لسانيات النص(قراءة في الأنموذج والمفاهيم)وهو عرض تنظيري للسانيات النص ألقى الضوء على مفاهيمها الأساسية ونشأتها،واتجاهات البحث فيها ومنهجها وأهميتها في البحث اللغوي الحديث.كما ناقش أيضا مسألة العلاقة القائمة ما بين لسانيات الجملة ولسانيات النص،هل هي قطيعة تامّة أم امتداد لها؟

أما الفصل الثاني فعنونته بـــــ"تماسك النص في سورة الكهف"وهو فصل إجرائي يهدف إلى بيان صور التماسك النصي المتعددة في سورة الكهف،وقد مهّدت له بالحديث عن مفهوم التماسك لغة واصطلاحا،وقيمته،وبيّنت أدواته وأنواعه.وبعد ذلك حاولت أن أتبين التماسك عمليا وإجرائيا من خلال السورة الكريمة.

أما الفصل الثالث والموسوم بـــــ"انسجام النص في سورة الكهف"فهو فصل إجرائي أيضا ،وقد بدأته بالحديث عن مفهوم الانسجام لغة واصطلاحا،ثم تعرضت لأنواعه وأهميته،وقدّمت تعريفا لعلاقاته الكثيرة.ثم بعد ذلك حاولت تبيّن مواطن الانسجام في السورة الكريمة،وذلك من خلال تحليل العلاقات الدلالية الموجودة في سورة الكهف،واستثمار رؤية(فاينرش)التي تقوم على أساس تجزئة النص إلى وحدات دلالية تقوم بينها علاقات أفقية ورأسية في سبيل الوصول إلى الدلالة الكلية للنص.

وفي ختام البحث لخّصت أهمّ النتائج التي تحصّلت عليها من جراء تطبيق المنهج النصي على تحليل سورة الكهف.

وقد حاولت توظيف كل ما يمكن توظيفه من المعطيات النظرية العربية القديمة والوافدة الحديثة والمعلومات المتوفرة من العالم الخارجي للنص، وكذا الإشارات اللغوية والبلاغية والمعلومات الإحصائية...من أجل فهم النص من جهة وخدمة أهداف البحث من جهة أخرى.

وأودّ أن أنوّه ببعض المراجع الهامة التي كانت لي سندا ومعينا ،وأهمها:كتاب اتساق النص في سورة الكهف للأستاذ الدكتور فريد عوض حيدر،حيث رسم معالم منهج متكامل يجمع بين عدة جوانب نصيّة إلاّ أنّه لم يدرس السورة كاملة وإنّما درس منها قصتين فقط وهما:قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين.كما أنني قد وجدت في التفاسير القديمة توجيهات نصية كثيرة جعلت التحليل يسيرا،أهمها:روح المعاني للألوسي،والكشاف للزمخشري،وجامع البيان للطبري،والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة.

وفي الأخير يقتضيني الوفاء والإنصاف أن أؤدي واجب الشكر والتقدير لأستاذي القدير الدكتور "العرابي لخضر" الذي شرّف هذا العمل المتواضع بالإشراف عليه،وقد وجّهني توجيه العالم لتلميذه وساندني مساندة الأب

لابنه...وقد زوّدني بمراجع قيّمة ونادرة،ما كنت لأتمّ هذا البحث من دونها..ولا يفوتني أن أشكر السادة الأعزاء أعضاء اللجنة العلمية على قبولهم مناقشة هذا البحث.

وختاما فإني لا أدّعي لهذه الدراسة كمالا،فالنقص من سمات البشر،والكمال لله وحده،وحسبي أنّي أخلصت الجهد،وما توفيقي إلاّ بالله العلي القدير.

جلال مصطفاوي

31أوت2013

صبرة-تلمسان

المدخل

(تحديد الإطار المعرفي للمقاربة اللسانية النصّيّة)

تكتسي اللغة أهمية بالغة في الحياة الإنسانية،لصلتها الوثيقة بالفكر والأفكار،فلا يمكن للإنسان أن يفكر لحظة واحدة خارج دائرة اللغة،ولا بدّ للإنسان أن يتواصل مع غيره ليعبر عن تجاربه ومقاصده وتفاعله مع الحياة وليبني علاقاته الاجتماعية الضرورية،ولا يتمّ هذا التواصل إلا باللغة الوسيلة الجوهرية التي تتكفل بحمل الوعي والفكر،بل إنّ اللغة هي التي تمنح العالم الوجود(اللغة بيت أو سكنى الوجود كما يقول"هيدجر").كما أن اللغة تشغل حيّزا بارزا في كافة الحقول المعرفية على اختلاف مشاربها وتعدّد غاياتها.ولّما كانت للغة هذه المكانة العظيمة فقد حظيت باهتمام الدارسين منذ القديم،ويصنّف المؤرخون الابستمولوجيون الدراسات اللغوية إلى اتجاهين مختلفين من حيث المنهج والمعطيات الإجرائية،وهما:المقاربة الشكلية للغة(وهي التي تتعامل مع اللغة في سكونيتها وثبوتيتها(ستاتيك)في سبيل معرفة بنائها والنظام الذي تقوم عليه تراكيبها...).والمقاربة التواصلية للغة(وهي التي تُعنى بدراسة اللغة في حيويتها وديناميكيتها ،أي أثناء استعمالها ما بين البشر في سياقاتها المتعددة).

أ-المقاربة الشكلية للغة:

وهي مقاربة قوامها التركيز على الموضوع(اللغة)في حد ذاته بمعزل عن الظروف السياقية التي ساهمت في تشكيله(المتكلم،المتلقي،الزمان،المكان،السياق الاجتماعي والثقافي...)بهدف وصفه والتقعيد لنظامه الداخلي،ويمكن أن ندرج النحو العربي في طور بنائه ضمن هذا الاتجاه"خصوصا في مرحلة التأسيس لدى(سيبوية)مثلا،فكانت أحكامه معيارية،يتضح ذلك فيما أشار إليه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة إذ فرّق بين صحة التركيب النحوي في الجملة وقبول دلالتها اللغوية،فقسّمها إلى مستقيم حسن،ومحال،ومستقيم كذب،ومستقيم قبيح،وما هو محال كذب(...)كما تتجسّد في النحو العربي صفة الصرامة المنطقية وذلك في اعتماده على التقدير،وتصنيف

التراكيب إلى الواجب والجائز وغير الجائز وبوصف ما يخرج عن القواعد المتعارف عليها بأنه شاذ لا يقاس عليه،أوبتأويله تأويلا قد يصل لدرجة التعسّف والتزيّد في النص أو تسويغه على أنه من باب الضرورة الشعرية"[1].

فقد كان عمل النحاة العرب منصبا على اللغة في علاقات أجزائها المكوّنة لها بعيدا عمّا هو خارج عنها،لذلك كانت مقاربتهم شكلية"ولقد اختار النحاة العرب للنحو العربي أن يكون على مستوى علاقات الكلمات(...)وكذلك كشف النحاة العرب عن علاقات خاصة بين الكلمات في داخل أجزاء الجملة ومن ذلك ما يلي:

أ-علاقة الظرف والجار والمجرور بمتعلقهما

ب-علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به

ج-العلاقة بين التابع والمتبوع

د-العلاقة بين المضاف والمضاف إليه

ه-علاقة التلازم بين الموصول وصلته

و-العلاقة بين الحال وصاحب الحال

ز-العلاقة بين المتلازمين أيّا كانا(حرف الجر ومجروره،حرف العطف ومعطوفه)

ح-العلاقة بين الجملة الكبرى والجملة الصغرى

ط-العلاقة بين المبهم وتمييزه

ى-الفعل اللازم وحرف الجر المناسب له"[2]

---

[1]-عبد الهادي بن ظافر الشهري-استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)-دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-لبنان-ط01-2004-ص05

[2]-تمام حسان-مقالات في اللغة والأدب-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ط01-2006-ج01-ص(223-224)

وفي الدراسات اللغوية الغربية،يعدّ التيار البنيوي أهم ّممثّل للنزعة الشكلية في مقاربة اللغة حيث"يُعنى بدراسة المنجز في صورته الآنية بغض النظر عن السياق الذي أنتج فيه،أو علاقته بالمرسل وقصده بإنتاجه،ويتم ذلك بتحليل مستويات لغة بعينها مثل اللغة العربية بوصفها كيانا مستقلا،ذات بنية كلية،وإيجاد العلاقة بين هذه المستويات بدءا من تحليل الأصوات والصرف والتراكيب إلى تحليل مستوى الدلالة،وغني عن القول إن هذا النموذج من التحليل لا يولي الكلام الفردي عنايته"[1].

ويرى البنيويون بأنّ حقيقة المواضيع أو الأشياء لا تُستقى من خارج الموضوع، بل من داخله،في العلاقات العضوية الرابطة بين الأجزاء المكوّنة للموضوع.فاللغة نسق عضوي من العلامات اللسانية تقوم بينها علاقات وطيدة تحكمها قواعد صارمة.وإن التعبير العلمي عن هذه العلاقات هو وصف لبنية اللغة،وهي الغاية التي يسعى البنيوي إلى تحقيقها.ثم إن النحو التوليدي التحويلي يندرج أيضا ضمن المقاربة الشكلية،وهو النحو الذي نادى به عالم اللغة الأمريكي(نوام تشومسكي)الذي وقف موقفا نقديا من بنيوية(دي سوسير)ومن جاء بعده،فهي وإن كانت ذات نزعة علمية إلا أنها_في رأيه_وقفت عند حدّ وصف الظاهرة اللغوية،وهو يرى أن علينا أن نعلّل القدرة الإبداعية في تحقيق المنجزات اللغوية"ويرجع النحو التوليدي بالدرس اللغوي من ملاحظة الظواهر ووصفها إلى محاولة تفسيرها ووضع النظرية،ليعصم اللغة من سكونها ويمنحها طابعها الإبداعي الخلّاق،ولذلك يعتمد في تقعيده وتمثيله على المنطق والرياضيات،ليضفي على اللغة الصبغة العلمية المنضبطة متخذا من الجملة أساسا في التحليل.ويفترض أن الإنسان ينتج كلامه وفقا لهذه القواعد الصورية ممّا اقتضى البحث في إيجاد العلاقة بين العقل واللغة،والعناية بالمكوّن البيولوجي لها،والتعامل معه مثل أي مكون بيولوجي آخر،بوصفه العضو الذي يسمح

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري-استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)-ص07

للإنسان بإنتاج وتفسير عدد لا محدود من الجمل التي لم يسبق أن سمعها من قبل،وبوصف اللغة أهم خصائصه،وهذا ما جعل المنهج التوليدي يعيب على المناهج البنيوية التوقف عند أشكال اللغة المنجزة"[1]

ب-المقاربة التواصلية للغة:

وهي المقاربة التي تدرس اللغة من حيث ديناميكيتها، أي باعتبارها مستعملة في التواصل ضمن إطاره الاجتماعي،الأمر الذي يفرز ضرورة العناية بالسياق الذي يحتضن التلفظ بالخطاب اللغوي"بدءا من تحديده بمعرفة عناصره ودور كل عنصر منها في تشكيل الخطاب وتأويله،وكذلك دراسة افتراضات المرسل عند إنتاج خطابه ووسائله وأهدافه ومقاصده،أو التنبؤ بها،ومعرفة أنواع السياق مثل السياق النفسي والاجتماعي،وإدراك تأثير كل منها على توليد الخطاب"[2].

وفي التراث اللغوي العربي نجد اهتماما بهذا الاتجاه،فقد كان السماع من أهم مصادر تقنين اللغة وجمعها عند الكوفيين،كما أن النحاة في تعاملهم مع الجملة(اتجاه الإفادة)يشترطون حصول الفائدة(يحسن السكوت عليه)والإفادة فكرة أو معنى يستلزم التسليم بأن اللغة لا تكون إلا في شكل منطوق في سياق تواصلي اجتماعي.وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاتجاه التواصلي يتجلى بوضوح أكبر في الدراسات البلاغية العربية التي ركّزت على دراسة اللغة بربطها بالسياقات التي تكتنفها(فكرة مقتضى الحال–نظرية النظم–علم المعاني...)"..ولم يقتصر الاهتمام بدراسة اللغة في السياق على العلوم اللغوية البحتة،بل تجاوز ذلك إلى علوم أخرى،إذ كانت اللغة،وفق هذا الاتجاه هي أساس الدراسة عند تفسير القرآن بربط الآيات بأسباب النزول،وكذلك في علمي الفقه وأصوله"[3]

---

[1]-المرجع نفسه-ص08
[2]-المرجع نفسه-ص09
[3]-المرجع نفسه-ص07

أما في الدراسات الغربية فقد تجلّى الاتجاه التواصلي في مناهج متعددة أهمها:المنهج التداولي-النحو الوظيفي-تحليل الخطاب-لسانيات النص وغيرها.وإذا كان الاتجاه الشكلي(البنيوي والتوليدي)يركّز على اللغة كنظام معزول عمّا هو خارج عنه،أي في بعديه التركيبي والدلالي..وإذا كانت التداولية اتجاه تواصلي يهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال وبيان الأفعال الكلامية وتصنيفها والعلاقة القائمة بين العلامات اللسانية ومستعمليها(المتكلم والمتلقي)من أجل السيطرة على المقاصد الحيوية للخطاب،فإن لسانيات النص(في نماذجها المتقدمة:(فان ديك Van Dijk-دي بوجراندR.De Beaugrande)تدمج الرؤيتين معاً،فالدراسة النصيّة_في نظر دي بوجراند(De Beaugrande)_تتطلّب ثالوثا من الاتجاهات،وهي:

"النحو:الترابط الرصفي

الدلالة:الترابط المفهومي

التداولية:أعمال-خطط-أغراض)"[1]

فقد شدّد دي بوجراند(De Beaugrande) على أن نظرية استعمال اللغة يتوجب عليها أن تقوم على أساس مفهوم الترابط حيث عدّه من دواعي الكفاءة النصية أو المعيار الأهم في نصية النص كما قال بذلك هو وزميله "درسلر(Dressler)".

إذاً، فلسانيات النص(علم لغة النص) اتجاه علمي لغوي بكر،يُعنى بدراسة النص في كليته مع مراعاة بعده الاتصالي والتركيز على دور السياقات المحيطة به،وتقوم منهجيته في التحليل على أساس تجاوز لسانيات الجملة(نحو الجملة)التي تقف عند حدود الجملة كموضوع.إلا أنّ مسار التكوّن التاريخي لهذا العلم يكشف عن وجود محاولات عديدة ضاربة في أعماق التاريخ تهدف إلى وصف ظواهر نصية مفردة،وتتجلى هذه المحاولات بشكل

[1]-دي بوجراند-النص والخطاب والإجراء-ت:تمام حسان-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ط01- -ص86

خاص في علم البلاغة الغربية الكلاسيكية(فن الخطابة عموما)وعلم البلاغة الغربية الكلاسيكية المدرسية(فن المرافعة الخاصة أمام المحاكم)وعلم البلاغة العربية،فقد اهتم البلاغيون منذ القدم بدراسة بعض المظاهر الخطابية انطلاقا من وعيهم بتماسك الخطاب وارتباط أجزائه،الأمر الذي أدّى إلى السموّ بالخطاب إلى مستوى التعبير القادر على احتواء المتلقي والتأثير في وجدانه ،وإقناع عقله.لكن هل معنى هذا الكلام أن مضامين لسانيات النص قديمة تلبس ثوبا جديدا؟ثمّ ما الذي سوّغ للباحثين العرب المحدثين الجمع بين البلاغة العربية ولسانيات النص؟هل يعدّ منهج الدراسة واحدا في كليهما أم أنهما يتفقان في الغاية؟.

يعدّ كل من(أرسطو (384-322ق.م)و(شيشرون (106-43ق.م)و(كوينتيليان(35تقريبا-96م)أهم ممثل للخطابة في الغرب.وقد ارتبط مفهوم الخطابة أو الريطورية ارتباطا وثيقا بغايتها التي تتمثل في الإقناع.فالريطورية _حسب الترجمة العربية القديمة_"قوة تتكلّف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[1].وفي تعريف كوينتيليان:"ترمز البلاغة منذ القدم إلى أنها فن الخطاب الجيد"ars bene dicendi وقد عرف الوصف"جيد" تفسيرات متعددة بتعدد الاتجاهات البلاغية فهو يتطلب أن يتمتع الخطيب بأخلاق تخوّل له التأثير في الجمهور وأن يناسب خطابه المقام وأن يكون جميلا لغويا وأن يحقق مقصده الأساس وهو التأثير في المستمعين.وتكشف محاورات أفلاطون(جورجياس-فيدر)عن المكانة العظيمة التي كانت تحظى بها الخطابة في المجتمع اليوناني القديم"وهي مكانة كانت تؤهلها لمنافسة الفلسفة بل حاولت نفيها من مجال الحياة والسياسة وقد تصدّى سقراط لهذه النزعة التي استفحلت عند السوفسطائيين."[2]وهي بحق تستحق هذه المكانة بالنظر إلى فعاليتها المتميزة في الحياة اليونانية القائمة على النظام الديمقراطي الذي يعدّ المناخ المناسب لأساليب الإقناع.

[1]-أرسطو-الخطابة-الترجمة العربية القديمة-تحقيق وتعليق:عبد الرحمن بدوي-وزارة الثقافة والإرشاد القومي-القاهرة-مصر-1959-ص09
[2]-محمد العمري-في بلاغة الخطاب الإقناعي-دار إفريقيا الشرق-الدار البيضاء-المغرب-ط02-2002-ص14

لقد صنّف(أرسطو)الخطابة باعتبار المخاطبين إلى أنواع وهي:

أ-الخطابة القضائية:ويكون المخاطب فيها قاضيا يُنتظر منه أن يصدر حكما وقع في الماضي

ب-الخطابة الاستشارية:يكون المخاطب فيها عضوا في جمعية يشاوره الخطيب في القضايا السياسية المستقبلية

ج-الخطابة المحفلية:وهي التي تُلقى في المحافل العامة على جمهور مختلط من الناس .

وقد اقترح(أرسطو)_بناءً على المقامات الثلاثة وأنماط المخاطبين_وسائل إقناع تناسب كل صنف من أصناف الخطابة.وكان لزاما على الخطيب-في أنموذج أرسطو-أن يتبع خطوات أو إجراءات محددة في إنتاج نصه في سبيل تحقيق الوظيفة الإقناعية،إجراءات تتسم بالانتظام والدقة،فالخطيب يهدف إلى إقناع المخاطب بقضيته التي يدافع عنها.وقد لخصها(رولان بارتRolan Barthes)في قراءته المحكمة للبلاغة القديمة في خمسة ،وهي:

1-الابتكار أو الإيجاد:العثور على الأفكار المناسبة للموقف والملائمة للمرافعة.

2-الترتيب أو التنظيم:التقسيم المنطقي للمرافعة إلى فقرات:

-الافتتاح(الموجز/الديباجة):مقدمة يُثار فيها اهتمام المستمع.

-العرض:وهو جوهر الخطاب،يتمّ فيه عرض الموضوع.

-الحجاج:توضيح الأدلة والحجج التي تؤيّد وجهة نظر الخطيب،وبيان الأدلة المضادة.

-الختام:يؤكّد الخطيب فيه على ما برهن عليه ويطلب فيه من القاضي أن يصدر حكما لصالح الموكل.

3-الصياغة الأسلوبية(العبارة):تحويل الأفكار المختارة إلى أشكال تعبيرية.

4-التذكّر(الذاكرة):استظهار الخطاب من أجل حفظه واسترجاعه.

5-الأداء أو الإلقاء:وهو مسرحة القول أي الإلقاء الحيوي للخطاب بمصاحبة حركات يدوية ونطق سليم مطابق للمعايير.[1]

وصفوة القول:إن البلاغة الكلاسيكية عند اليونان كادت تكون السابقة التاريخية لما يُعرف اليوم بلسانيات النص،وذلك من خلال:

أ-العناية بالمقام:ويتجلى ذلك بوضوح في تركيز اهتمامها على متلقي النص،من حيث طبقته الاجتماعية وسنه وغير ذلك(تقسيم الخطابة إلى أضرب).

ب-العناية بالنص وترتيبه:توفر لنا البلاغة قواعد إنتاج نصوص تحتكم إلى الانسجام والمنطقية(مراحل إنتاج النص).

ج-ثمّ إن **تحقيق غاية الإقناع** يتطلب،بل يفرض على الخطيب التزام استراتيجية معينة جوهرها التركيز على النص والمتلقي وتجاوز كل ما هو جزئي.

يقول جميل عبد المجيد:"..رأى(فان ديك""Van Dijk)أنه يمكن أن نعد البلاغة السابقة التاريخية لعلم النص،لكن اختزال بلاغة أرسطو(الخطابة)في مراحل زمنية تالية-حين انحصرت في العملية الثالثة(العبارة)،بحيث أصبح مفهوم هذه البلاغة منصبا على وجوه الزخرفة،جعل (فان ديك) يستبعد البلاغة بمفهومها الأخير الضيق ليُؤثر عليها علم النص ذا المفهوم الأوسع."[2]

لقد تأثر اللغويون العرب في العصر الحديث بعلم لغة النص أو لسانيات النص،وقد أفرز هذا التأثر دراسات وأبحاثا كثيرة تؤسّس لهذا العلم وتحكّم آليات عمله،وتطبّق إجراءاته الوصفية والتحليلية على النتاج اللغوي العربي،وما يشدّ الانتباه أننا نجد في مضامينها اتفاقا على أن البديع العربي قد تضمن دراسة ظواهر عديدة

[1]-ينظر: قراءة جديدة للبلاغة القديمة-ت:عمر أوكان-رؤية للنشر والتوزيع-القاهرة-مصر-ط01-2011-ص(46-47)
[2]-علم النص(أسسه المعرفية وتجلياته النقدية)-مجلة عالم الفكر-الكويت-مج32-ع02-أكتوبر،ديسمبر-2003-ص143

أهمها التكرار والمطابقة ذات صلة وثيقة بلسانيات النص.ذلك أن التماسك المعجمي يرتكز أساسا على آليتين وهما:التكرار والمصاحبة المعجمية.

ومن هنا يشير (جميل عبد المجيد)إلى فروق أساسية ما بين معالجة البلاغيين العرب ومعالجة اللسانيين النصيين لظاهرة التكرار،بعد أن قام بعرض المعطيات المعرفية الخاصة بالظاهرة في المقاربتين،بقوله:"...ثمة مفارقات بين البلاغيين العرب وعلماء لغة النص في معالجة ظاهرة التكرار،نجملها فيما يلي:

الأولى:معالجة هذه الظاهرة_عند البلاغيين العرب_من منظور بلاغي صرف،ومن ثم كان التركيز على الكلام الأدبي والشعري خاصة،وكذلك القرآن الكريم من حيث إعجازه البلاغي.بينما عولجت الظاهرة_عند علماء لغة النص_من منظور لساني صرف،ومن ثم شملت النصوص بمختلف أنواعها،على أن منهم من حاول كشف نحو النص الأدبي/الشعري،مثل (فان ديك).

الثانية:عدم الاقتصار في هذه المعالجة_عند علماء لغة النص_على مستوى الجملة،بل تجاوز هذا المستوى إلى الجمل والفقرة والنص بتمامه.بينما ركّزت المعالجة_عند البلاغيين العرب_أكثر ما ركّزت وخاصة في مرحلة التقعيد على الجملة أو البيت وإن جاءت عندهم أحيانا شواهد تجاوزت هذا المستوى.

الثالثة:وقف علماء لغة النص على أربع درجات للتكرار،وهم في هذا أفادوا من الدراسات اللغوية والدلالية المعاصرة،بينما وقف البلاغيون العرب على درجتين فقط(إعادة العنصر المعجمي،والترادف أو شبه الترادف)لكن في الشواهد التي أوردها البلاغيون العرب وتعليقات بعضهم عليها ما يفيد رصد الدرجة الثالثة في سلم التكرار(الاسم الشامل)وإن لم يصطلحوا على تسميتها،كما أن عندهم رصدا دقيقا وشاملا لأنماط عديدة من إعادة العنصر المعجمي،وقد خصّوا كل نمط بمصطلح خاص وعدّوه فنا برأسه من فنون البديع،وربما يرجع ذلك إلى التنافس فيما بينهم على رصد نوع أو فرع جديد من البديع.

الرابعة: سيطرت الغاية التقعيدية التعليمية على البلاغة العربية،بينما سيطرت على علماء لغة النص الغاية الوصفية التشخيصية.

وكان من نتائج هذه المفارقات،كشف البلاغيين العرب عن جانب أو جوانب دور هذه الظاهرة في أدبية الكلام وشعريته على مستوى الجملة أو البيت غالبا،بينما كشف علماء لغة النص عن دور هذه الظاهرة في السبك،والذي هو عندهم من أهم عوامل النصية."[1]

والمطابقة من فنون البديع العربي تقوم أساسا على ما يعرف بالمصاحبة المعجمية أو التضام،حيث تتجلى فيها العلاقات المتعددة والمختلفة بين زوج أو أكثر من الألفاظ،وتنحلّ إلى ثلاثة أنواع وهي:مطابقة الإيجاب ومطابقة السلب وإيهام التضاد،وتهدف إلى بيان المعنى وتوضيحه،فهي من محسنات البديع المعنوية،فالضدّ يحيل إلى ضده في الجملة أو البيت،يقول الشاعر في وصف الملكة الحسناء(من قصيدة اليتيمة):

فالوجه مثل الصبح مبيّض والشعر مثل الليل مسود

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد[2]

ولمّا كانت المطابقة علاقة قائمة بين العناصر الواردة في القول أو البيت الشعري فإنها تشكّل مظهرا من مظاهر الترابط المعجمي داخل الجملة في أغلب الأحيان."....إلا أن هذا الواقع لا ينبغي أن ينسينا أن علاقة المنافرة يمكن أن تساهم كآلة في نسج الخطاب...وقد اجتهد البلاغيون في رصد الأبيات المنظومة المعتمدة على علاقة المطابقة ولكنهم لم يتبعوا المطابقة كآلية معجمية مساهمة في اتساق الخطاب(القصيدة)،ولعل عذرهم في ذلك هو أنهم يصفون الأساليب البلاغية المختلفة التي تضفي على الاستعمال رونقا وجمالا"[3].

---

[1]-البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية-الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة-مصر-ط01-1998-ص85-86

[2]-نقلا عن:العكبري-شرح التبيان على ديوان المتنبي-طبعة مصر-1870-ج01-ص23

[3]-محمد خطابي-لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)-المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء-المغرب-ط02-2006-ص132

انطلاقًا مما سبق بيانه،خلصتُ إلى فكرة مفادها أن الإطار المعرفي الذي يحتضن ما يُعرف بالمقاربة اللسانية النصية،هو الاتجاه التواصلي في دراسة اللغة،أي أن لسانيات النص لا يُؤخذ معناها من اسمها،فهذا الأخير يحصرها في البحث في لغة النص فقط،أي في البنى النصية وكيفية تراتبها وتآلفها،وقد يترجم مصطلح لسانيات النص إلى "علم لغة النص".وفي الحقيقة فإن لسانيات النص في بدايتها(فرضية التوسيع)،كانت تُعنى بسطح النص وشكله اللغوي،أي أنها كانت تهتمّ بنظام اللغة وبنيتها فقط،مزوّدة بخلفية نظرية قوامها أنه من الممكن استثمار قواعد الجملة(نحو الجملة) في تحليل النص،ما دام النص عبارة عن سلسلة من الجمل المترابطة،فكأنهم يقولون بأن النص هو الجملة،فهما يتقاطعان في خصائص عديدة،مثل الطابع البنيوي والصياغة الزمنية،وأنهما لانهائيان من حيث الكمّ في أيّ لغة من اللغات...لكن مع تطوّر الأبحاث في لسانيات النص،تجاوز العلماء لغة النص كنظام،وعمدوا إلى ربطها بالاستعمال،على اعتبار أن المعاني ليست متأصّلة في الوحدات اللغوية،بل تتلبّس بمستخدميها والسياقات التي أُنتجت في خضمّها،فتحوّل اهتمام اللسانيين النصيين من لغة النص إلى البعد الدلالي للنص(العلاقة بين اللغة والمرجع)والبعد التداولي(العلاقة بين اللغة والمستخدمين أو المؤوّلين)،فالغاية التي يسعى إلى تحقيقها هذا العلم هي بيان كيف يتمّ الاتصال من خلال النصوص.

أمّا الفكرة الأساسية الثانية فتتمثل في العلاقة بين الإشارات النصية المبثوثة في التراث العربي والغربي وهذا العلم حديث النشأة،فنحن نجد الكثير من الباحثين يردّ هذا العلم إلى تاريخ سابق ضارب في أعماق الماضي،فما هو إلا علم قديم قُدّم بشكل جديد منظم.

إنّ المراجعة الموضوعية لهذا الحكم تجعلني أُسلّم بأن تراثنا العربي والتراث الغربي تضمّن أفكارا لها علاقة وثيقة باللسانيات النصية،لكنّها تظلّ مجرد إشارات،ومطابقة الإشارات النصية بالعلم الجديد مظهرٌ من مظاهر التعصّب للتراث-في رأيي-لأن الأنموذج(Paradigme) نسقٌ من الإجراءات المنظمة بإحكام بالغ،له موضوع

محدّد،ومنهج محدّد،وغاية يبغي الوصول إليها.فكلّ علم تحكمه محدّدات تميّزه عن غيره من العلوم،وهي التاريخ(على اعتبار أن المعرفة تراكمية ولا تنبثق من فراغ)،والموضوع(النص في الأنموذج اللساني النصي مثلا)،والمنهج(التركيبي مثلا)،والغاية(تحقيق الاتصال).وهذه المحدّدات ليست تنظيما لمعطيات سابقة فقط،بل هي اجتهاد محمّلٌ بثقافة زمن جديد متطوّر.

الفصل الأول

لسانيات النص

(قراءة في المفاهيم والأنموذج)

تحديد مفاهيمي للنص:

تعتبر آليات القراءة التفكيكية المحكمة(الهدم و البناء) للنتاج المعرفي الإنساني،الجوهر الأساس في توليد التحديّات الخلّاقة، وإفراز الوجوه المبتكرة للحضارة الإنسانية، في كافة الحقول المعرفية. ففي مجال البحث اللغوي على سبيل المثال، تتجلى تجربة القراءة البنّاءة في شخص العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير(F.De saussure) الذي اقترح أنموذجا جديدا، في سبيل تشخيص الظاهرة اللغوية و وصفها ، أنموذجا يشكّل شبه قطيعة مع الدراسات اللغوية القديمة(النحو التقليدي-الدراسات المقارنة-الفيلولوجيا...)، لأنه يدرس اللغة وفق منهج علمي، قوامه التركيز على اللغة المنطوقة بدلاً من اللغة المكتوبة ، و التزامن بدلاً من التعاقب، و المحايثة بدلاً من ربط اللغة بالدوائر المعرفية المختلفة التي تكتنفها، و التركيز على العلاقات النسقية بدلاً من المرجعيات المادية، فاللغة-من هذا المنظور-صورة و شكل وليست مادة أو جوهرا. ثم إن النحو التوليدي قد قام على أساس انتقاد غاية اللسانيات البنيوية ، فالعالم الأمريكي "نوام شومسكيN.Chomsky"يرى بأن اللسانيات البنيوية و إن كانت تتمتع بطابع العلمية إلا أن آفاقها ضيّقة و محدودة، فلا يكفي أبدا –في عرفه-أن نصف الظاهرة اللغوية ، بل علينا أن نعلّل القدرة الإبداعية و الإنتاجية التي تخوّل لنا إنتاج و توليد الجمل اللامتناهية في لغة بعينها. و موقف التداوليين يعضد ما نرمي إليه من أن المعرفة اللغوية أو أيّة حقيقة، ذات طابع حيوي ديناميكي و ليست ثبوتية استاتيكية ... فقد تحوّل موضوع البحث مع التداوليين من اللغة إلى الكلام،وتمّ التركيز على القصد بدلاً من المعنى ،وأصبح ينظر إلى اللغة في علاقاتها بمستخدميها و بالسياقات المختلفة التي أنتجت في خضمّها.ولنا أن نتساءل الآن:ما هو موقف علماء لسانيات النص(أو نحو النص) من أنموذج دي سوسير(=لسانيات الجملة) ؟هل تعتبر لسانيات النص امتدادًا للسانيات الجملة و الاختلاف بينهما ينحصر في دائرة الكمّ فقط؟أم أنّ بينهما قطيعةً تامةً

تتعلّق بالمنهج و الموضوع و الغاية؟ثمّ ما هي المسوّغات العلمية و الموضوعية التي حوّلت للعلماء والباحثين في الدرس اللساني الحديث التحوّل من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص؟.سنحاول من خلال هذه الفصل أن نقدم بطاقة تعريفية لكلٍّ من لسانيات الجملة ولسانيات النص،ثمّ نسائل حدود العلاقة بينهما التي تتأرجح بين الاتصال و الانفصال. و سيتمّ التركيز على لسانيات النص،لأنها تمثل المقاربة التي تتبناها الدراسة. و لما كان النص هو الموضوع الذي تتمحور حوله الإشكالات والتساؤلات اللسانية النصية،فقد كان لزاما علينا أن نقدم مفاهيمه المتعدّدة،و نبني تصورا حول ماهيته و نعتمد عليه في الدراسة،و سنبدأ بالمعنى اللغوي.

1-مفهوم النص:

أ-لغة:

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175ه) في كتاب العين:"نصّصت الحديث إلى فلان نصا،أي رفعته،قال طرفة بن العبد: و نصّ الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصّه

و المنصّة التي تقعد عليها العروس،و نصّصت الرجل أي استقصيت مسألته عن الشيء،يقال نصّ ما عنده أي استقصاه،و أنصصته أي استمعت له و منه قوله سبحانه و تعالى:﴿و أنصتوا﴾(الأعراف204).و في حديث منسوب لعلي رضي الله عنه"إذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى"،أي إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر،فالعصبة أولى بها من الأم،يريد بذلك الإدراك و الغاية."[1]

وقد ورد في مختار الصحاح في مادة(ن ص ص)ما يلي:"نصّ الشيء رفعه و بابه ردّ و منه منصّة العروس،ونصّ الحديث إلى فلان رفعه إليه و نصّ كل شيء منتهاه."[2]

وقد عرض(ابن منظور) في لسان العرب(مادة نصص) معاني عديدة و هي:

[1]-كتاب العين-تح:مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي-دار و مكتبة هلال-د.ط-د.ت-ج07-ص86-87

[2]-محمد بن أبي بكر الرازي-مختار الصحاح-مكتبة لبنان ناشرون-بيروت-لبنان-د.ط-1993 -ص276

1_الظهور و البيان،حيث يقول:"النص:رفعك الشيء.نصّ الحديث ينصّه نصّا:رفعه.و كل ما أظهر،فقد نصّ.و قال عمرو بن دينار:ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزهري أي أرفع له و أسند.يقال كنصّ الحديث إلى فلان أي رفعه و كذلك نصّصته إليه.و نصّت الظبية جيدها:رفعته.و وضع على المنصة أي على غاية الفضيحة و الشهرة والظهور. و المنصة:ما تظهر عليه العروس لترى."[1]

2_الرفع و التحريك:حيث نجده يقول أيضا:"ونصّ المتاع نصّا،جعل بعضه على بعض،.و نصّ الدابة ينصها نصا:رفعها في السير،و كذلك الناقة.و في الحديث:أن النبي صلى الله عليه و سلم،حين دفع من عرفات سار العنق فإذا وجد فجوة نصّ أي رفع ناقته في السير،و قد نصّصت ناقتي:رفعتها في السير،و سير نصّ و نصيص.و في الحديث:أن أم سلمة قالت لعائشة،رضي الله عنهما:ما كنت قائلة لو أن رسول الله،صلى الله عليه و سلم، عارضـــــــــــك

بعض الفلوات ناصّة قلوصك من منهل إلى آخر؟ أي رافعة لها في السير. قال أبوعبيد:النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها، و أنشد:و تقطع الخرق بسير نص."[2]

3-أمّا المعنى الثالث فهو الشدة و الوصول بالشيء إلى أقصى غايته و ذلك في قوله:"...و أصل النص أقصى الشيء وغايته،ثم سمي به ضرب من السير سريع. قال ابن الأعرابي: النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر، و النص التوفيق،والنص

[1]-ابن منظور-لسان العرب-دار صادر-بيروت-لبنان-ط03ـــمج07 –1994 ص97-98
[2]-المرجع نفسه-ص99

التعيين على شيء ما، و نص الأمر شدته، قال أيوب بن عباثة:

و لا يستوي،عند نصّ الأمور   باذل معروفه و البخيل

....و في الحديث عن علي،رضي الله عنه،قال:إذا بلغ النساء نصّ الحقاق فالعصبة أولى،يعني إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم، يريد بذلك الإدراك و الغاية"[1]

4-و قد وردت لفظة"النص" بمعنى رابع و هو الاستقصاء و البحث عما جهل و يتجلى ذلك في قول ابن منظور: "و نصّ الرجل نصّا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده.و نص كل شيء منتهاه...قال الأزهري:النص أصله منتهى الأشياء و مبلغ أقصاها، و منه قيل:نصّصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده...و روي عن كعب أنه قال:يقول الجبار احذروني فإني لا أناصّ عبدا إلا عذّبته أي لا أستقصي عليه في السؤال و الحساب،و هي مفاعلة منه،إلا عذّبته.و نصص الرجل غريمه إذا استقصى عليه.

و في حديث هرقل:ينصّهم أي يستخرج رأيهم و يظهره، و منه قول الفقهاء:نصّ القرآن و نصّ السنة أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام."[2]

5-و يتمثل المعنى الخامس-من منظور صاحب اللسان-في الاستقامة و الاستواء"و انتصّ الشيء و انتصب إذا استوى و استقام،قال الراجز:فبات منتصّا و ما تكردسا."[3]

وقد عرض (الزبيدي) للمعاني نفسها التي جاء بها اللسان،و لكنّه اختصّ بذكر معان أخرى للنص،يجدر بنا أن نذكرها و ذلك لأهميتها و هي المتمثلة في قوله:

---

[1]-المرجع نفسه-ص100

[2]-المرجع نفسه-ص99

[3]-المرجع نفسه-ص103

أ-"...و النصّ:التوقيف...و النصّ:التعيين على شيء ما و كل ذلك مجاز من النص بمعنى الرفع و الظهور.قلت:و منه أخذ نصّ القرآن و الحديث و هو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره،و قيل:نصّ القرآن و السنة:ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام،و كذا نصّ الفقهاء الذي هو بمعنى الدليل بضرب من المجاز،كما يظهر عند التأمل."[1]

ب-"وتناصّ القوم:ازدحموا،هو مأخوذ من قولهم:نصّ المتاع ينصّه نصّا،إذا جعل بعضه على بعض."[2]

إنّ القراءة المتمعّنة لهذه المعاني اللغوية،بالانفتاح على مفهوم النص بمعناه الاصطلاحي تكشف عن وجود نقاط تقاطع عديدة بين ما ذكره القدماء و ما أسفر عنه التنظير الحديث لعلم النص،فعلى الرغم من أن مؤلفات القدماء لم تحتو على تعريفات مقننة للنص،إلا أن هناك إشارات تدل على أنهم لم يبتعدوا كثيرا في شرحهم لمصطلح النص عمّا هو متداول اليوم في علم النص.فقد قال القدماء بأن القرآن الكريم نص و السنة النبوية أيضا،أي أنهما يتصفان بالخصائص اللغوية التي تشرح النص لغة و منها:

- ✓ النظم و الترتيب المقصود
- ✓ البيان و الظهور
- ✓ الاستقصاء و الظهور و وصوله للهدف المراد تحقيقه.
- ✓ السلامة و الاستقامة حسب معايير معروفة للاستقامة و متفق عليها.
- ✓ التعيين و الدلالة على شيء ما.

1--تاج العروس من جواهر القاموس-دار الفكر-بيروت-لبنان-مادة نصص
2-المرجع نفسه-مادة نصص

وفي هذا الصدد يقول الباحث(عمر أبو خرمة):"لو أنعمنا النظر قليلا في المعنى المعجمي الذي قدّمه اللسان،لوجدنا أمارات تفيد كثيرا في الوصول إلى مراد العربية بالنص."[1]

ومع أن القدماء في حديثهم المعجمي اللغوي عن مادة(النص) ما كانوا يهندسون و يشيّدون لتعريف مقنن للنص...إلا أن اجتهاداتهم و إشاراتهم جعلت بعض الباحثين المحدثين يقاربون بينها وبين المفهوم الاصطلاحي للنص في مجال اللسانيات النصية.

فإذا كانت الخاصية الأساسية و القارة التي يتصف بها النص هي استمراريته التي عزّزتها طبيعته المكتوبة فإننا نجد في كلام عمرو بن دينار ما يشير إلى ذلك في قوله:"ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزّهري أي أرفع له وأسند"فكلمة(أنصّ)يراد بها(أثبت)و النص اليوم ما يتجلى في الكتابة التي تضمن له الثبات و تصونه من النسيان فهي تكسبه صفة الاستمرارية و لا تجعله رهين الذاكرة كما هو الحال في الخطاب الشفاهي.

وفي قول الزبيدي إشارة أخرى لمعيار هام من معايير النصية كما تجلت في البحث اللساني النصي ألا وهي خاصية التماسك حيث يقول:"وتناصّ القوم:ازدحموا،هو مأخوذ من قولهم:نصّ المتاع ينصّه نصّا إذا جعل بعضه على بعض"[2]

ويقول ابن الأعرابي:"النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر".إن هذا القول يعكس خاصية ارتباط النص ببؤرة أو بنية دلالية كبرى(التيمة) حيث إن كل أجزاء النص لا تفهم إلا بالإحالة إلى القضية الكبرى في النص"تصير تيمة النص منطلق الدراسات اللغوية النصية و هدفها،فقد أقيمت علاقة بين وحدات النص الدلالية

---

[1]-نحو النص-عالم الكتب الحديثة-إربد-الأردن ط 01-2004 ص25
[2]-تاج العروس-مادة (نصص)

الفردية في مستويات مختلفة و بين هذه المعلومة الأساس(تيمة النص أو موضوع النص أو ما يسمى الدلالة المركزية للنص)"[1]

فتماسك النص،يتجسد من خلال جذب هذه البنية النصية الكبرى للأجزاء الأخرى"حيث يلاحظ الناظر لأول وهلة أن النص مكون من مجموعة من القضايا و الموضوعات و القصص و الاستشهادات و غيرها التي تبدو منفصلة بعضها عن بعض،و لكن بعد تحديده للقضية الكبرى للنص يمكنه بيسر إدراك العلائق بين هذه الأجزاء."[2]

وعليه فإن ما قيل عن مصطلح النص من الناحية المعجمية من قبل القدماء العرب،يحيل إلى بعض الخصائص النصية في علم النص،لكنه لا يرقى لدرجة التأسيس لأنموذج يحكمه نسق علمي تنظيري...و نسجّل في هذا المقام انتقاد الدكتورة نهلة الأحمد للمشتغلين بمفهوم النص في الدرس اللغوي العربي الحديث إذ تقول:"إن مفهوم النص الذي تشتغل عليه الدراسات العربية الحالية مفهوم أجنبي لمصطلح عرّب خطأ و لم يجد ما يطابقه في اللغة العربية...والذين يقولون بالنص يحصرون معناه بالظهور،و هو عندهم الكتاب و السنة تحديدا،و النص يعني الظهور التام للمعنى و نفي التأويل،و هم بذلك ينفون وجود نص غير الكتاب و السنة،فلماذا نقول النص الأدبي،و النص العلمي و النص القانوني؟إذاً، المصطلح الذي نستخدمه يحيل إلى مفهوم غربي. و الذين يؤوّلون لا يقولون بوجود النص،و في أحسن الحالات يقولون بندرته فكيف يعنونون كتبهم بعنوانات مثل:مفهوم النص،النص و الحقيقة،نقد النص،النص و التأويل،و يقصدون الكتاب و السنة؟أم إنهم يقيمونها على الندرة النادرة؟ فهل هو

---

[1]-فولفجانج هاينه و ديتر فيهفيجر-مدخل إلى علم لغة النص-تر:حسن بحيرى-زهراء الشرق-القاهرة-مصر-ط01-2004ص43

[2]-خليل بن ياسر البطاشي-الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب-دار جرير-عمان-الأردن-ط 01-2009 ص22

اعتراف و عدم اعتراف بوجود النص؟و إلا فما يشتغلون عليه نص و لكنه نص بالمفهوم الغربي(أي نسيج)و هو ما يفهمه الناس اليوم و يحيلون عليه.إذا، لا وجود للنص في الثقافة العربية."[1]

ويعقّب أحد الدارسين على هذا النقد بقوله:"...و الحقيقة أن ما أشارت إليه نهلة الأحمد صحيح فيما يتعلق بأولئك الباحثين المعاصرين في علوم القرآن،و في الخطاب العربي و فلسفته،إذ ينبغي لهم أن يحددوا ماذا يقصدون بالضبط حينما يستعملون كلمة النص،أو كلمة الخطاب.و لكن تقريرها أن الناس يفهمون النص بالمفهوم الغربي ليس صحيحا على إطلاقه،لأن أغلب الناس تفهم اليوم من النص أنه الكلام الحرفي المنسوب إلى منشئه بغض النظر عن معناه،غير أنه يكثر انصرافه إلى الكلام المرتفع عن الكلام العادي أو عن المحادثة خصوصا الكلام الديني أوالأدبي أو العلمي..."[2]

ب-اصطلاحا:

مفهوم النص مفهوم إشكالي،يحمل وجوها عديدة تتحدّد باختلاف الزوايا التي يقارب الباحثون من خلالها ماهيته،فمنهم من اعتمد على المدخل النحوي،و منهم من ارتكز على الزاوية الدلالية،و منهم من عمد إلى الناحية الاتصالية التداولية و آخرون نظّروا للنص وفق رؤية موسعة تتبنى مفاهيم سيميائية...الأمر الذي أفرز تصورات نصية مختلفة و تعريفات متعددة للنص،و في هذا التنوع يقول أحمد عفيفي:"...وإذا كانت آراء النحاة القدامى والمحدثين قد تعددت حول تعريف الجملة،فإن النص لم يكن أسعد حظا من الجملة في ذلك،حيث تعددت تعريفاته وتنوعت،بل تداخلت إلى حدّ الغموض أحيانا أو التعقيد أحيانا أخرى،فبعض تعريفات النص تعتمد على مكوناته الجملية و تتابعها،و بعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط،و بعض ثالث يعتمد على التواصل النصي و السياق، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة،و بعض خامس يعتمد على جملة المقاربات

[1]-التفاعل النصي(التناصية النظرية و المنهج)-كتاب الرياض-الرياض-السعودية-ط01 -يوليو2002 ص36-37
[2]-جمعان بن عبد الكريم-إشكالات النص-النادي الأدبي-الرياض-السعودية-ط01-2009-ص27

المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصا."[1] و يقول الأزهر الزناد في هذا المعنى أيضا:"تعريف النص مثل كل تعريف أمر صعب،لتعدد معايير هذا التعريف و مداخله و منطلقاته بتعدد الأشكال و المواقع لاو الغايات التي تتوفر فيما نطلق عليه اسم:نص"[2]

ولّما كان مصطلح النص هو الموضوع الجوهري الذي تتمحور حوله الأبحاث و الدراسات اللسانية النصية،فإننا سنحاول عرض تعريفاته المتعددة من كافة الزوايا و الخلفيات و ذلك في سبيل تحديد تصور جامع تتبناه الدراسة في التحليل النصي لسورة الكهف،و سنستهل التحديد بالحديث عن الاتجاه النحوي في فهم النص.

1-النص في ظل الرؤية النحوية:

أ-يرى"هورست إيزنبرج **Horst Isenberg**"بأن النص تتابع متماسك من الجمل،كما نجدها في الاستعمال الاتصالي اللغوي،إلا أنه يركّز اهتمامه على مصطلح تتابع و يضفي عليه بعدا رياضيا...و نشير بكلمة (نص)إلى متوالية منسجمة من الملفوظات التي تستعمل في التواصل اللغوي."[3] و لّما كان التأكيد على تتابع الجمل،وجب اقتراح خصائص للنصوص تكفل للجمل جودة سبك داخل النص،و من أهمها:

- التتابع الأفقي للجمل
- تحديد الجهة اليسرى و الجهة اليمنى
- الاستقلال النسبي
- التماسك داخل تتابع الجمل
- وجود علاقات دلالية بين مكوناتها السطحية.[4]

[1]-نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي-زهراء الشرق-القاهرة-مصر-ط 01-2001 -ص21
[2]-نسيج النص-بحث في ما يكون به الملفوظ نصا-المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء-المغرب-ط 01- 1993-ص11
[3]-نقلا عن:فرانسوا راستيي-فنون النص و علومه-ت:إدريس الخطاب-دار توبقال-الدار البيضاء-المغرب-ط 01- 2010-ص49
[4]-ينظر:فولفجانج هاينه مان (و) ديتر فيهفجر-مدخل إلى علم لغة النص -ص21

وفي سبيل التقنين لأشكال الترابط و التماسك بين الجمل،استثمر"إيزنبرج"أدوات و إجراءات سمّاها:وسائل التنصيص و منها الأشكال المتنوعة للربط:الضمائر و أشباه الظروف و مورفيمات الزمن،و علامات التقسيم(=هي الأدوات المعجمية و الفراغات الطباعية التي تحدّد المقدمة و العرض و الخاتمة مثل:بادئ ذي بدء،في البداية،في الختام...)، وظروف الجملة،و أدوات السؤال و الإجابة و التنغيم و نبر الجملة و التوكيد،و بناء الحذف والتقسيم إلى موضوع ومحمول(=وسائل كلية)...و من أنماط التنصيص لدى"إيزنبرج" ما يلي:"الإسناد إلى متقدم،الارتباط السببي،الارتباط لوجود دافع أو علة،التفسير التشخيصي،التخصيص،و نظام ما وراء اللغة،الارتباط الزمني،الارتباط الافتراضي،التقابل العكسي،التطابق بين الإجابة و السؤال،و المقارنة،و الإضراب عن قول سابق."[1]

ب-و النص في نظر"روجر فاولرR.Fawler"عبارة عن:"البنية السطحية الخطية الأكثر إدراكا و معاينة"[2]و هو يقصد بالبنية السطحية في هذا التعريف تلك"المتوالية من الجمل المترابطة فيما بينها على نحو يشكّل استمرارا وانسجاما على صعيد تلك المتوالية."[3]

ج-أما عند "هارفج R.Harweg"ف"النص هو ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص."[4]و ينطوي هذا التحديد على معطى أساس،و هو أن الامتداد الأفقي للنص يتم من خلال الجسور الترابطية التي تهندسها وسائل لغوية معينة،و لعل أهمها التسلسلات الضمائرية،فالنص"تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية،و هكذا يؤسس "هارفج"مفهومه للنص على مبدإ الإحالة(...)فنجده يتحدث عن استبدال نحوي سينتجماتي،و يضع تصنيفا معقدا من أنماط الاستبدال،و من الأنماط

[1]-للزيادة و التفصيل انظر د/محمد العبد-اللغة و الإبداع الأدبي-الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-القاهرة-مصر-ط02 - 2007-ص(41-43)
[2]-نقلا عن:سعيد يقطين-تحليل الخطاب الروائي-المركز الثقافي العربي-بيروت-لبنان-ط01 - 1989-ص43
[3]-سعيد يقطين-انفتاح النص الروائي-المركز الثقافي العربي-بيروت-لبنان-ط01 -1989 -ص12
[4]-سعيد حسن بحيرى-علم لغة النص:المفاهيم و الاتجاهات-مؤسسة المختار-القاهرة-مصر-ط02 - 2004-ص99

الأساسية للاستبدال النحوي لدى هارفج:استبدال المطابقة(مثل تكرير الوحدة المعجمية)و استبدال المشابهة(مثل الإعادة من خلال المترادفات) و استبدال التلاصق(تحقيقات مختلفة للإعادة الضمنية)"[1]

د-و النص في رأي"فاينرش H.Weinrich" "تكوين حتمي يحدّد بعضه بعضا،إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم النص"[2]

فجوهر نموذج وصف النص لدى "فاينرش" يتلخص في أن النص يسخّر أدوات نحوية(التعريف،التنكير،مورفيمات الزمن...)لتوجيه عملية التجاوب و الاتصال،فأداة التعريف مثلا توجّه المتلقي إلى معلومات سابقة،في حين يوجّه التنكير نحو معلومات لاحقة..."و بهذه الطريقة يثار لدى المتلقي من خلال الاستخدام المقصود لصيغ الأدوات،عمليات ترتيب معينة،ضرورية لعملية فهم النص."[3]

ه-المنظور الوظيفي للجملة/للنص:

ارتكزت الأبحاث في (مدرسة براغ) على مفهوم جوهري للجملة الوظيفية،و الذي يقتضي وجوب التمييز بين وظيفتين إخباريتين و هما:

الموضوع(المسند إليه)و المحمول(المسند أوالخبر)،على اعتبار أنّ"المتقدم(الموضوع)هو الشيءالمتحدث عنه،الذي يفترض المتكلم معرفـــة المخاطب له،و المتأخـــر (= المحمول) هو الجزء المتمّم للجملة،الذي يضيف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل بالمتقدم "[4] .فالجملة الوظيفية تخضع لبناء أو ترتيب نحوي (الموضوع /

---

[1]-زتسيسلاف واورزنياك-مدخل إلى علم النص:مشكلات بناء النص-ت:حسن بحيرى-مؤسسة المختار-القاهرة-مصر-ط 01- 2003-ص55
[2]-سعيد حسن بحيرى-علم لغة النص-ص99
[3]-فولفجانج هاينة مان،ديتر فيهفجر-مدخل إلى علم لغة النص-ص24
[4]-محمد علي يونس-مدخل إلى اللسانيات-دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-لبنان-ط 01-2004 -ص71

المحمول)، وانطلاقا من هذا الترتيب تتحدّد وظيفتها الإبلاغية ،فكل ترتيب يحمل وظيفة خاصة به.لذلك يهتم الوظيفيون بالإجابة عن السؤال:لماذا وردت الجملة على هيئة معينة؟.

لقد استثمر (دانش F.Danes) هذه المعطيات على صعيد النص و الذي اعتبره تتابعا للموضوعات، وبإمكاننا فهم دلالة النص بتتبع تضاريسه واقتفاء ما سماه التدرج الموضوعاتي في النص.إذا،تكمن البنية الحقيقية لموضوعات النص – في نظر "دانش" – في تسلسل الموضوعات وترابطها،في تدرجها وعلاقاتها فيما بينها،و بين فقرات النص و بين النص ككل و كذلك بالمقام أو الموقف التواصلي.

ويتخذ توالي الموضوعات – عند دانش – ثلاثة أنماط أساسية، هي :

أ – التوالي الأفقي للموضوعات.

ب – توالي ذو موضوع مستمر.

ج- توالي ذو موضوع متفرع.

و في عرض هذه الأنماط الثلاثة يقدم " فولفجانج " الأمثلة الآتية:

" المرء تسمع كثيرا عن الأمريكيين.

فهم قد فتحوا جبهة ثانية.

الجبهة الثانية سوف تأتي.

يمكن أن يفسر تعاقب الموضوعات (المرء، الأمريكيون/ هم، الجبهة الثانية) توالي النص، بأنه ربط موضوعات مختلفة بوحدات جملية متجددة دائما في شكل توال أفقي.

م1 .... >ح1

م2 ....>ح2

م3..................>ح3

●مقهى المدينة جددت الآن أخيرا.

●هو يبدو الآن مضاء و لطيفا.

●هذا المكان المصمم بمنتهى الذوق يجتذب الآن كثيرا من الزوار.

م1 ....>ح1

م2 ....>ح2

م3..................>ح3

وفي هذه الحال يعاد تلقي موضوع الجملة الأولى باستمرار من خلال أشكال تكرار متباينة، و يربط بأبنية المحمول الجديدة، و هو بذلك يشكل نوعا من ثبات موضوع النص.

*التوالي ذو الموضوع المتفرع و ذلك مثل:

يوم صيفي

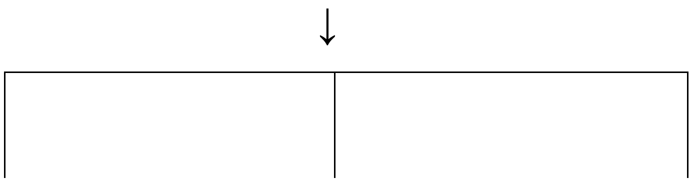

أشرقت الشمس   فاح عبير الورد   كانت السماء أقرب إلى الزرقة

-و يمكننا أن نمثلها بالشكل التالي:

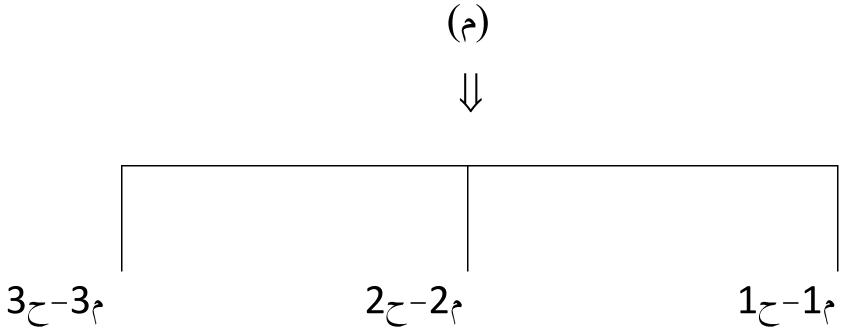

"في هذه الحالة تلحق أبنية (الموضوع – المحمول) المفردة، بموضوع علوي / موضوع شامل(...) غير أن نموذج المنظور الوظيفي للجملة القائم على أساس نحوي صارم قد ارتكز في أنماط التوالي على أساس دلالي – اتصالي"[1].

2-النص في ظل الرؤية الدلالية:

ظهر نموذج وصف النص القائم على أبنية الأساس الدلالية،كرد فعل اتجاه الرؤية النحوية المحضة للنص،و التي لا يمكن الاكتفاء بها في معرفة حقيقة النص،فأدوات الربط التركيبية (مفاهيم الاتساق) لا تمثل إلا وجها ثانويا لتعقيدات النص.إنما المعوّل عليه في الوصف العلمي البنّاء هو دلالة النص الكلية،و من ثمّ " لا يمكن أن يوصف اتساق نص ما،وصفا كافيا إلا باشتماله على بنية الأساس الدلالية،أما وسائل الربط التركيبية فلا تقوم على العكس من ذلك إلا بوظيفة إشارات إضافية،أي اختيارية دائما،تسهل على السامع معرفة بنية الأساس الدلالية في النصوص وفهمها."[2].

[1]-هاينه مان فولفجانج و ديتر فيهفجر-مدخل إلى علم لغة النص-ص27-28
[2]-المرجع السابق-ص31

وخير من تمثل هذا الاتجاه في الوصف النصي:"برينكر K.Brinker"و "فان ديك VanDijk" و"بتوفي J.S.Petofi"،فقد قدم (برينكر)تعريفا للنص ، مركزا على الجانب الدلالي المحوري حيث يقول:"إن مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية تترابط بعضها مع بعض على أساس محوري – موضوعي –،أو جملة أساس،من خلال علاقات منطقية دلالية"[1] ويؤكد "فان ديك" على المستوى الدلالي للنص،ويتكفل ببناء صرح نموذج بمفاهيم دلالية مثل:البنية العميقة،و البنية السطحية و البنية الكبرى و البنية العليا و قواعد التحويل(الحذف و التعميم و البناء) ... " إن تصوّر "فان ديك" للنص خلافا لتصور "ايزنبرج " و " هارفج " اللذين يؤكدان على التماسك النحوي للنص،قائم على أساس دلالي للنص."[2]،لكنه لا يركّز على المفاهيم المنطقية (الصدق،الكذب)،بل يهتم بكيفيات ترابط هذه القضايا داخل النص(الربط القضوي)،فهو يحدد أشكالا من العلاقات التي تنظم قضايا النص داخل القضية الواحدة،و ما بين القضايا أيضا.و من العلاقات القضوية الداخلية ما يلي:الوصل و الفصل والعطف والاحتواء و الاستدراك.....

لقد اعتمد "فان ديك " في نموذجه أساسا على مفهوم "القضية"،لأنه يرى بأن النصوص ما هي إلا مركبات نسجت عن طريق تضافر حزم من العلاقات مثل السببية – الشرطية – التعاقبية – الاعتراضية – الختامية – المقارنة – الاستدراكية – الإضرابية.و من العلاقات القضوية المتداخلة:التعليل – التوضيح – التخصيص – التأكيد – التصويب – علاقات السؤال و الجواب.و في سبيل تقديم صورة عامة لهيمنة العنصر الدلالي في نموذج "فان ديك"، سنشرح المخطط التالي:

[1]-سعيد حسن بحيرى-علم لغة النص:المفاهيم و الاتجاهات -ص101
[2]- زتسيسلاف واورزنياك-مدخل إلى علم النص:مشكلات بناء النص-ص57

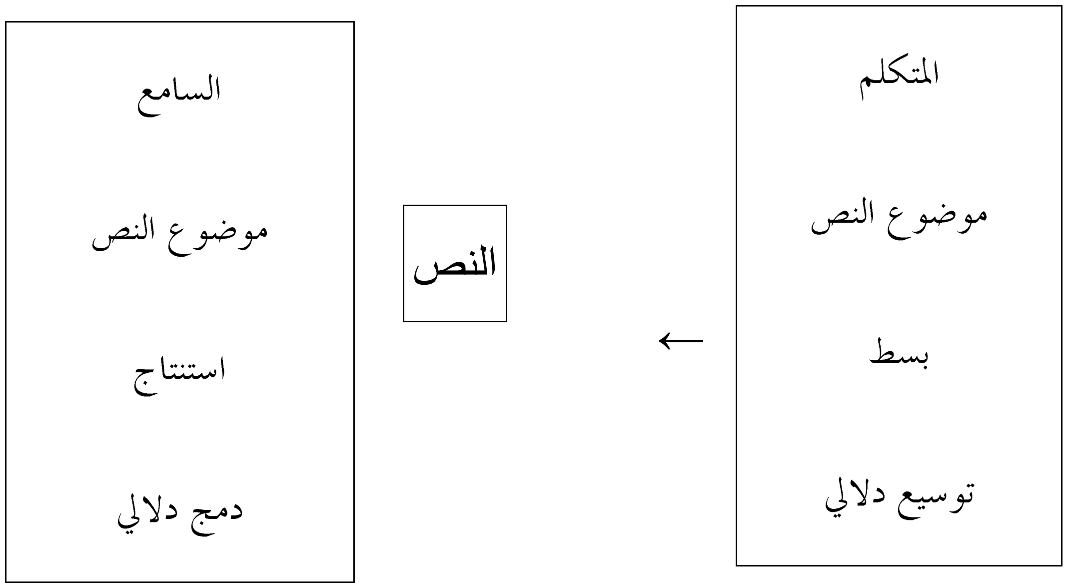

فالمتكلم يبسط تيمة النص أو **بنيته الكبرى**(=المعنى الإجمالي للنص=الموضوع و التيمة) عن طريق التوسيع الدلالي (تدعيم القضية النواة بقضايا صغرى) و ينتج عن ذلك "النص"،في حين نجد السامع يستقبل النص ، محاولا استنتاج بنيته الكبرى انطلاقا من اكتشاف بناه الدلالية الصغرى ثم دمجها.

أما عن (بتوفي Petofi) فقد حاول نقل مفهوم البنية العميقة للجملة في النحو التوليدي التحويلي إلى مستوى النص ممهدا لعلم دلالة توليدي نصي،و يؤكّد تصوّره على أنّه "يمكن أن يطوّر من الأساس الدلالي لكم من أبنية المحمول – الحجة ، الموصوف بوسائل المنطق الشكلي قياسا على الجمل – نموذجا للنصوص أيضا،و أن يشق قواعد لبنائها بشكل منظم."[1].

والجدير بالذكر أن نهج التناظر (السمات المعجمية بوصفها مؤشرات لأوجه ترابط النص) يشكل نموذجا دلاليا أيضا في وصف النص،و تعود فكرته الأساسية إلى السيميائي الفرنسي " جريماس"،و قوام هذا

[1] - هاينه مان فولفجانج و ديتر فيهفجر-مدخل إلى علم لغة النص-ص36

النموذج "أن دلالة النصوص تنشأ من اتفاق ملامح/سمات/ دلالية محددة للوحدات المعجمية الواردة في نص ما"[1].

يوظف "جريماس" مصطلح "تناظر" أو "تشاكل" للتعبير عن هذه العلاقة المعجمية الدلالية التي تحدد التقارب أو التكافؤ الدلالي بين الوحدات المعجمية المكونة للنص،" و بذلك لا يكون للملامح السطحية إلا أهمية ثانوية لتماسك النص،غير أن الأساس الحاسم هو الظاهرة الدلالية الناشئة عن تكرير السمة الدلالية"[2].

إنّ الوحدات المعجمية التي تدخل في عملية التناظر تشكل سلاسل تناظر،التي إذا كان عددها كبيرا،تشكل شبكات تناظر في النصوص،تساهم بشكل فعّال في كشف الدلالات النواة في النص.كما أن العلاقات التناظرية تتعدد ما بين الوحدات المعجمية و من بينها:

* التكرار الكلي: سائق- سائق.

* الاستئناف المتنوع:

- من خلال الترادف: سائق — قائد وسيلة نقل.

- من خلال اللفظ الشامل:- مشترك في حركة المرور

- من خلال التضاد: سائق – مار

- من خلال جملة مفسرة: سائق — بطل الطريق العام.

- من خلال الاستبدال النحوي: سائق — هو.

[1]-المرجع نفسه-ص33

[2]-المرجع نفسه-ص33

و تتضافر أوجه (التكافؤ الوظيفي) مع أشكال التكافؤ التركيبي المعجمي،في سبيل كشف القناع عن مظاهر الترابط الدلالي للنص.

3-النص في ظل الرؤية الاتصالية:

لقد قامت معظم نماذج وصف النص منذ السبعينيات على أساس تحديد الطريقة التي تعمل بها النصوص في كنف الحياة العملية،مشيرة إلى عناصر غير لغوية،إلا أن ما هو تداولي حقيقة لم يحظ بمساحة مناسبة وظل هامشيا،لكن مع ظهور نماذج النص الاتصالية، أصبح البعد البراجماتي هو المركز و المنطلق في الوصف النصي"إن ما يمكن وصفه لغويا ما يزال وسيلة(مثل صور النشاط العملية،والحراكات و تعبيرات الوجه أيضا) لتحقيق أهداف معينة لشركاء الاتصال."[1].

يعدّ هارتمان P.Hartmann "من العلماء الأوائل الذين وضعوا فرضيات تمهيدا لقيام ما يعرف بعلم النص،ويحدّ النص بأنه"علامة لغوية أصلية،تبرز الجانب الاتصالي و السيميائي"[2]،و يعلّق سعيد حسن بحيرى على هذا التعريف بقوله:"على الرغم مما يتّسم به من عمومية ،إلا أنه يقدّم خاصية له و هي ارتباط النص بموقف اتصال من جهة و إمكان تعدّد تفسير العلامة النصية من جهة أخرى."[3].كما ألح"شميت"على البعد الاتصالي في تعريفه للنص،حيث يقول:"إنه جزء حدد موضوعيا(محوريا)من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية(إنجازية)."[4].ويتضمن هذا التعريف معطيات أساسية،تتمثل في أن النص يتميز بوحدة الموضوع و وحدة المقصد،لأنه قد تشكّل في سبيل تحقيق هدف محدّد.

[1] - هاينه مان فولفجانج و ديتر فيهفجر-مدخل إلى علم لغة النص-ص48
[2]- سعيد حسن بحيرى-علم لغة النص:المفاهيم و الاتجاهات-ص99
[3]-المرجع نفسه-ص99
[4]-المرجع نفسه-ص99

أما "برينكر"فيرى بأن النص ربط أفقي أو متدرج لأفعال كلامية،و هو فعل كلاميّ معقد أيضا"[1]. و نجد أيضا " جلنتس" معتمدا على المنظور التداولي في وصف النص، فقد ربط مفهوم النص بالأداء اللغوي في لغة ما،أي بتحقيقه.و يلاحظ ' سعيد حسن بحيري' بأن "جلنتس" يحاول" أن يتناول مفهوم النص من خلال توظيف جديد لمصطلحات النحو التوليدي و ربطها بمفاهيم تداولية ... و يهمنا هنا ملاحظة التشابك بين عناصر تحويلية و عناصر تداولية داخل عملية انتاج النص و تلقيه"[2]

وفي اعتقاد"سوونسكي Sowinski" يتوجب علينا أن "ننظر إلى إنتاج النص(مكتوبا أو منطوقا)و إلى التبليغ النصي و إلى الاستقبال النصي باعتبارها جميعا أحداثا أو عمليات اتصالية"[3]. و لا شك بأن تزامن التطورات اللسانية النصية و علم الاتصال ، هي المسؤولة عن بروز نماذج الوصف الاتصالية للنصوص،حيث أصبحت هذه الأخيرة وحدات اتصالية، فمنتج النص يسعى لقول شيء للقارئ أو السامع،ولا يمكن أن يعيش النص في فراغ.و في مقدمة ترجمة كتاب ' النص و الخطاب و الإجراء' يشرح " تمام حسان " الفرق بين نحو الجملة و نحو النص (لسانيات النص) في نسق "دي بوجراند " و "دريسلر " وتخلص إلى أنهما يختلفان في الموضوع (الجملة / النص) و المنهج (تحليلي / تركيبي)و الغاية (الوصف / الاتصال)، فالغاية من نحو النص هي تحقيق الاتصال و ليس مجرد الوصف البنيوي لوحدات الجملة[4].

ويقدّم "فان ديكVan Dijk " مبادئ أساسية للتحليل النصي، تعمل وفق هندسة تكاملية حيث تتآلف فيها مكونات العملية التواصلية (المنتج و المتلقي – لغة النص و سياقاته المختلفة) و من بين هذه المبادئ:

---

[1]-المرجع نفسه-ص101

[2]-المرجع نفسه-ص104

[3]-محمد العبد-العبارة و الإشارة:دراسة في نظرية الاتصال-مكتبة الآداب-القاهرة-مصر-ط01 -2007 -ص89

[4]-ينظر:دي بوجراند ،درسلر-النص و الخطاب و الإجراء-مقدمة الترجمة.

1 – تستعمل النصوص على الدوام،في سياق خاص.و هذا يقتضي عند تحليل النص و فهمه تحليلا و فهما للسياق أيضا .

2 – أن التحليل سواء كان نصيا / أو سياقيا هو نتاج لذات محللة، أي أنه يمثل في حد ذاته نصا.

3 - ... و في إطار وصف نصي أكثر اندماجا ستوضع المستويات المختلفة من التحليل في علاقة بعضها ببعض[1] .

يتحّد الوصف اللغوي النصي (الفونولوجيا و المرفولوجيا،التركيب بين الجمل،الدلالة،البنيات الكبرى،البنيات العليا) مع الوصف السياقي (التداولي ،المعرفي(فهم النصوص)، الاجتماعي النفسي (تأثير النصوص) ،الاجتماعي (النص كظاهرة ثقافية) في سبيل الإحاطة بفهم النص.

وفي الأخير، يمكن أن نخلص إلى أن حقيقة النص، تبدو غامضة و سديمية ، إذا ما اقتصرنا في وصفها على زاوية أحادية. لا يسعنا إلا أن نسلم بضرورة تضافر زوايا النظر كلها، في سبيل مقاربة ناجعة لمستويات النص المختلفة. ولعل خير ما يعزز هذا الطرح،ذلك التعريف الذي اقترحه كل من 'دي بوجراند ' و ' درسلر ' ،الذي يمتاز بالدقة (تحديد المعايير) و الشمول (التأكيد على الزوايا المتنوعة). و تتجلى مظاهر قوته،في الأثر العميق الذي حظي به لدى الكثير من الباحثين لاسيما اللغويين العرب مثل : سعيد بحيرى،أحمد عفيفي،و صبحي إبراهيم الفقي،و"سعد مصلوح " الذي يصرح بقوله:' و قد آثرنا هنا أن نعتمد تعريف "دي بوجراند" و "درسلر" لمفهوم النص من حيث إنه :حدث تواصلي،يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة،و يزول عنه هذا

---

[1]-ينظر:فان ديك و آخرون-في نظرية الأدب:مقالات و دراسات-ت:محمد العمري-كتاب الرياض رقم38 – السعودية-ص58-59

الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير و هي :السبك ،الحبك (النص)، القصد و القبول (منتج النص و متلقيه)،الإعلام والمقامية و التناص (السياق المادي و الثقافي)."[1]

4-النص في ظل الرؤية السيميائية:

يرصد "ميشيل أريفيه" مفهوم النص سيميائيا بقوله:"إذا حاولنا تعريف النص سيميائيا فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى التمييز بين خطابين يبدوان متوافقين:

بالنسبة للسيميائيين البنيويين يبدو-على الرغم من بعض الاختلافات المصطلحية-أن الاتفاق قد تمّ حول تحديد النص بوصفه مجموعة يؤلفها الخطاب،الحكاية،و العلاقات القائمة بين هذين الموضوعين المحددين كطبقات دلالية مستقلة نسبيا،و قابلة بدورها إلى أن تتنضد في أصعدة متعددة.

وفي السيميائية التحليلية،يحدد النص كعملية لسانية تجاوزية،تتشكّل في اللغة و تكون غير قابلة للاختزال إلى المقولات المعروفة الخاصة بكلام التبليغ موضوع اللسانيات."[2]

أما عن الباحث السيميولوجي الروسي"يوري لوتمانL.Lotman"،فيعرف النص انطلاقا من ثلاثة معايير وهي:"التعبير،حيث يتمّ التعبير من خلال علامات اللغة الطبيعية،والمعيار الثاني هو التحديد،أما المعيار الثالث فهو الخاصية البنيوية."[3] و يقدم سعيد حسن بحيرى شرحا وافيا لهذه المعايير في كتابه:علم لغة النص،حيث يقول:"1-التعبير:فالنص يتمثل في علاقات محدّدة،تختلف عن الأبنية القائمة خارج النص،فإذا كان النص أدبيا فإن التعبير فيه أولا من خلال علامات اللغة الطبيعية.و التعبير-في مقابل اللاتعبير-يجبرنا على أن نعتبر النص تحقيقا و تجسيدا ماديا له.2-التحديد:إن النص يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة

[1]-في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية:آفاق جديدة-جامعة الكويت-ط01 -2003 -ص225-226
[2]-السيميائية الأدبية-ت:رشيد بن مالك-ضمن كتاب(السيميائية أصولها و قواعدها)-منشورات الاختلاف-الجزائر-ط01 - 2002- ص96
[3]-نقلا عن:جمعان بن عبد الكريم-إشكالات النص-ص29

مثل"أن يكون قصة"أو"أن يكون وثيقة"أو"أن يكون قصيدة"مما يعني أنه يحقق وظيفة ثقافية محددة،و ينقل دلالتها الكاملة.و القارئ يعرف كل واحد من هذه النصوص بمجموعة من السمات،و لهذا السبب فإن نقل سمة ما إلى نص آخر إنما هو وسيلة جوهرية لتكوين دلالات جديدة...و يؤدي تراتب النص و انقسام نظامه إلى نظم فرعية مركبة إلى قيام مجموعة من العناصر-التي تنتمي إلى بنيته الداخلية-بالبروز كحدود واضحة لنظم فرعية من أنماط مختلفة،و ذلك مثل حدود الفصول و المقاطع و الأشطار و الأبيات و الفقرات.3-الخاصية البنيوية:إن النص لا يمثل مجرد متوالية من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين،فالتنظيم الداخلي الذي يحيله إلى مستوى متراكب أفقيا في كلّ بنيوي موحد لازم للنص،فبروز البنية شرط أساسي لتكوين النص."[1]

و يقول "تودوروف(T.Todorov)"في مفهوم النص:"يمكن للنص أن يكون جملة كما يمكن أن يكون كتابا تامّا،وهو يعرف باستقلاله و انغلاقه...و يقول عن مكوّناته:نستطيع أن نتكلم عن الوجه الملفوظ للنص ونقول إنه مكوّن من كل العناصر التي تكون الجمل:العناصر الصوتية و القاعدية إلى آخره،كما نستطيع أن نتكلم من جهة أخرى عن الوجه النحوي للنص،و لا يكون ذلك بالرجوع إلى نحو الجمل،و لكن بالرجوع إلى العلاقات القائمة بين الوحدات النصية مثل:الجمل و مجموعات الجمل،و يمكننا أن نتكلم عن الوجه الدلالي للنص وهو عبارة عن منتج معقّد للمضمون الدلالي تنتجه الوحدات اللسانية."[2].إذا،فالنص عند تودوروف كلام مستقل وتام دلاليا غير محدود بطول معين و هو مكون من عناصر صوتية و نحوية و دلالية بينها علاقات تماسك.و قد رسم تودوروف(T.Todorov)وديكرو(O.Ducrot)في القاموس الموسوعي معالم النص مركّزين على

[1]-علم لغة النص -ص105-106
[2]-نقلا عن:د/مصطفى قطب-دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغة الجاحظ و الزيات-جامعة القاهرة-مصر- 1996-ص51

مظاهره التالية:"1-المظهر الشفوي:و تهندسه كافة العناصر اللسانية الصرفة للجمل التي تدخل في تأليفه منها الصوتية و النحوية وغير ذلك.2-المظهر النحوي: و هو مظهر لا يحدده إعراب الجمل،بل نعود فيه إلى حُزم العلاقات التي تربط الأجزاء أو الوحدات النصية(جمل،مجموعات من الجمل).3-المظهر الدلالي:يعتبر النص من خلال هذا المظهر إنتاجا غاية في التعقيد لارتباطه بالمحتوى الدلالي للوحدات اللسانية."[1] و لما كانت هذه المظاهر تحدد و تؤطر مفهوم النص عندهما،فإنهما يقترحان ثلاثة أنظمة تحيط بالنص و هي:"1-النظام المنطقي:و هو الذي يتكفل برصد كل العلاقات المنطقية التي تقوم بين الجمل داخل النص،مثل الفصل والوصل و السببية و غيرها.2-النظام الزمني:و هو نظام يتكون من تتابع الوقائع المستحضرة عن طريق الخطاب،و لن يتحقق ذلك إلا في حالة خطاب مرجعي تمثيلي يأخذ في الاعتبار البعد الزمني،كما هو الحال في التاريخ أوالقصة.و يكون غائبا في الخطاب الآخر غير التمثيلي كالشعر الغنائي و الدراسة الاجتماعية السانكرونية(الخطاب الوصفي)مثلا.و هناك بعض النصوص يسيطر عليها النظام الزمني مثل يوميات السفن واليوميات الخاصة و المذكرات و السير الذاتية...3-النظام المكاني:و يتم الحديث عن هذا النمط من النظام حين لا تكون العلاقة بين الجمل منطقية أو زمنية،بل تكون علاقة تشابه أو تباين،و يعتبر الإيقاع الشعري مثالا لهذا النظام."[2]

ويقدم"كولينج"-في الموسوعة اللغوية-تصورا سيميائيا شاملا للنص،حيث يبدأ تشييد رؤيته بطرح تساؤلات تمهيدية و هي:

-ما الذي يجب أن يسمى نصا؟(=ما هي المعايير التي يتوجب توافرها في الأداء اللغوي حتى يعدّ نصا؟أو ما هو النص؟

O.Ducrot&T.Todorov-Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage-ed ;Seuil1972.p375-376-[1]
Ibid-p377-378-[2]

-هل النص هو الرمز سواء الكتابي أو الصوتي أو المعنى الذي يحمله أو هو كلاهما معا؟

-هل النص موضوع جزئي من نظام رمزي أو هو موضوع ينضوي تحت نطاق تطبيق مثل ذلك النظام؟

-هل النص مجموعة من القواعد المختزنة في ذهن الجماعة اللغوية أو هو الممارسة الفعلية في الكلام المرتبط بسياقات اجتماعية؟....و بعد طرح هذه التساؤلات التي سمّاها الأفكار التمهيدية يعمد إلى تحديد نقاط أساسية تبني فهمه لمصطلح النص و هي:

"1-النص هو موضوع(رمزي-علائقي)تغلب عليه السمة الكلامية،ذو شكل مكتوب يدويا أو مطبوع في شكل أوهيئة مادية.

2-العناصر المعجمية في النص الرمزي-العلائقي الذي تسيطر عليه السمة الكلامية هي العناصر المسيطرة التي تحمل المعنى.

3-النصوص هي من عناصر الاستعمال اللغوي و ليست ضمن نطاق النظام اللغوي.

4-هناك تمييز بين النصوص كاملة الاستقلالية و النصوص المستقلة جزئيا.

5-تحقّق النصوص الرمزية-العلائقية ذات الصيغة الكلامية معايير النصية إذا تمّ احترام التوقعات الآتية:يعبر الموضوع في حالة تخاطبية معطاة أو مفترضة،عن شكل متصل و تام لحالة من الحالات،و يحقق وظيفة تخاطبية معطاة أومفترضة و له تركيب كلامي متصل و كامل.[1]

وتذهب"جوليا كريستيفا Julia Kristeva"إلى أنه"لا يمكن أن تتكوّن كل سيميائية إلا كنقد للسيميائية.و السيميائية كمجال ميت للعلوم هي شعور بهذا الموت و إحياء للعلمي بواسطة هذا الشعور."[2] وبالتالي فقد أقامت صرح سيميولوجيتهاعلى معارضةصريحةونقد واضح لسيميولوجيا التواصل

[1]-ن.ي.كولينج-الموسوعة اللغوية-ت:محي الدين حميدي و آخرون-جامعة الملك سعود-الرياض-السعودية-ج01-ط01 – 1421ه-ص207

[2]- كريستيفا-السيميائية علم نقدي أو نقد العلم-ت: أبي صالح-مجلة العرب و الفكر العالمي-مركز الإنماء القومي-بيروت-لبنان-ع02-1988 -ص27

لدى(بويسنسBuyssens)و(برييطوPrieto)و(مونانMounin)،هذه الأخيرة التي جعلت وظيفة السيميولوجيا حبيسة أفق التواصل مما جعلها ذات وجه واحد مصطبغ بخدمة اللسانيات كما نادى بذلك(دي سوسيرDeSaussure)في محاضراته،و في حين جعل(رولان بارتR.Barthes) ما يعرف بالسيميولوجيا جزءا من اللسانيات،فإن هذا الأمر قد شجّع (كريستيفاJ.Kristeva)لأن تلحق السيميولوجيا بالعلوم الأخرى إلحاق دمج و تفاعل،و من هذه العلوم:الرياضيات و المنطق و الفيزياء بالإضافة إلى العلوم الإنسانية كالفرويدية و الماركسية...كل ذلك في سبيل جعل السيميولوجيا"علم النقد/أو نقد العلم"أو"أورغانون العلوم"كما هو مشروع(وليام شارل موريس)،و ذلك لأنها تعتبر السيميولوجيا ملتقى العلوم و لغتها الواصفة. تقول(كريستيفا):"...أكثر من خطاب،تجعل السيميائية موضوعها الآن عددا من الممارسات السيميائية التي تعتبرها ترانسلية أي مصنوعة عبر اللغة."[1]

وفي ضوء هذا التصور تعرّف كريستيفا النص بأنه:"جهاز لساني(paralinguistique)يعيد توزيع نظام اللسان(langue)عن طريق ربطه بالكلام(parole)التواصلي راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة و المعاصرة."[2] و يعقب سعيد يقطين على تعريف كريستيفا بقوله:"...أي أن النص ينظر إليه من حيث إنتاجه كنص يتعالق مع نصوص أخرى،و هو ليس منتوجا فحسب،بل دليلا منفتحا متعدد الدلالات،كما أن بنيته لا يمكن مقاربتها في إطار نص ذي بنية مسطحة،بل عن طريق توليد مسجّل في البنية اللسانية لا يمكن أن يقبل القراءة إلا عن طريق تكوينات متعددة لا تكتفي بالمكوّن اللساني."[3]

---

[1]-المرجع نفسه-ص28

[2]-كريستيفا-علم النص-ت:فريد الزاهي-دار توبقال-الدار البيضاء-المغرب-ط 01- 1991-ص21

[3]-سعيد يقطين-انفتاح النص الروائي(النص و السياق) -ص20-21

إذاً،مفهوم النص-من منظور كريستيفا-عبارة عن إنتاجية(productivite)،الأمر الذي يعني: أ-أن علاقة النص باللغة التي يتموضع فيها هي علاقة إعادة توزيع(هدم/بناء)،إنه يسير المنال عن طريق مقولات منطقية أكثر من مقولات لسانية خالصة.ب-أن النص هو تبادل النصوص،تناص(intertextualite)،في فضاء نص تلتقي مجموعة من الملفوظات المأخوذة من نصوص أخرى،و يُبطل أحدها مفعول الآخر.إن الإنتاجية سيرورة عمل بالإضافة إلى كونها إعادة توزيع للغة و هو توزيع يعارض كل استعمال تواصلي،و صفوة القول:إن الإنتاجية"-تجعل النص ليس منتوجا بل مسرح الإنتاج الذي يتلاقى فيه منتج النص بقارئه.-تجعل النص يعمل و يشتغل في كل لحظة(من لحظاته التاريخية)و لا يتوقف عن العمل و الإنتاج.-تجعل النص يشتغل باللغة و يصنع منها عملا و ذلك عن طريق هدم لغة التواصل و التمثيل(أو التعبير)،و إعادة بناء لغة جديدة ذاتية(أي تهدف إلى ذاتها)،و لانهائية.-تجعل النص يعيد توزيع اللغة عندما يقوم الناسخ أو القارئ بالتلاعب بالدال،و اللعب به."[1]

لقد وظّف (رولان بارتR.Barthes)في بنائه للعبة الدال مفاهيم كريستيفا حول التناص والنص بوصفه إنتاجية،حيث وصف عملها الموسوم ب:"Semeiotike" بقوله:"جوليا كريستيفا تغيّر نظام الأشياء:إنها دائما تهدم الانشغال السابق...و ما تستبدله هو المنطوق من قبل.ذلك يعني أن تقول:الإلحاح على المدلول أي السذاجة،و ما تدمره هو السلطة،سلطة العلم الواحدي(monologic) و سلطة الأبوة(filiation)."[2]

و لّما كانت كريستيفا قد قدّمت تلك النظرية بجهازها المفاهيمي(التناص-النص-الإنتاجية)في سبيل نقد و مواجهة الطابع المغلق للبنيوية مقدّمة عليها الأنظمة المفتوحة ما بعد البنيوية،"فإن بارت مثل كريستيفا يقوم

---

[1] -عمر أوكان-مدخل لدراسة النص و السلطة-إفريقيا الشرق-الدار البيضاء-المغرب-ط02 -1994 -ص53

[2] -نقلا عن:بيومي عبد السلام-التناص،مقاربة نظرية شارحة-مجلة عالم الفكر-المجلس الوطني للثقافة-الكويت-مج40 -ع01 - -ص77

بعملية مواجهة للأنظمة المغلقة للبنيوية،مستبدلا إياها بلعبة النص و الدال و الكتابة التي تفتح هذه الأنظمة على ما سواها،وفي ظل عملية الاستبدال هذه لا يكف بارت عن استدعاء كريستيفا و دريدا و غيرهما."[1]

لقد عدّ بارت النص نسيجا متواشجا و حجابا جاهزا يكمن وراءه المعنى/الحقيقة متخفيا،ويقول:"كلمةtexte" نص تعني النسيج و لكن بينما اعتبر هذه النسيج دائما و إلى الآن على انه نتاج وستار جاهز يكمن خلفه المعنى(الحقيقة) و يختفي بهذا القدر أو ذاك،فإننا الآن نشدّد داخل النسيج على الفكرة التوليدية التي ترى إلى ان النص يصنع ذاته و يعتمل ما في ذاته عبر تشابك دائم:تنفك الذات وسط هذا النسيج ضائعة فيه،كأنها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيّدة لنسيجها،و لو أحببنا استحداث الألفاظ لأمكننا تعريف نظرية النص بأنها علم نسيج العنكبوت(hyphos)"[2]

تتجلى حقيقة النص في تشبيه"بارت"النص بالنسيج الذي منه يحصل حجاب جاهز و لباس نلبسه يسترنا و نتخفى فيه و يصبح جزءا من شخصيتنا،لأن النص أيضا ناتج عن عملية التشابك المستمر و الانسجام والتماسك التي يقيمها الناص/الكاتب للكلمات و الجمل والمعاني التي تعطينا في النهاية نصا كما تعطي العنكبوت شبكة من ذاتها"فالناص يعادل أو يوازي العنكبوت في هذا التعريف،و الشبكة توازي أو تعادل شبكة الكلمات والجمل و المعاني التي تؤلّف النص...و لكأني برولان بارت يعدّ النص إنتاجية شأنه شأن ما ذهبت إليه كريستيفا."[3]

لقد ميّز (رولان بارت) ما بين النص و العمل في مقاله المشهور المعنون ب:"من العمل إلى النص"، هذا المقال الذي "يؤسّس نوعا من الاستبدال أو الانتقال،و هو استبدال للمفاهيم التقليدية،التي تنبني كما يتصّور بارت على الطراز النيوتيني(Newtonian) نسبة إلى نيوتن،بمفاهيم تستند على نسبية الأطر و

---

[1]-المرجع نفسه-ص88

[2]-لذة النص-ت:فؤاد صفا و الحسين سحبان-دار توبقال-الدار البيضاء-المغرب-ط02 -2001 -ص62-63

[3]-د/بشير إبرير-من لسانيات الجملة إلى علم النص-مجلة الموقف الأدبي-اتحاد الكتاب العرب-دمشق-ع401 –س34 -2004 -ص23

المرتكزات المرجعية التي تنبني على علم آينشتيني(Einsteinian) نسبة إلى آينشتين."[1]...إن العمل في عرف "بارت" هو ذلك الكيان المحسوس الذي يمكن أن تلمسه أو تراه،مثل كتاب يشغل موقعا على رفوف المكتبة،أمّا النص فهو ذلك الجانب المنهجي..و الفارق بينهما (العمل/النص) يستدعي التعارض المقترح من قبل "لاكان بين الواقع والواقعي ،فالواقع يكون واضحا معروضا و الواقعي يبرهن عليه "إن العمل يكون ثابتا أما النص فإنه يجرّب من خلال نشاط ما و إنتاج ما...إن النص لا يمكن أن يتوقف(على رفوف المكتبة مثلا) فلحظته التشييدية ارتحالية أو اجتيازية."[2] و لعل ما يعضد هذا الطرح قول"رولان بارت"نفسه:"النص نشاط و إنتاج...النص قوة متحوِلة متحولة،تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود و قواعد المعقول والمفهوم.إن النص و هو يتكوّن من أقوال منتظمة و إشارات و أصداء لغات و ثقافات عديدة،تكتمل فيه خريطة التعدّد الدلالي...إن النص مفتوح،ينتجه القارئ في عملية مشتركة،لا مجرد استهلاك.هذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية و القراءة،و إنما تعني اندماجهما في عملية دلالية واحدة،فممارسة القراءة إسهام في التأليف."[3]

لقد وسّع "بارت" مفهوم النص،فهو عنده نشاط و إنتاج،و هو بهذا النشاط و الإنتاج يصير قوة متحولة،ثمّ هو ملتقى للمعارف و اللغات و الثقافات.أساسه النقول المختلفة،إنه يتناص مع غيره من النصوص السابقة،و يؤسّس لتناص آخر مع النصوص التالية له،ثمّ إن النص يتعدّى عملية بنائه إلى القارئ الذي يشارك في عملية إنتاجه،ويتجاوز القراءة الاستهلاكية إلى القراءة المنتجة التي تساهم في التأليف و البناء،إذا،ارتكز تعريف النص–عند رولان بارت–على عملية القراءة،فالنص نموذج يعطي للكلام طاقته الإنتاجية بعد أن كان نظاما مختزنا لا قيمة له.ثمّ إن ديناميكية الاتصال لا تحدّ بأطرافها التقليدية:المرسل،الرسالة،المتلقي،لأن النص هو عملية إنتاج

1-د/بيومي عبد السلام-التناص،مقاربة نظرية شارحة-ص84
2-المرجع نفسه-ص85
3-رولان بارت-نظرية النص-ت:محمد البقاعي-ضمن كتاب:في النص و التناصية-مركز الإنماء الحضاري-حلب- سوريا-ط01-1998 -ص34

مستمرة فهو فضاء يمكّن قارئه من عملية التواصل المتواصلة.و قد قدّم (بارت) نظريته في ضوء قراءة تفكيكية(De l'oeuvre au texte=)وقد لخّص معطياتها خليل البطاشي كما يلي:

"ـيطرح بارت النص بديلا للعمل الأدبي،فالنص عبارة عن نموذج أو منهج و ليس إنتاجا محدّدا.

ـيقول فيه بتعدد القراءات،و أنه لا يمكن أن يكون مغلقا أو مطلقا أو نهائيا فهو شيء متجدّد باستمرار.

ـتكتمل خريطة التعدد الدلالي من خلال عالم النص الداخلي الذي تتقاطع فيه الثقافات و اللغات المختلفة،والنصوص الأخرى،فالنص نتاج لعملية التقاطع و التداخل.

ـليس للمؤلف سلطة على النص،فدوره مقصور على الإنتاج،مما يلغي مفهوم الانتماء.

ـلا يقتصر دور القاريء على الاستهلاك، بل يتعداه إلى عملية المشاركة في إنتاج النص،فممارسة القراءة إسهام في التأليف."[1]

5-النص في ظل الرؤية العربية المعاصرة:

لقد اختلفت أنماط تلقي المقاربة النصية عند الباحثين العرب،من حيث النضج والعمق،فمنهم من تبنى مفهوما محدّدا لاتجاه معين،ومنهم من عمد إلى دمج معطيات ومكوّنات نصية متعددة مستمدة من اتجاهات مختلفة،فهذا"طه عبد الرحمن"يطالعنا بتعريف للنص بقوله:" كلّ نص هو بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات،ونصوغ هذا التعريف الصوغ المنطقي التالي:-النص هو زوج(جو،عو)تتحقق فيه الشروط التالية:أ-جو متوالية متناهية من الجمل السليمةج (1)........ج(ن).ب-عو متوالية من العلاقات ر(1)........ر(ن)بحيث يكون مجال تعريف كل(ر)هو مجموعة الجمل(ج)التي تتألف منها المتوالية (جو).وقد تربط

---

[1]-الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب-دار جرير-عمان-الأردن-ط01 - 2009-ص28

هذه العلاقات بين جملتين(الربط المثنوي)أو بين أكثر من جملتين (الربط الجمعي)..كما قد تربط الجمل فيما بينها ربطا مباشرا (الربط القريب)أو ربما تتوسطه علاقات أخرى تصل بين جمل أخرى (الربط البعيد)"[1].

ما يلاحظ على هذا التعريف أنه ذو منحى منطقي يرتكز أساسا على العلاقات البنيوية التي تشكل شبكة التعالقات الجملية في النص.ومن أبرز المحاولات الجادة في تعريف النص نجد مقترح الباحث المغربي"محمد مفتاح" الذي يقدم نسقا هيكليا لمفهوم النص في كتابه الموسوم:مساءلة مفهوم النص،حيث ينطلق من ثلاث فرضيات وهي: 1-ضرورة تجاوز ثنائية الحقيقة والاحتمال،ومفاد ذلك عدم اختزال النص في معنى واحد(المفهوم الكلاسيكي للنص)،بل يتوجب أن ننظر إلى النص باعتباره كيانا منفتحا على الحقيقة وعلى الاحتمال أيضا،بل وعلى كل ما يمكن أن يقوله ويومئ إليه.

2-تدريج المفهوم،حيث إن النص يطلق في الحقيقة على المكتوب الذي تتحقق في كتابته جملة العلاقات المتواشجة والمتشابكة بين المكونات المعجمية والنحوية والدلالية والتداولية في زمان ومكان محددين،أما المكتوب الذي لا تتحقق فيه العلاقات التي تعدّ جوهر النصية،فنطلق عليه تسمية أخرى هي:اللانص.أما إذا كان المكتوب مزيجا مما تحققت فيه تلك العلاقات مع بياض وعلامات سيميائية أخرى من قبيل الرسومات و الأشكال فنسميه مبالغةً:النصنص،لأنه استحال نصا مركّبا يتصف بالتعقيد،يقف(الشبيه بالنص) مقابلا له و يتجلى في الأيقونات المختلفة والعادات والسلوكيات الثقافية والأحلام واللوحات التشكيلية....وغيرها.

3 -تنص الفرضية الثالثة على ضرورة التدرج في بسط المعنى،و يتوجب أن نراعي في ذلك حجم النص ونوعه،واختلاف درجة دلالة النص باختلاف جنسه،وباختلاف درجة دلالة الجمل في النص ذاته،وتجدر الإشارة

[1]-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام-المركز الثقافي العربي-بيروت-لبنان-ط 04- 2010-ص(35-36)

هنا إلى أن الباحث في هذه الفرضية يستلهم معطيات من التراث العربي الأصيل(تقسيمات الدلالة) من المحكم إلى المتشابه.[1]

ويعرض"أحمد المتوكل"تحديدا للنص عن طريق بيان أهمية التماسك بين جمله،في كتابه المعنون ب:بنية الخطاب من الجملة إلى النص...وهو كتاب يعتمد في مضامينه و بنائه على نظرية"فان ديك"التي تسعى إلى الربط الوثيق بين الجملة والنص.يقول المتوكل:"...إلا أن النص لا يمكن حسب التصور الذي نقترحه هنا أن يكون إلا مجموعة من الجمل،وقد تكون الجمل المكونة للنص جملا بسيطة أو معقدة أو جملا من الفئتين معا وهو الأغلب.وليس كل مجموعة من الجمل نصا،فلا يقوم النص إلا إذا ربطت بين وحداته علاقات اتساق.بعبارة أخرى،لا تشكّل مجموعة من الجمل نصا إلا إذا كانت تكوّن خطابا أي وحدة تواصلية،يمكن أن تكون جملة بسيطة أو جملة معقدة أو نصا كاملا...ويمكن القول:إن النحو الوظيفي كان منذ نشأته نحو خطاب أي نحواً يستهدف وصف التواصلية التي نروم تحقيقها،إلا أن الدراسات التي أُنجزت في إطاره ظلت منحصرة في مجال الجملة البسيطة والجملة المعقدة،و لم يحاول اللسانيون الوظيفيون الانتقال إلى الخطاب في مجال النص إلا في السنوات الأخيرة."[2]

ويعرف"سعد مصلوح" النص بقوله:"...أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل،كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها.وهو مجرد حاصل جمع للجمل-أو لنماذج الجمل-الداخلة في تشكيله"[3] و الجدير بالذكر أن هذا التعريف تزامن مع بداية اهتمام الباحثين العرب بمجال لسانيات النص،لكن مع تطور الاهتمام وتزايد الانفتاح اللساني على منجزات هذا العلم الجديد،ظهر تعريف متطور للنص للباحث نفسه،يبدو تأثره الواضح بالمفهوم الشمولي للنص عند كل من(دي بوجراند و دريسلر)،وذلك عند تحليله النصي لقصيدة-هند بنت

---

[1]-ينظر:محمد مفتاح-مساءلة مفهوم النص-منشورات كلية الآداب والعلوم-جامعة محمد الخامس-وجدة-المغرب-ط 01-1997 -ص(23-28)

[2]-أحمد المتوكل-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية(بنية الخطاب من الجملة إلى النص)-دار الأمان-الرباط-المغرب-ط 01- 2001-ص82

[3]-العربية من نحو الجملة إلى نحو النص-ضمن الكتاب التذكاري لذكرى عبد السلام هارون-جامعة الكويت- 1991-ص407

عجلان-للمرقش الأكبر،حيث يقول إن النص"حدث تواصلي،يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة"[1]

ويرى "منذر عياشي أن النص"شكلٌ من أشكال الإنجاز اللغوي يقيمه نظامه الخاص،ولأنه كذلك،فإنه يستغني بلغته عن غيره،أي عن المرسل و المرسل إليه.[2]ويعقب عادل مناع على هذا التعريف بقوله:"فهذا التعريف لم تتضح به معالم النص،فهو قاصرٌ،لأنه ينسى خيوط الرسالة والمقام،ويستغني عن المرسل والمرسل إليه،وفيه إغفالٌ لدور التناص."[3]

ومن خلال كتاب:بلاغة الخطاب وعلم النص،يقول "صلاح فضل":"علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قُدمت له في البحوث البنيوية و السيميولوجية الحديثة دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية(...) فتعريف (جوليا كريستيفا)-على تشابكه-قد ظفر باهتمام خاص،لأنه يطعن في كفاية النظر في هذا السطح،و يبرز ما في النص من شبكات متعالقة،فهي ترى أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول،إذ إنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يُعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية،بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة،لكنها غير قابلة للانحصار مقولاتها."[4]ويبدو جليا تأثر صلاح فضل بأنموذج كريستيفا الشمولي،فنجده يقدم تعقيبا على تعريفها للنص في بقوله:"...و النص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية،مما يعني أمرين:الأول،علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع(عن طريق التفكيك وإعادة البناء).والثاني،يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى،أي

---

[1]-سعد مصلوح-نحو أجرومية للنص الشعري-مجلة فصول-القاهرة-مصر-مج10 –ع(01-02)-جويلية،أوت- 1991-ص(153-154)
[2]-الأسلوبية وتحليل الخطاب-مركز الإنماء الحضاري-حلب-سوريا-ط 01- 2002-ص121
[3]-نحو النص(اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية)-ص18
[4]-بلاغة الخطاب وعلم النص-الشركة المصرية للنشر-لونجمان-القاهرة-مصر-ط 01-1996 -ص(294-295)

عملية تناص،ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر ونقضه".[1]

أما"الأزهر الزناد" فيعرف النص بقوله:"النص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض،وهذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة،و المتباعدة في كلٍّ واحد،هو ما نطلق عليه مصطلح النص."[2] فهو في تعريفه يركّز اهتمامه على العلاقات المتعددة و المختلفة التي تجعل من الملفوظ نصا،ونجده في كتابه الموسوم:نسيج النص،يتوسع في بيان العلاقات الزمنية والنحوية والدلالية التي تكفل النصية للملفوظ.

و النص عند الباحث النصي(سعيد حسن بحيرى) "وحدة كبرى شاملة لا تضمها وحدة أكبر منها،وهذه الوحدة الكبرى تشكّل جزءا من أجزاء أخرى مختلفة من الناحية النحوية على مستوى أفقي،ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي،ويتكون الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية،ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية."[3] وهذا التعريف في الحقيقة هو نتاج دمج لتعريفين:الأول ل"فان ديك"في قوله إن البنية الكبرى ذات طابع دلالي،والثاني ل"برينكر"الذي يقر بأن الأساس في مفهوم النص أنه عبارة عن وحدة لغوية...وإن قراءتنا لهذا التعريف تكشف أنه قد أغفل الجانب التداولي التواصلي،وهو على جانب كبير من الأهمية ،وقد اكتفى بالحديث عن الجانبين النحوي و الدلالي.

وينطلق(حماسة عبد اللطيف)من فرضية أساسية وهي ضرورة الاعتماد على المستوى النحوي في مقاربة النص الأدبي،فالانطلاقة العلمية السليمة في تفسير النص الشعري يتوجب أن تكون من النحو،وذلك حيث يقول:"...إذ إن النص لا يمكن أن يتنصص إلا بفتل جديلة من البنية النحوية والمفردات،وهذه الجديلة هي التي تخلق

[1]-المرجع نفسه-ص296
[2]-نسيج النص-ص12
[3]-علم لغة النص(المفاهيم والاتجاهات)-ص108

سياقا لغويا خاصا بالنص."[1].وهذا التصور في الحقيقة(=الارتكاز على التركيب النحوي في تفسير النصوص الأدبية) يعتبر الأساس الجوهري في الأنموذج النصي الذي رسم معالمه كل من(هاليداي و رقية حسن)حينما يقولان إنّ المعنى،يصاغ،وهذه الصياغة قد نعبر عنها بالكتابة،وقد نعبر عنها أيضا بالنطق...والمعول عليه هو الصياغة التي يتضافر في صنعها جانبان وهما الجانب النحوي(=التماسك النحوي)و الجانب المفرداتي(التماسك المعجمي:التكرار والمصاحبة المعجمية).

ولا يفوتنا _ونحن بصدد الحديث عن تلقي الباحثين العرب المحدثين لمفهوم النص الحديث _أن ننوّه بالمجهود الكبير الذي قام به محمد الشاوش في كتابه الموسوم:أصول تحليل الخطاب،حيث تتبع المصطلح باستقراء كافة التعريفات وتصنيفها،كما يظهر من قوله في خاتمة الفصل الأول من المجلد الأول من كتابه:"لقد قام تحديد النص والبحث في مكوناته على المقابلة بينه وبين الجملة بالخصوص.فالنص حدّد بإزاء الجملة واعتبر مقابلا لها كما تدل على ذلك العبارة(Versus)في عدد كبير من الأعمال التي اهتمت بالنص،وكان ذلك التقابل إما باعتبار الجمل أوعدد الجمل المتوفرة في النص من حيث ابتداؤه وانتهاؤه وقصره وطوله واشتراط الجملة الواحدة على الأقل لوجوده،وإما دون اعتبار الجملة بمحاولة تحديد النص على القضايا والأقوال...وفي جميع الحالات كان التساؤل حول النص مرتبطا بمفاهيم نحوية جملية منشؤها المنوالات التي تناولوا بها الجملة كالبنية العميقة والبنية السطحية والقدرة والإنجاز،ومرتبطا بقضية علاقة النص بفروع اللسانيات أو العلوم المتاخمة لها من نحو وبلاغة وأسلوبية،وكان التفكير في جميع الحالات داعيا إلى البحث عمّا يتوفر في النص من الخصائص و القواعد والأبنية سواء ما شارك فيه الجملة أو ما اختص به دونها."[2]

[1]-اللغة وبناء الشعر-دار غريب-القاهرة-مصر-ط 01- 2001-ص09
[2]-أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية(تأسيس نحو النص)-ج01 –ص104

أما عبد المالك مرتاض فنجد أنه في تأسيسه لمفهوم النص الأدبي متأثرا بآراء(رولان بارت)"..فالنص إذن نسج،وهو مكوّن من مواد تشبه أدوات النسّاج:فالخيط في تمثلنا يقابل مادة الحبر،والخلال قد يقابل أداة القلم،والكتاب قد يقابل هيئة المنسج،ومنتجات المنسج تشاكه من بعض الوجوه منتجات المطبعة(أو النساخة قبل اختراع المطبعة)،والنسّاج الصنّاع يبدع فيما ينسج،وهو يركّب الخيوط بعضها فوق بعض،كما يبدع في التنسيق بين الألوان،وفي الدقة في الحبك و الحياكة،مثله مثل الذي يكتب كلاما وهو يبدع فيما يكتب حين يركّب الحروف بعضها فوق بعض،وينسج لغة الكلام بعضها من حول بعض،وفي نشدان الجمال في حبك الأسلوب عبر النص الأدبي الذي هو بصدد إفرازه."[1]فالباحث بحكم اتجاهه النقدي الأدبي مهتمٌ بإحكام الصنعة وإتقان صنع الروابط الفنية التي تعالق العناصر الإبداعية في النص في كلّ متناغم.

ويربط جميل عبد المجيد مفهوم النص بالتواصل أو الاستعمال،فالنص لا يحدّد بكمّه،بل بمقدار ما ينجزه من وظيفة اتصالية أثناء الاستعمال.."يبلور مبدأ–دراسة اللغة في الاستعمال–الجانب الأكبر والأهم من جوهر علم النص،وما يحققه من نقلة نوعية،ذلك أن هذا المبدأ يعني الانتقال من دراسة اللغة في نظامها الافتراضي إلى دراستها في تجليها الطبيعي،حيث يستعملها الناس إنتاجا وتلقيا في موقف ما من أجل التواصل والتفاعل.وهم في هذا إنما يستعملون نصا،قد يتجسّد في مادة منطوقة أو مكتوبة،كبيرة مثل رواية أو مسرحية أو مجلد،أو في مادة صغيرة في شكل جمل أو جملة أو شبه جملة مثل:اليوم خمر وغدا أمر،للبيع،أو في مادة أصغر كالكلمة المفردة مثل:مغلق أوحريق.إذ لا اعتبار للحجم أو الكم،وإنما الاعتبار أن المادة قيلت أو كتبت على نية الاتصال..ومن ثم فإن الخاصية الأولى للنصوص من باب أولى هي كونها ترد في الاتصال."[2]

[1]-نظرية النص الأدبي-دار هومة –الجزائر-ط 01- 2007-ص(46-47)
[2]-علم النص(أسسه المعرفية وتجلياته النقدية) -ص141

وفي الختام نود أن نبسط المفهوم الذي قدمه محمد وهابي في مقاله المعنون ب:مفهوم النص،فبعد أن تحدث عن مفهومه اللغوي،انتقل إلى المفهوم الاصطلاحي حيث تضمن عدة مباحث تمثلت في مفهوم النص في الدراسات الحديثة(-من خلال أشكال تمظهره-من خلال كمه اللغوي-من خلال تداخله مع مصطلحات أخرى مثل الخطاب و الأثر و المتن-من خلال مكوناته وخصائصه-من خلال وظائفه و أشكاله التواصلية)ثم تعرض لمفهومه في التراث العربي القديم(عند علماء القرآن والتفسير-عند علماء البلاغة-عند نقاد الأدب)...وخلص في النهاية إلى تشكيل تعريف عام للنص يستوفي كل جوانبه،يقول في ذلك:"...على الرغم من كل الاختلافات حول مفهوم النص،لا بد لنا من أن نخرج بتصور يحدّده كمفهوم إجرائي قابل للتحديد والملاحظة والقياس،وبهذا سنتبنى من الآراء ما يؤكد فيه الخصائص التالية:

1-كيان لغوي:فنحن لا نتصور النص خارج اللغة،ونقصد بها أساسا اللغة الطبيعية التي تحكمها مجموعة من القواعد النحوية والتركيبية،وبهذا فنحن نقصي من النصية جميع أشكال التواصل الاصطناعية كلغة الرياضيات أو المنطق أوالحواسيب....

2-متوالية من الكلمات والجمل:وهذا يعني أن الكم اللغوي للنص،لا يمكن أن ينحصر في الكلمة وحدها أو الجملة وحدها،وإنما ينبغي أن يتكون من مجموعة من الكلمات والجمل.

3-نسيج:ونعني بذلك أن يكون بين مجموع الكلمات والجمل علاقة ترابط وانسجام،ويمكن اعتبار هذه الخاصية جوهر البناء النصي،لارتباط كلمة نص(Texte)بمعنى النسج من جهة،ولكون كثير من النظريات النصية اعتبرت الترابط والانسجام الذي هو من خصائص النسيج معيارا نصيا بامتياز من جهة ثانية.

4-مكتوب:وفي هذا إقصاء لكل مظاهر التواصل الشفوية والإشارية،وهذا ما أكّده بول ريكور حين قال:لنطلق كلمة نص على خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة.

5-يتضمن رسالة:وبهذا لا يكون النص مجرد كلام يبث في الفراغ،وإنما يكون خطابا موجها من مرسل إلى متلق معين،أي تكون هناك قصدية من طرف المرسل في إنتاج هذا الخطاب وتبليغه،ولا شك في أن هذه القصدية يستدعيها سياق يساعد على تمتين التواصل بين طرفي الرسالة."[1]

2-النص/المتن/الأثر/الخطاب:تحديد العلاقة

يتداخل مصطلح النص مع مصطلحات لسانية وأدبية أخرى،ويأخذ هذا التداخل أشكالا متعددة مثل الترادف والتعالق والتقاطع على مستوى الإجراء،في حين نجد الباحثين مختلفين في فهم العلاقات التي يقيمها مصطلح النص مع بعض المصطلحات الأخرى من قبيل مصطلح الخطاب حيث يرى بعضهم أنهما متطابقين في الدلالة ويرى البعض الآخر أن بينهما تعارض.

أ-النص و المتن:

كان العرب قديما يستعملون كلمة (المتن Corpus)و هم يريدون بها مصطلح النص،هذه التسمية التي أشاد بها الباحث السيميولوجي الكبير (رولان بارت)"يبدو أن علماء العرب استعملوا،وهم يتحدثون عن النص،العبارة الرائعة"المتن(الجسم)الصحيح(...)إنه نص النحويين والنقاد والشراح وفقهاء اللغة..."[2]،ولعل إعجاب (بارت) بهذه الكلمة نابع من الإيحاءات الإيروسية التي تنبعث منها والتي تسير جنبا إلى جنب مع رؤيته التنظيرية التي تؤسس للنص في علاقته باللذة.."..وإذا كانت العلاقات الإيروسية-في نظر بارت-هي القاسم المشترك بين النص والمتن،فإن هناك من يفرق بينهما على أساس أن النص وحدة لسانية قائمة بذاتها،أما المتن فهو النص أو

[1]-مفهوم النص-مجلة عالم الفكر-المجلس الأعلى للثقافة-الكويت-مج41 –ع02 –(أكتوبر-ديسمبر)- 2012-ص(222-223)
[2]-رولان بارت-لذة النص-ت:فؤاد صفا و الحسين سحبان-ص24

النصوص المعتمدة في دراسة ما."[1] و تجدر الإشارة إلى أن هذا المعنى قد أشار إليه كلٌ من (جريماس Greimasوكورتيس Courtes)في قاموسهما المشهور،حيث يقولان:" في بعض الأحيان يستعمل مصطلح النص في إطار محدود ومقيد،وذلك عندما نفرض عليه طبيعة الشيء الذي تمّ اختياره كحدٍّ من الحدود مثل كتاب لمؤلف أو مجموعة تعاليق معروضة أو شهادات مصنفة ...في هذا المعنى يصبح النص مرادفاً للمتن."[2]

ب-النص والأثر:

تحدث (رولان بارت) عن العلاقة القائمة بين المصطلحين(النص Texte)و(الأثر L'oeuvre) في مقاله المشهور المعنون ب:من الأثر إلى النص(1971)،حيث يقول:"...مقابل الأثر الأدبي-وهو مفهوم تقليدي نُظر إليه و ما زال بمنظور نيوتوني(غير نسبي)-دعت الحاجة إلى موضوع جديد،نتج عن زحزحة المقولات السابقة أوقلبها.هذا الموضوع هو النص."[3]

ونستنتج من خلال مضمون القول السابق أن بارت قد وقف موقفا نقديا اتجاه مدرسة النقد الجديد التي اعتبرت أن الكتابة إنجازٌ منغلقٌ على ذاته،ومستقل بنفسه،وهو موقف نقدي بنّاءٌ،لأنه عمد إلى تقديم بديل جديد تمثل في تصوره المبدع للنظرية النصية التي أعادت قراءة التصورات السابقة عن طريق آلية التفكيك(الهدم والبناء)،الأمر الذي جعله،في نظر كثير من مؤرخي الدرس الأدبي،المؤسّس الفعلي للتيار التفكيكي في النقد الحديث.ويحدّد صلاح فضل معالم هذه النظرية من خلال قراءته المُحكمة في كتابه"بلاغة الخطاب وعلم النص"فيقول فيها:"في مقابل العمل الأدبي،المتمثل في شيء محدد،نقترح مقولة النص التي لا تتمتع إلا بوجود

---

[1]- د/محمد وهابي-مفهوم النص-مجلة عالم الفكر-ص203

[2]-Greimas&Courtes-SEMIOTIQUE:Dictionnaire raisonne de la theorie du langage-ed.Seuil.1972.p390

[3]-درس السيميولوجيا-ت:عبد السلام بنعبد العالي-ص60

منهجي فقط،وتشير إلى نشاط،إلى إنتاج،وبهذا لا يصبح النص مجربا كشيء يمكن تمييزه خارجيا،وإنما كإنتاج متقاطع يخترق عملا أو عدة أعمال أدبية.النص قوة متحوّلة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم.يمارس النص التأجيل الدائم،واختلاف الدلالة،إنه تأخير دائب.فهو مبني مثل اللغة،لكنه ليس متمركزا ولا مغلقا،إنه لانهائي ولا يحيل إلى فكرة معصومة،بل إلى لعبة متنوعة ومخلوعة.إن النص وهو يتكون من نقول متضمنة،وإشارات وأصداء للغات أخرى وثقافات عديدة تكتمل فيه خريطة التعدد الدلالي،وهو لا يجيب عن الحقيقة،وإنما يتبدد إزاءها.إن وضع المؤلف يتمثل في مجرد الاحتكاك بالنص،فهو لا يحيل إلى مبدإ النص ولا إلى نهايته.بل إلى غيبة الأب،مما يمسح مفهوم الانتماء.النص مفتوح وينتجه القارئ في عملية مشاركة،لا مجرد استهلاك،هذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة.وإنما تعني اندماجهما في عملية دلالية واحدة.فممارسة القراءة مساهمةٌ في التأليف.يتصل النص بنوع من اللذة المشاكلة للجنس،فهو واقعة غزلية."[1]

ج-النص والخطاب:

يرى كل من(جريماس)و(كورتيس) أنه لا يوجد فرق في الغالب بين مصطلح النص ومصطلح الخطاب()حيث يقولان في قاموس السيميوتيك:"مصطلح النص يؤخذ في الغالب كمرادف للخطاب،خصوصا بعد التداخل الاصطلاحي مع اللغات الطبيعية التي لا تتوافر على معادل لكلمة خطاب(الفرنسية والإنجليزية)"[2].غير أنه وفي المرجع نفسه نجد أنهما يقرّان بوجود حالة واحدة تسمح بترادف المصطلحين،وهي أن يتعلقا بدلالات غير لسانية"إن المصطلحين معًا-النص والخطاب-يمكن أن يكونا مستعملين-على حد سواء-لتحديد المحور التركيبي

[1]-بلاغة الخطاب وعلم النص-ص(231-232)

[2]-Greimas&Courtes-SEMIOTIQUE:Dictionnaire raisonne de la theorie du langage-op.cit-p390-

للدلالات غير اللسانية:كتاب طُقوس،رقص رمزي،يمكن أن ينظر إليهما كنص أوخطاب."[1]. و في موضع آخر يقولان أيضا:"...بالنظر إليه كمجرد ملفوظ،يتعارض النص مع الخطاب،وفق مادة التعبير-خطية أو صوتية-الموظفة لإبراز التقدم اللساني."[2] .

ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نذكر رأي(بول ريكور) الذي يقف موقف النقيض مما ذهب إليه جريماس وكورتيس(Greimas&Courtes)،فإذا كان هذان الأخيران يستبعدان علاقة الترادف بين المصطلحين على أساس المظهر اللساني،فإن بول ريكور على العكس من ذلك يثبت هذا المظهر"لنطلق كلمة نص على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة."[3]..ويميز (كريسطال)بين المصطلحين على اعتبار أن "النص كائن فيزيائي منجز"[4] في حين يمثل الخطاب"موطن التفاعل والوجه المتحرك منه،ويتمثل في التعبير والتأويل"[5]...في الحقيقة وفي الحقل اللساني المعاصر لا نكتفي بالتفرقة بين النص و الخطاب على أساس أن النص ذو طابع مكتوب والخطاب ذو طابع منطوق.إن التمييز التقليدي ما بين المصطلحين في اللسانيات يرتكز في جانب كبير منه على مساءلة السياقات التي تحيط بالإنتاج أوالملفوظ،فهذا عالم النص الفرنسي(جون ميشال أدام J.M.Adam)يرى بأن الخطاب أشمل من النص،لأنه يضمّ النصّ وظروف إنتاجه(الكاتب والمكان والزمان والسياقات المتعددة التي تكتنفه) بينما النص هو الكيان اللساني لجسد الملفوظ بعيدا عن ظروف إنتاجه.

“assez communement admise aujourd’hui se resume de la facon suivante :

DISCOURS = Texte + conditions de production

---

[1]-Ibid-p390-

[2]-Ibid-p389-

[3]-بول ريكور-النص والتأويل-ت:منصف عبد الحق-مجلة العرب والفكر العالمي-مركز الإنماء القومي-بيروت-لبنان-ع03- 1988-ص37

[4]-نقلا عن:الأزهر الزناد-نسيج النص-ص15

[5]-المرجع نفسه-ص15

TEXTE = Discours – conditions de production''[1]

إذاً، فالخطاب لا يتحدد فقط بالاعتماد على خصائصه النصية،بل باعتبار وجوده أو تموضعه في وضع تواصلي خاص به،وفي المقابل يعتبر النص أداة أكثر تجريدا فهو حاصل طرح ظروف الإنتاج السياقية من الخطاب المحسوس.ويرى بعض اللسانيين أنه رغم اعتبار النص مجرد أداة لسانية في سبيل الدراسة،إلا أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعتبر أداة شكلية و ثبوتية فقط.يقول(فرانسوا راستييه F.Rastier):

il n'existe pas de texte(ni meme d'enonce)qui puisse etre produit par le " seul systeme fonctionnel de la langue(au sens restraint de mise en linguistique[2]

ومن جانب آخر يرى(ميشال هويMichael Hoey-)أن مصطلح النص لا يحيل فقط إلى وثيقة(منطوقة أومكتوبة) نستطيع تحليلها تحليلا لسانيا،بل بالإضافة إلى ذلك يمثل النص مستوى لسانيا يتموقع ما بين التركيب(syntaxe) والفعالية التواصلية أو الحوارية(interaction): ...the text level converts and combines grammatical strings into usable(parts of)interactions,whether these be conversations or the communication that takes place between writer and reader.[3]

ويلخّص (محمد العبد) الفروق القائمة ما بين النص و الخطاب بقوله:

"1-ينظر إلى النص في الأساس من حيث هو بنية مترابطة تكوّن وحدة دلالية.وينظر إلى الخطاب من حيث هو موقف ينبغي للغة فيه أن تعمل على مطابقته.

-J.M.Adam-Elements de linguistique textuelle-Bruxelles-Margada-1990 -p23-[1]

-F.Rastier-Sens et textualite-Hachette-Paris-1989-p37-[2]

-Michael Hoey-Patterns of lexis in text-Oxford university press-1991-p269-[3]

2-يحصل من ذلك القول بأن الخطاب أوسع من النص،فالخطاب بنية بالضرورة ولكنه يتسع لعرض ملابسات إنتاجها وتلقيها وتأويلها.ويدخل في تلك الملابسات ما ليس بلغة كالسلوكيات الحركية المصاحبة إيجابا للاتصال.

3-النص في الأصل هو النص المكتوب،والخطاب في الأصل هو الكلام المنطوق،ولكنه يتلبس بصورة الآخر على التوسع،إذ يطلق النص على المنطوق،كما يطلق الخطاب على المكتوب كالخطاب الروائي.

4-يتميز الخطاب عادة بالطول،وذلك أنه في جوهره حوار أو مبادلة كلامية.أما النص فيقصر حتى يكون كلمة مفردة(مثل:سكوت) ويطول حتى يصبح مدونة كاملة (مثل:رسالة الغفران).

5-يرتبط ميل الخطاب عادة إلى الطول والامتداد والحوارية بتمكينه من التعبير عن وجهات النظر والمواقف المختلفة.إذا اتخذنا من خطاب الرواية مثالا رأينا أن دراسة الخطاب تجري ضمن كل مظاهر الرواية التي تتصل بها مفاهيم مثل:الحوار و وجهة النظر والموقف ورؤية العالم ونبرة الخطاب واعتقادات المؤلف وأنواع الأحكام التي يصدرها وشبكة العلاقات التواصلية بين المؤلف والشخوص والقارئ الضمني...."[1]

3-تحول الدرس اللساني من الجملة إلى النص:

إن المتتبع لمسار التكوّن التاريخي لما يعرف بلسانيات النص أو نحو النص،يكتشف حتما بأنه ليس وليد فراغ،بل هو امتداد لما يعرف بلسانيات الجملة أو نحو الجملة،هذا الامتداد الذي لا يقتصر على الكم فقط،بل على النوع أيضا.فإذا كان موضوع لسانيات النص هو النص بمفاهيمه الإشكالية وتداخله مع مصطلحات أخرى من مثل:الأثر،والمتن،والخطاب،فإن الموضوع الجوهري لنحو الجملة يتمثل في الجملة بتعريفاتها العديدة وتداخلها مع مصطلحات كثيرة مثل القول والكلام.وفي سبيل الإحاطة بمفهوم لسانيات النص،سنحاول بسط الحديث عن

[1]-النص والخطاب والاتصال-الأكاديمية الحديثة-القاهرة-مصر-ط01 - 2005-ص12

لسانيات الجملة باعتبارها الممهد له،وسنبدأ بتحليل مفهوم الجملة ثم ننتقل إلى تحليل المقصود بنحو الجملة عند العرب القدماء و المحدثين،ثم نسائل حدود العلاقة القائمة ما بين نحو الجملة ونحو النص.

1-3-مفهوم الجملة:

تعدّ الجملة في العربية الوحدة الأساس في بناء النص لغويا،سواء كان النص مقروءا أو مسموعا،فالجملة من النص اللغوي كالخلية من الجسد تتكافل مع بعضها بعض في سبيل تشكيل نص لغوي كامل يتمّ به المراد وهو تحقيق الفهم والإفهام تحت غطاء التواصل البشري...وفي اللغة ورد في القاموس المحيط أن"الجملة:جماعة الشيء،وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة"[1].ويعدّ الفراء(ت207ه)أول من استخدم مصطلح الجملة،وذلك في كتابه(معاني القرآن)في مواضع كثيرة،نذكر منها قوله:"وتقول:قد تبين لي أقام زيد أم عمرو فتكون الجملة مرفوعة في المعنى،كأنك قلت:تبين لي ذلك."[2]ثم نجد المازني(ت249ه) فيما نقله عنه المبرد في المقتضب في باب (الإخبار في قول أبي عثمان المازني عن هذا الباب الذي مضى) يقول المبرد:(وفي قول أبي عثمان إذا أخبرت عنهما قلت الظاناني منطلقا هما،فتجعل الخبر(هما)وهو مضمر ثم تقول:والظانّ أخويك منطلقين أنا،فتعطف الجملة على الجملة،وفي صلة كل واحد منها ضمير يرجع إليه"[3].

ثمّ يأتي بعد ذلك المبرد(أبو العباس) الذي يعتبر أول من استخدم مصطلح الجملة بمعناها الاصطلاحي الذي شاع فيما بعد"وإنما كان الفاعل رفعا،لأنه هو والفاعل جملة يحسن عليها السكوت وتجب بها الفائدة للمخاطب"[4].وقد اختلف العلماء في مفهوم الجملة في الاصطلاح النحوي،وفي أقسامها أيضا،فهل هي مرادفة

---

[1]-الفيروزأبادي-القاموس المحيط-شركة فن الطباعة-مصر-ط05 –مادة(جمل)
[2]-معاني القرآن-تح:محمد علي النجار وآخرون- دار السرور-مصر-1955-ج01-ص333
[3]-المبرد-المقتضب-تح:محمد عبد الخالق عضيمة-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-1994-ج03-ص127
[4]-المرجع نفسه-ج01-ص146

للكلام أم غير مرادفة؟وهل يشترط فيها الإفادة والقصد أم لا يشترطان؟يمكن أن نلخص تعامل القدماء مع مفهوم الجملة في اتجاهين اثنين:اتجاه الإفادة واتجاه الإسناد.

أ-اتجاه الإفادة:يرى هذا الاتجاه أن الجملة والكلام شيء واحد،بمعنى أن الجملة لا يمكن أن تخرج عن مفهوم الكلام فهما مترادفان والكلام لغة يطلق على الكثير والقليل،فيشمل الجملة والجمل،فكما أن الكلام يعني التركيب اللغوي الذي يفيد فائدة تامة،أي فائدة يحسن السكوت عليها،فإن الجملة كذلك-في عرف أصحاب هذا الاتجاه ومنهم ابن جني(ت391ه)والزمخشري(ت538ه)-اللفظ الدال على معنى تام يحسن السكوت عليه،ففي الخصائص يقول ابن جني:"أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو:زيد أخوك،وقام محمد،وضرب سعيد،وفي الدار أبواك،وصه ومه،ورويد،وحاء،وعاء في الأصوات،وحس ولب وأفّ وأوّه،فكل لفظ استقل بنفسه،وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"[1]فابن جني ساوى بين الكلام والجملة في المعنى،في حين جعلهما مقابلين للقول،لأنه أعم منهما،فإذا كانا مشروطين بتحقيق الإفادة،فإن القول لا يشترط فيه ذلك"إذ أصله كل لفظ مذل به اللسان،تاما أو ناقصا،فالتام هو المفيد،أعني الجملة وما كان في معناها من نحو:صه وإيه والناقص ما كان بضد ذلك،نحو:زيد،ومحمد،وإن،وكان أخوك إذا كانت الزمانية لا الحديثة،فكل كلام قول،وليس كل قول كلاما."[2].

و يندرج الزمخشري ضمن هذا الاتجاه،حيث رادف بين الجملة والكلام فنجده يقول:"الكلام هو المركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى،وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك:زيد أخوك،وبشر صاحبك،أو في فعل واسم نحو قولك:ضرب زيد وانطلق بكر،وتسمى الجملة."[3]...لقد رادف الزمخشري ما بين الكلام و الجملة الأمر الذي يستلزم منه أن الجملة لا بد أن تحقق الفائدة بذاتها وهذا ما أسفرت عنه الأمثلة التي

---

[1]-الخصائص-تح:محمد علي النجار-دار الكتاب العربي-1957-ج01-ص17
[2]-المرجـــع نفســـ-ج01-ص17
[3]-الزمخشري-المفصل في العربية-دار الجيل-بيروت-لبنان-(د.ت)-ج01-ص06

أوردها الزمخشري،لكن حديث الزمخشري عن الإسناد لم يكن حديثا لذاته بل لكونه طريقا لتحقيق الفائدة و الاستقلال للجملة،فإذا توفر الإسناد وحده دون تمام الفائدة(أي عدم حصول الفائدة من الجملة بذاتها)فإنها لا تعدّ جملة،فهي وإن اشتملت على الإسناد فإنها لم تحقق الإفادة بذاتها،وهذا هو جوهر الاختلاف في مفهوم الجملة بين الاتجاهين،اتجاه الإسناد واتجاه الإفادة.

ب-اتجاه الإسناد:وهو اتجاه مقابل لاتجاه الإفادة،حيث يرى أصحابه أن بين الجملة والكلام فرقا وبينهما عموماً وخصوصاً،فالجملة أعمّ من الكلام،فإذا كان الكلام ذلك التركيب اللغوي الذي يحمل فائدة تامة،فإن الجملة لا يشترط فيها الإفادة،وإنما يكفي وجود الإسناد للحكم على التركيب بأنه جملة ولا يهم بعد ذلك أأفاد هذا الإسناد أم لم يفد.ومن أنصار هذا الاتجاه نجد الرضي(ت686ه)وابن هشام(ت761ه).يقول الرضي:"والفرق بين الكلام والجملة أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا،كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل(يقصد جمل الصفة والحال والمضاف إليه والصلة وجملة القسم....)والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته،فكل كلام جملة ولا ينعكس."[1] وفي شرح هذا الكلام يقول ابن هشام:"الكلام هو القول المفيد بالقصد،والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد،والمبتدأ وخبره كزيد قائم،وما كان بمترلة أحدهما نحو ضرب اللص وأقائم الزيدان وكان زيد قائما وظننته قائما.وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس،وهو ظاهر قول المفصل فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال:ويسمى جملة،والصواب أنها أعمّ منه،إذ شرطه الإفادة،بخلافها،ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط،وجملة الجواب وجملة الصلة وكل ذلك ليس مفيدا،فليس بكلام"[2]

[1]-شرح الرضي على الكافية-تح:يوسف حسن عمر-ج01-ص33
[2]-مغني اللبيب-تح:محمد محي الدين عبد الحميد-المكتبة العصرية-مصر-ط01-1999-ج01-ص431

صفوة القول في هذا الاتجاه هو أن كل كلام جملة،وليست كل جملة كلاما،لأن الجمل تطلق على التراكيب الإسنادية المفيدة بذاتها أو غير المفيدة بذاتها،في حين نجد بأن الكلام لا يطلق إلا على التراكيب المفيدة بذاتها لا غير.

من خلال هذا العرض الموجز يتبين لنا أن بين الاتجاهين تكاملا من حيث الرؤية اللغوية،فقد جعل الاتجاه الأول الفائدة التامة غاية التركيب بغض النظر عن مكونات هذا التركيب،وجعل الاتجاه الثاني غايته التركيب نفسه،حيث صارت حقيقة الجملة مرتبطة ارتباطا لزوميا بوجود عنصر الإسناد سواء أأفاد أم لم يفد.وفي ضوء ما سبق يمكن أن نستنتج أن الاتجاه الأول اتجاه معنوي بالدرجة الأولى،لا يهتم بالإسناد الشكلي وأدواته،اللهم إلا بعد تحصيل المعنى التام،فإن توفر الإسناد فهو أمر هامشي عرضي،وإلا فالتركيب جملة لأنه أدى مهمته المعنوية.هذا ونلاحظ أن الاتجاه الثاني اتجاه لفظي بالدرجة الأولى،لا يشغله تحصيل المعنى التام،اللهم إلا بعد اكتمال عناصر الإسناد،فإن وجدت عناصر الإسناد فالتركيب جملة،ولا يهم بعد ذلك أن يحقق المعنى التام أو لا.إذًا،فنحن بصدد اتجاهين أحدهما يغلّب جانب المعنى والآخر يغلّب جانب اللفظ أو الشكل.

ويرى(أحمد جمال الدين) في دراسته الموسومة :الجملة العربية:(دراسة في المفهوم والتصنيف)أن كل اتجاه قد وقع في إشكال،ويعرضه كما يلي:"أولا:بالنسبة لأصحاب اتجاه الإفادة،فإنهم بتحكيمهم المعنى في تحديد مفهوم الجملة،قد احتكموا إلى أمر نسبي،حيث إن إفادة المعنى أمر يخضع للظروف والملابسات المحيطة بالتركيب،ومن ثم فإنه قد يصير التركيب(ويل للمصلين)[1]و(لا تقربوا الصلاة)[2]جملة،وذلك إذا قيل في سياق التهديد والوعيد والبطش بالمسلمين،لأنه أدّى المعنى التام الذي يحسن السكوت عليه من قبل الكافر الناطق به.وكذلك التركيب:(ماخلق الله

[1]-التركيب ويل للمصلين جزء من قوله تعالى:(فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)[الماعون:4،5]
[2]-التركيب لا تقربوا الصلاة جزء من قوله تعالى:(ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى)[النساء:43]

السموات والأرض وما بينهما)[1]فإنه جملة،لإفادته معنى تاما عند الدهريين الذين يقولون إن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه بلا صانع.في حين أن هذه التراكيب نفسها سيحكم عليها بأنها ليست جملا في سياق القرآن الكريم إذ أنها جميعا لا تؤدي معنى مفيدا إفادة تامة."[2].إذا،فهذا المعيار _بخضوعه لسياق الموقف_لا يعدّ حاسما في تحديد الجملة،إذ يترتب على الأخذ به أن يصبح التركيب الواحد جملة في سياق وغير جملة في سياق آخر.

أما عن الإشكال الذي وقع فيه أنصار الاتجاه الثاني(الإسناد) فيقول:"ثانيا:بالنسبة لأصحاب اتجاه الإسناد فإنهم جعلوا الإسناد غاية يتوصل بها إلى تحديد الجمل،ومن ثم اشترطوا وجود عنصرين أساسيين،لا يستغنى عن أحدهما،للحكم على التركيب بأنه جملة.وقد أحسن أصحاب هذا الاتجاه في قصرهم مفهوم الجملة على أساس وصف النموذج التركيبي الذي يدخل في عداد الجمل،لأن هذا الصف الشكلي يعدّ حاسما في تحديد مفهوم الجملة على عكس الاحتكام إلى المعنى،إلا أنهم وقعوا في خطأ منهجي كبير حين وازنوا بين الكلام والجملة فقالوا إن كل كلام جملة،إذ أنّ مقتضى هذا القانون أن يشتمل كل كلام على عنصري الإسناد...وعندما وجدوا بعض التراكيب من الكلام المفيد ولكنهم لم يجدوا في هذا الكلام أحد عنصري الإسناد،اعتمدوا على سياق الموقف في محاولة العثور على شكل تركيبي ولو مقدّر يتضح فيه عنصرا الإسناد.وتفصيل ذلك أن الأشكال التركيبية التي ينعقد بها الكلام هي:

(1)اسمان:ويتمثل هذا الشكل التركيبي في أربع صور:

أ-مبتدأ+خبر،نحو:زيد قائم

ب-مبتدأ+فاعل سدّ الخبر،نحو:أقائم أخواك؟

ج-مبتدأ+نائب فاعل سدّ مسدّ الخبر،نحو:أمُكرم أخواك؟

[1]- التركيب ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما جزء من قوله تعالى:(ما خلق الله السموات و الأرض وما بينهما إلا بالحق)[الروم:43]
[2]-الجملة العربية:دراسة في المفهوم والتصنيف-كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية-جامعة القاهرة-ص287

د-اسم+الفاعل،نحو:هيهات العقيق

(2)فعل+اسم:ويتمثل هذا الشكل التركيبي في صورتين:

أ-فعل+فاعل،نحو:قام زيد

ب-فعل+نائب فاعل،نحو:أُكرم زيد

(3)جملتان:ويتمثل هذا الشكل التركيبي في صورتين:

أ-جملتان مرتبطتان بأداة من أدوات الشرط،نحو:إن قام زيد قمت

ب- جملتان مرتبطتان بأداة من أدوات القسم،نحو:أحلف بالله لزيد قائم

(4)فعل واسمان:نحو:كان زيد قائما

(5)فعل وثلاثة أسماء:نحو:علمت زيدا فاضلا

(6)فعل وأربعة أسماء:نحو:أعلمت زيدا عمرا ناجحا

(7)اسم وجملة:نحو:زيد يقوم أبوه

(8)حرف واسم:نحو:ألا ماء(للتمني) و يا زيد(للنداء)

إنّ أصحاب اتجاه الإسناد،إن ساغ لهم إدراج الأشكال السبعة الأولى تحت مسمى الجملة لتوفر ركني الإسناد في كل شكل منهما،فإن الشكل الثامن لايتوفر فيه ركنا الإسناد سواء في التمني أو النداء،ومن ثم فإنه كان ينبغي عليهم_حتى يتسم منهجهم بالاتساق وعدم التناقض_أن يخرجوا هذا الشكل من دائرة الجملة،ولكنهم نظرا للقانون(كل كلام جملة) الذي ألزموا أنفسهم به،نتيجة للقول بعموم الجملة وخصوصية الكلام،نظرا لذلك فقد أدرجوا الشكل الثامن تحت مسمى الجملة...وكان عليهم بعد ذلك أن يبحثوا عن ركني الإسناد،وحينئذ لجأوا إلى

الافتراض والتقدير فقالوا:إن الأسلوبين التمني(ألا ماء) والنداء(يا زيد) أصلهما جملة فعلية،وقدّروهما:أتمنى ماء،وأدعو زيدا وبذلك يقدّرون فعلا واجب الحذف ناب عنه الحرف(ألا) في التمني و(يا) في النداء."[1]

والملاحظ أن رغبة النحاة الملحة في استقامة قاعدتهم:كل كلام جملة،هو الذي اضطرهم إلى أسلوب التأويل والتقدير والافتراض وهو أسلوب مناف لطبيعة اللغة، لأنه يرتكز على النظر فيما وراء اللغة بدلاً من تحليل اللغة نفسها.

وقد كان من الممكن تفادي هذه الإشكالات في تحديد مفهوم الجملة،لو أن النحاة نظروا في أنماط التراكيب المحتملة بين الإفادة والإسناد فسيجدون أن العلاقة بينهما تأخذ الأنماط التالية:

1-إسناد(+)فائدة تامة،نحو:محمد مجتهد،اجتهد محمد

2-إسناد(-)فائدة تامة،نحو:إن يأت محمد....،أو:....يقوم أبوه إذا كانت خبرا مثلا.

3-فائدة تامة(-)إسناد.نحو:ألاماء،يا زيد.

فالشكل الأول يمثل أتمّ الأشكال التركيبية وأمثلها،فهو يحتوي على ركني الإسناد وتمام الفائدة أيضا.والشكل الثاني يحتوي على الإسناد لكنه خال من تمام الفائدة.أما الشكل الثالث فيشتمل على الفائدة التامة، لكنه خال من عنصري الإسناد.فالشكل الأول جملة عند كلا الاتجاهين لأنه حقّق تمام الفائدة(اتجاه الإفادة) وتوفر على عناصر الإسناد(اتجاه الإسناد).لكن الاختلاف يظهر في الشكلين الثاني والثالث،فالشكل الثاني جملة عند اتجاه الإسناد لذلك يقولون:جملة الشرط،جملة الجواب،جملة الحال،جملة الصلة،جملة الصفة....لتوفر ركني الإسناد في كل منهما مع أنها لا تشتمل على تمام الفائدة.لكن أنصار اتجاه الفائدة لم يعترفوا بانتماء هذا الشكل إلى مفهوم الجملة

[1]-المرجع نفسه-ص287-288

على الرغم مما فيه من إسناد إذ المعيار الأساس عندهم هو تحقيق تمام الفائدة.أما عن الشكل الثالث فهو عند أنصار اتجاه الإفادة جملة،لكنه عند أنصار اتجاه الإسناد ليس بجملة حتى يجدوا له تأويلا يقدّرون فيه ركني الإسناد.

ويرى أحمد جمال الدين أنه يمكن التركيب بين الاتجاهين،حيث يقول:"إن الجملة هي ما توافر فيها وجها الإسناد والإفادة أو أحدهما،فتكون الأشكال الثلاثة من الجمل،ثم تُقيّد كل جملة بوصف يعبر عن طبيعتها بالنظر إلى الوجهين معا.فنطلق على الشكل الأول مصطلح(الجملة المكتملة)أي الجملة التي استوفت وجهيها الشكلي والمعنوي أو الإسناد والفائدة التامة،ونطلق على الشكل الثاني مصطلح(الجملة شبه المكتملة)أي الجملة التي كانت في أصلها مكتملة،باشتمالها على ركني الإسناد والإفادة ثم أسفّت عن درجة الاكتمال بدخولها في التركيب الأكبر،مما اقتضى احتياجها إلى ما يربطها بالتركيب الأكبر الذي صارت جزءا منه،وهذا أدّى إلى عدم تمام فائدتها بذاتها(...)أما الشكل الثالث فإنه لما كان خاليا من الإسناد،كان من السائغ أن نطلق عليه اسم (الجملة المختصرة)."[1]

2-3-مفهوم لسانيات الجملة(=نحو الجملة):

يتفق الباحثون في علم اللغة أن الدراسات اللسانية البنيوية:النحو التحويلي التوليدي لدى تشومسكي،ونحو التبعية(التعليق) لدى تنيير،ونحو الحالة لدى فيلمور قد انصب اهتمامها على المركب الفعلي أوالإسناد باعتباره نواة الجملة،وتعاملت مع المركبات الاسمية بوجه خاص في نموذجي نحو التبعية ونحو الحالة بوصفها قيما تابعة في نظرية التكافؤ(قوة الكلمة) وما أُطلق عليه في نحو الحالة اسم الحالة العميقة...لقد كان بحثهم محدودا بغاية قصوى وهي دراسة الجملة لاعتقادهم أن الجملة هي أكبر وحدة مستقلة.فلسانيات الجملة هي صورة

[1]-المرجع نفســـهـص290-291

من صور التحليل النحوي المحدود بسقف الجملة لا يتجاوزها إلا في القليل النادر،كالاستدراك مثلا."فإذا ما تعدى الأمر في تجاوز حدود الجملة إلى مجموعة تتابعات كبرى تتصل بكلية النص،وبنائه العام عن طريق البحث في تلك الظواهر التي تتعلق ببنية النص الكلية،فإن ذلك تجاوز لنحو الجملة إلى نحو النص."[1]فنحو الجملة ،إذًا ،هو المنطلق في التحليل النحوي للنص،حيث يوفر إجراءات عملية للباحث على اعتبار أن الجملة هي اللبنة الأساسية المكوّنة للنص الذي يعتبر توال لمجموعة من الجمل.يقول(فان ديك):"...ونظرا لأن أي تتابع يمكن أن ينشأ من جملة فيجب أن يشتمل أي نحو لوصف التتابع_في حقيقة الأمر_على نحو لوصف الجملة،فالنظر العميق في بنية الجمل ضروري للغاية إذا ما وضع في الاعتبار أن العلاقات على نحو ما ترد في التتابعات لا تقوم في الأغلب على علاقات بين عناصر الجمل المنفردة(المختلفة)،ويجب أن يُقدّم_انسجاما مع أهداف النحو_وصف لتتابع الجمل يُعد أساس المنطوق اللغوي."[2]

وقد قام الأستاذ بجامعة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية(روبرت دي بوجراند) بوضع مبادئ عامة توجه كلا من نحو الجملة ونحو النص،في قسم تحت عنوان:النص في مقابل الجملة،من كتابه الموسوم:النص والخطاب والإجراء[3]، الذي نقله إلى العربية تمام حسان،وفيما يلي سنلخص طرحه:

يقوم نحو الجملة على التزام أسس عامة،قد يتجاوزها أحيانا،وهي أسس لصيقة بنحو الجملة،يعرض دي بوجراند بعضا منها:أ-استقلال النحو عن السياق اللغوي،ومعنى هذا أن نحو الجملة لا يربط تحليله بالسياق الذي وردت فيه الجملة،فهو مهمل للمواقف اللغوية،ولا يسهل_في الحقيقة_تقبل مثل هذا الاعتقاد لصعوبة بل استحالة غياب التعالق مابين الجملة والسياق أو الموقف اللغوي،لأن هذا يعني بناء جمل وغياب تواصل.

[1]-أحمد عفيفي-نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)-ص65
[2]-فان ديك-علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)-ت:سعيد حسن بحيرى-ص45-46
[3]-ينظر:دي بوجراند-النص والخطاب والإجراء-ت:تمام حسان-ص(88-96)

نحو الجملة يتعامل مع الجملة على أنها مستقلة بذاتها،مما يجعله نحو تحليل وليس نحو تركيب،الأمر الذي يؤدي إلى إخضاع كل الجمل المركبة لقواعد ثابتة وبسيطة.ويرى(دي بوجراند)أن هذين المبدأين يمثلان عائقا أمام التحليل الذي يواجه متتاليات الجمل،فهما يعملان على قولبة اللغة في نماذج ثابتة،وتغييب التكافلات النحوية ما بين العناصر النحوية وهذا ما سبب ثورة (دي بوجراند)على نموذج النحو التحويلي المرتكز على الجملة.

يمتاز نحو الجملة بالإطراد،ومفاده ثبات القاعدة في الحكم على اللغة الفصحى(مجموع القواعد)،في حين نجد نحو النص متمردا على هذا القانون وذلك لانفتاحه على الانزياحات الأسلوبية التي يعمد إليها منتج النص لغايات فنية وجمالية ودلالية.

أضاف (دي بوجراند) إلى ذلك صفة المعيارية،وهي من السمات البارزة التي تميز نحو الجملة الذي يقوم على أساس القاعدة،المعيار الذي به نميّز صحة الجملة من خطئها،فنحو الجملة،إذا،يوافق الأساس أو القاعدة،في حين نجد نحو النص ينأى عن هذه الصفة"لأنه نحو تطبيقي غير نظري،فلا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص،وبعد أن يكون حاضرا ومعرضا لتطبيق النحو عليه مستخرجا من مادته."[1] وبتعبير آخر:المعيار ينبثق دوما من داخل النص لا من خارجه،الأمر الذي يؤدي إلى نسبية المعايير فيه واختلافها.

في نحو الجملة،تُطلق القاعدة مسبقا(الإطلاق)لتصبح منوالا لكل قول وعليه ينتج الحكم على الجملة قبل إنتاجها،في حين يكون الحكم بعد إنتاج النص في نحو النص في حالة التواصل الإبلاغي.

يمتاز نحو الجملة أيضا بالفاعلية المحدودة،حيث يقتصر على البحث في العلاقات داخل إطار الجملة الواحدة،لا يتجاوزها إلا في بعض الحالات الدلالية البسيطة التي تجمع بين جملتين أو أكثر مثل الاستدراك والتعليل

[1] - سعد مصلوح-العربية من نحو الجملة إلى نحو النص-ص01

والإضراب والشرط وغيرها.لكن في نحو النص ينصب الاهتمام كله على النص والعلاقات التي تجمع أجزاءه جمعا منظما معللا.

وفي تعليقه على الفرق القائم مابين نحو الجملة ونحو النص،يقول تمام حسان في تقديمه لكتاب دي بوجراند:"...وإذا كان اتجاه البحث في النظام الافتراضي(نحو الجملة) إلى التحليل فإن الاتجاه في دراسة الاستعمال(نحو النص) غلى التركيب.وإذا كانت الغاية من التحليل هي الوصف،فإن الغرض من التركيب هو الاتصال،والاتصال لا يتم بواسطة وصف الوحدات الصغرى صوتية وصرفية،ولا بعرض العلاقات النحوية،وإنما يتم باستعمال اللغة في موقف أدائي حقيقي،أي بإنشاء نص ما...وليس لأحد الاتجاهين أن يلغي الآخر فلا الاعتراف بالنصية يلغي الدراسات التحليلية،ولا تغني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسة النصية."[1]

3-3-لسانيات النص:

أ-فضاء النشأة:

غني عن البيان أن نحو الجملة_مع الاعتراف بقيمته المعرفية الكبيرة_قد عجز عن رسم معالم الطريق العلمي المنهجي لفهم اللغة بأشكالها المتعددة والإبداعية،ومستويات استخدامها المتنوعة،ويعزى ذلك لوقوفه عند حدود الجملة التي كانت تمثل الوحدة الكبرى في الدراسة والتحليل،الأمر الذي جعل تجاوز مستوى الجملة في التحليل اللساني أمرا لا مناص منه"قثمة ظواهر لا يمكن أن توصف في إطار التي تنتقل من كونها كلّا في مرحلة عزلها عن سياقها المقالي والمقامي إلى مرحلة تكون فيها جزءا من منظومة أكبر هي النص."[2].وقد أشار(درسلرDressler) في صدد حديثه عن بدايات تكوّن علم لسانيات النص إلى العمل المبكر ل(H.Weil) 1887حيث علّق تتابع

[1]دي بوجراند ،درسلر-النص و الخطاب و الإجراء –ص04
[2]-المرجـع نفســـه-ص89

اللفظ على تتابع الأفكار وفصل هذا التتابع عن النحو،وعرض من خلال هذا الإجراء جملة من المعايير الوظيفية التي تحكم الجملة ومفهوما خاصا بأسلوب الأفكار أيضا."[1]،ويرى محمد الشاوش تعقيبا على هذا المنهج أن"(تتابع اللفظ متعلق بتتابع الأفكار) كانت حجر الزاوية في فكر الجرجاني مع الفارق الكبير المتمثل في فصل(Weil)تتابع الأفكار عن النحو وربط الجرجاني بينهما."[2]وقد ذكر سعيد بحيرى في التأريخ لهذا العلم،بأن كثيرا من الدارسين رأوا بأن بداية البحث في النص تعود إلى رسالة الباحثة الأمريكية(I.Nye)التي قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة1912،وتضمنت فصلا يبحث في الربط بين الجمل،وتعرضت أيضا لدراسة بعض الظواهر النصية مثل ظاهرة النقصان وعدم الاكتمال وظاهرة التكرار وغيرها أنها أشكال محددة للعلاقات الداخلية بين الجمل المختلفة وحاولت اكتشاف كنه هذه العلاقات[3].من جهة أخرى يرى كثير من الباحثين أن البداية الفعلية الحقيقية لتحليل الخطاب كانت على يد(زيلج هاريس Zellig Harris)في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين.يقول سعد مصلوح:"ولم يبدأ الاتجاه إلى نحو النص في فرض وجوده إلا مع بدايات النصف الثاني من هذا القرن،حيث نشر(زيلج هاريس)دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان تحليل الخطاب (Discourse Analysis) إذ أنه بهاتين الدراستين لم يكن أول لساني حديث يعدّ الخطاب موضوعا شرعيا للدرس اللساني فحسب،بل إنه جاوز ذلك إلى تحقيق قضاياه التي ضمّنها برامجه بتقديم أول تحليل منهجي لنصوص بعينها،وقد خرج بذلك عن تقليد أرساه(بلومفيلد)يقضي بأن التعبير المستقل بالإفادة أو الجملة هو ما يهتم به اللساني،أما النص فليس إلا مظهرا من مظاهر الاستعمال اللغوي."[4] وقد تطور البحث اللساني النصي بعد ذلك بمجموعة من المحاولات الجادة،منذ النصف الثاني من الستينيات،لتظهر المحاولة الرائدة التي قدّمها كل من

---

[1]-نقلا عن:د/سعيد حسن بحيرى-علم لغة النص-ص18

[2]-أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية-جامعة منوبة-كلية الآداب-منوبة-تونس-ط01-2001-ج01-ص76

[3]-ينظر د/سعيد حسن بحيرى-علم لغة النص-ص18

[4]-العربية من نحو الجملة إلى نحو النص-ص407-408

(هاليداي Halliday)و(رقية حسن)في كتابهما"التماسك في الإنجليزية"(Cohesion in English)في سنة1976،حيث عالجا بالدرس وسائل الربط التي تتجاوز مستوى الجملة تطبيقا على اللغة الإنجليزية...وفي عام1977بسط(فان ديك Van Dijk)تصورا جديدا لتماسك النصوص في كتابه"النص والسياق"(Text and Context)،فلم يكتف بدراسة البنية الداخلية للنصوص كما فعل هاليداي ورقية حسن،بل وظّف المعطيات التداولية،وربط بنية اللغة النصية بالعالم الخارجي(سياق الاتصال) ثمّ قدّم بعد ذلك رؤية أكثر شمولا في مؤلفه(علم النص مدخل متداخل الاختصاصات) حيث درس النص من زوايا متعددة ومتكاملة:الدلالية والبلاغية والتداولية والاجتماعية والسيكولوجية والأسلوبية،وهي زوايا تتضافر في سبيل فهم النص وتفسير آليات إنتاجه وجماليات تلقيه.

وفي سنة(1981)رسم كل من(درسلر Dressler)و(دي بوجراند DeBeaugrande)معالم منهج شامل يستثمر كل الجهود النصية السابقة عليهما،ووضعا مدخلا لدراسة النص في كتابهما"مدخل إلى لسانيات النص"(Introduction to text linguistics) من خلال سبعة معايير للنصية(=ما يميّز النص من اللانص)وهي:التماسك والانسجام والإعلامية والتناص والسياق والقصدية والمقبولية.

ب-مسوّغات التحوّل من الجملة إلى النص:

يعلّل سعد مصلوح التحوّل إلى نحو النص بقوله:"...ثمة إذن نمطان من النحو،أما أولهما فنشير إليه في العنوان بمصطلح نحو الجملة(Sentence Grammar)،وإليه ينتمي النحو العربي في صورته المعروفة،ونحو الجملة هو طراز من التحليل النحوي يقيّد معالجته بحدود الجملة أو القول المفيد إفادة يحسن السكوت عليها،ويرى فيها أكبر وحدة لغوية يطمح إلى تحليلها وتقعيدها،على خلاف بين المدارس اللسانية في مفهوم التقعيد نفسه:أهو تصور تنظيمي يقترحه الباحث مسقطا إياه على المادة اللغوية،أم هو كشف واستكناه لنظام باطن ومستكن بالفعل

وراء ظاهرات السلوك اللغوي؟ونحو الجملة حين يعدّ قواعدها منتهى همّه ومبلغ علمه لا يقرّ للنص بكينونة متميزة توجب معالجة تركيبه معالجة نحوية تستجيب لمقتضيات بنيته وتكون مؤهلة لتشخيصها ووصفها،وبهذا يقع النص خارج مجال الدرس النحوي."[1]ويضيف سعد مصلوح مستطردا:"...إن نحو النص الذي نريده وندعو إليه هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة،وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي،يبدأ من علاقات ما بين الجمل،ثم الفقرة،ثم النص أو الخطاب بتمامه."[2] وفي السياق نفسه يقول(برند شبلنرBernd Spillner):"يقوم علم لغة النص على فكرة أن النص يعدّ الموضوع الرئيسي في التحليل والوصف اللغوي،هذا على الرغم من أن الجملة تعدّ(تقليدا ومازالت)أكبر وحدة لغوية.هكذا كانت النظرة إلى النحو التحويلي في شكله المعروف الذي ظهر لأول مرة في السنوات الخمس عشرة الماضية على أنه نحو الجملة،فالجملة هي المقصد في القضية التحويلية.وتعرف اللغة في النظرية التحويلية على أنها مجموعة من الجمل التي ينتجها النحو،إن تركيبة(المتكلم-السامع) تتقرّر بناء على الكفاءة نحوية الجملة وقبولها،وسبقت الإشارة إلى أن وحدة (الجملة) ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي،وهكذا يمكن الحكم بقبول جملة ما إذا أرجعها الإنسان إلى الجملة السابقة،وتتضح الحاجة إلى إرجاع المسائل العملية البسيطة إلى معلومات الجمل السابقة..."[3].

ويوضّح (محمد العبد) في كتابه:اللغة والإبداع الأدبي قيمة هذا التحول بقوله:"لقد رأى علماء علم اللغة النصي من أمثال(بتوفيJ.S.Petofi)،و(هاريسZ.Harris)وغيرهما،رأوا أن الجملة ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي،إذ لا بد من أن يتجه الوصف في الحكم على وحدة الجملة من وضعها في إطار وحدة كبرى هي النص.وقد عدّ علم لغة النص في رأيهم تطوّرا وتوسيعا لعلم لغة الجملة الذي شُغل به البنائيون الأمريكان منذ(بلومفيلد)،كما شُغلت به مدرسة(تشومسكي)في الكفاءة اللغوية التي توصف توليديا في إطار القدرة على

---

[1]-المرجع السابق-ص407

[2]-المرجع نفسه-ص407

[3]-برند شبلنر-علم اللغة والدراسات الأدبية-ت:محمود جاد الرب-الدار الفنية للنشر والتوزيع-ط01 - 1987-ص184

توليد الجمل.وقد استطاع(هاريس) بمناهجه النصية المبكرة التي اعتمدها في تحليل الخطاب(1952)تطوير المناهج البنيوية المتبعة في تحليل الجملة.لقد عُني علم اللغة النصي في دراسته لنحو النص بظواهر تركيبية نصية مختلفة منها:علاقات التماسك النحوي النصي،وأبنية التطابق والتقابل،والتراكيب المحورية،والتراكيب التابعة والتراكيب المجتزأة،وحالات الحذف،والجمل المفسرة والتحويل إلى الضمير والتنوعات التركيبية وتوزيعها في نصوص فردية،وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة،وهي التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية."[1].ويقول حماسة عبد اللطيف في كتابه النحو والدلالة:"إن تجزئة النص من أجل دراسته ليست تجزئة يراد بها تحنيط هذه البقايا المجزأة،ولكن يراد بها أن نفهم عقليا حركة الأجزاء والعلاقة فيما بينها في الجسم الحي الذي نحبه وهو النص"[2].

فالنص هو الغاية المنشودة وإن كانت نقطة البدء في التحليل هي الجملة.انطلاقا من الأقوال السابقة نستنتج بأن مسوّغات التحوّل لسانيات الجملة إلى لسانيات النص كثيرة ومتنوعة وضرورية أهمها أن لسانيات الجملة تدرس الجملة بمعزل عن مختلف السياقات التي أنتجتها(لغوية،مقامية،اجتماعية...)في حين أنه يجب الربط ما بين بنية الجملة اللغوية وبقية الجمل السابقة واللاحقة التي تكوّن معها جسد النص.ثمّ إن دلالة النص ليست هي مجموع الدلالات الجزئية للجمل،فالنص مشفّر في الجمل ويتكوّن من خلال الجمل وليس بالجمل،لذلك فللنص كيانه الخاص المستقل عن مجرد جمع جمله.أضف إلى ذلك أن الاقتصار على الجملة لا يمكن أن يكشف عن طبيعة النص ونمطه(حجاجية،سردية،وصفية،إخبارية....الخ) والتي من شأنها أن تغذي فهمنا وتذوقنا للنص المراد تحليله...

[1]-محمد العبد-اللغة والإبداع الأدبي-دار الفكر-القاهرة-مصر-ط01-1989-ص33

[2]-النحو والدلالة-ص165

وفي الختام نورد تلخيصا لمسوّغات الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص،قدّمه (خليل بن ياسر البطاشي)حيث يقول:"وهناك مجموعة من الأسباب دعت اللغويين إلى توسيع مفهوم النحو ليشمل النص بعد أن كان مقصورا على تحليل الجملة،منها:

1-أهمية البعد عن الشواهد المتكلفة في أثناء المعالجة اللغوية،والحاجة لشواهد عفوية مقنعة بالظاهرة اللغوية موضوع الدراسة وتلك الشواهد أوفر في الجملة الواحدة بل في نص متكامل أُنتج في موقف ما.

2-عدم اكتفاء الجملة المفردة بذاتها وحاجتها إلى ما حولها من الجمل،أي بترها عن سياقها لا يعطيها دلالة صادقة،ومن ثم يفقد التحليل صفة الوعيية،لذلك تباينت القراءات الحديثة_القائمة على أساس أن النص كل متكامل_للنصوص القديمة(مثل المعلقات) عن القراءات القديمة للنصوص نفسها،التي نهجت في تحليلها نهج الاهتمام بأجزاء النص،وفصلها بعضها عن بعض.

3-في الاقتصار على دراسة الجملة تجاهل لنواح دلالية وسياقية كثيرة،مما يؤدي إلى التركيز على الجوانب التركيبية البحتة،ويحوّل اللغة إلى شكل فارغ من أي مضمون،ماعدا البنية السطحية الظاهرة لها.وإذا صلح هذا في دراسة الخطاب اليومي فلن يصلح في دراسة اللغة الأدبية.

4-انفتاح الدراسات اللغوية على مختلف العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع وعلم النفس والإعلام مما أدى إلى الحاجة الماسة إلى دراسة أثر هذه الجوانب في العملية الاتصالية.

5-عندما نعتمد التحليل النصي نجد أن هناك إمكانية عالية لتأويل الأوضاع المختلفة للجملة بناء على السياق الواردة فيه،على العكس من حالة فصل الجمل عن سياقاتها.

6-الحكم على تركيب ما أنه جملة من عدمه يكون حسب المقابلات و المقارنات بين الأنماط المعهودة المتفق عليها،أما النص فيكون الحكم عليه من خلال تحقيقه لوظيفة الاتصال،وإن خالف بعض القواعد النحوية وشذّ عنها

أحيانا كما يحدث في الشعر،إذ تبرز فيه ظاهرة الانحراف عمّا تمّ الاتفاق عليه من الناحية التقعيدية لكنه على الرغم من ذلك يحقق الوظيفة الاتصالية بكفاءة عالية.أي أن للنص_كما يرى دي بوجراند_وظيفة براغماتية وهدفا يراد تحقيقه منه بعكس الجملة.

7-العوامل الاجتماعية والنفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل."[1]

ج-مفهوم لسانيات النص(أو نحو النص):

مصطلح لسانيات النص واحد من المصطلحات العديدة التي وُضعت لترجمة مصطلح لساني حديث شاع في الأبحاث اللغوية النصية في أروبا،فهو في الإنجليزية(Text Grammar) وفي الفرنسية(Grammaire de texte) وفي الهولندية(Textgrammatik).وقد نقله بعض المترجمين إلى العربية بمصطلح نحو النص أو نحو النصوص،أو علم اللغة النصي،ونظرية النص وعلم النص أو علم لغة النص أو أجرومية النص أو لسانيات النص،ولغويات النص أيضا"وهذا الاضطراب راجع إلى عدم استقرار هذا المصطلح في الغرب فقد عُبر عنه في الإنجليزية أيضا (Linguistics of text) و(Text linguistics) إلى أن أصبح(Text Grammar) أكثرها قبولا ودورانا."[2]وفي التركيب(نحو النص) يأخذ مصطلح(نحو)هنا"دلالة خاصة فهو يعني كل القوانين التي تحكم نظاما ما"[3].

فلما كان النحو في اصطلاح النحويين علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء،وغرضه معرفة صواب الكلام من خطئه فإن "نحو النص في اصطلاح النصيين علم بمبادئ وأصول يُعرف بها تماسك النص انسجاما واتساقا،وغرضه معرفة مدى تحقق نصية النص"[4].ويمكن تحديد مصطلح لسانيات النص بأنه"العلم الذي

---

[1] -الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب-دار جرير-عمان-الأردن-ط01 - 2009-ص32-33

[2] - الأزهر الزناد-نسيج النص-ص06

[3] -المرجع نفسه-ص18

[4] -د/عثمان أبو زنيد-نحو النص(إطار نظري ودراسات تطبيقية)-ص31

يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها،ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكّننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها،مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه(...)أو هو الدراسة اللغوية لبنية النصوص"[1].

وفيما يلي سنعرض بعض التعريفات التي اقترحها الباحثين في مجال علم النص:

-يقول مصطفى النحّاس:"نحو النص هو النحو الذي يتخذ من النص وحدته الكبرى للتحليل بعكس نحو الجملة،الذي يعدّ الجملة وحدته الكبرى للتحليل،أو هو دراسة الوظيفة الدلالية لبعض العناصر النحوية وربطها بشبكة الدلالة في النص."[2]

-أما صبحي الفقي فيحدّ نحو النص بأنه"ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة الكبرى،وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه،والإحالة أو المرجعية وأنواعها والسياق النصي ودور المشاركين في النص(المرسل والمستقبل)،وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"[3].

-ويقول فريد عوض حيدر عن نحو النص في كتابه(اتساق النص في سورة الكهف)أنه"علم من العلوم الحديثة،إذ تعود بدايته الفعلية إلى أربعة عقود من الزمن تقريبا،وهو يندرج تحت علم اللغة التطبيقي،إذ يهتم بتحليل النص(...)،واتجاهات تحليل النص في علم اللغة النصي متعددة ويمكن تصنيف أهمها في ستة اتجاهات:

1-اتجاه يهتم بالجانب النحوي ومنه أيضا نموذج يعدّ النص سلسلة من الإضمار،وآخر يهتم بالربط بين الجمل،واتجاه التجزئة النحوية للنص عند(فاينرش).

2-اتجاه يهتم بالجانب الدلالي ومنه نموذج السمات المعجمية بوصفها دلائل على الترابط النصي.

---

[1]-نادية النجار-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(الخطابة نموذجا)-مجلة علوم اللغة-مج09-ع02-دار غريب-القاهرة-مصر-2006-ص298

[2]--نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب-ص04

[3]-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-دار قباء-القاهرة-مصر-ط01-2000-ج01-ص36

3-اتجاه يهتم بالجانب النفسي.

4-وكان(فان ديك)قد قدّم نموذجه النحوي،فوسّع مفهوم النحو بحيث جمع في نموذجه بين عدد من الجوانب المطروحة في الاتجاهات السابقة،تلك الجوانب هي الجانب النحوي والدلالي والاتصالي التداولي...

5-نموذج التحليل النحوي الدلالي للنص الذي قدّمه(بتوفي)وهو قريب من نموذج(فان ديك)،فلم يكتف في تحليل النص بالكشف عن العلاقات الداخلية في النص،بل اتسع لمجموعة المعاني الخارجية للنص والمعاني الإضافية والمعاني الإشارية والمعاني الإحالية والمعاني التداولية وغيرها"[1]

وما يمكن ملاحظته مما سبق أن مفهوم لسانيات النص أو نحو النص يتبيّن بوضوح إذا ما قاربناه من زاوية المنهج الذي يعتمد عليه في دراسة النصوص وتحليلها،فهو ينطلق من فكرة أن النص يعتبر بنية لغوية كبرى(Macro structure) بالإمكان تقسيمها إلى بنيات لغوية صغرى(Micro structure) من خلالها نتوصل إلى بيان علاقات النص الداخلية وخصوصيته وتميّزه عن غيره من النصوص،والتحليل النصي في الحقيقة لا يتجلى في جوهره من خلال تطبيق نحو الجملة وإنما يتحقق من خلال تحليل العلاقات القائمة بين الوحدات النصية التي تضمّ مجموعات من الجمل،لأن للنص بناء شاملا تتجاوز دلالته الكلية دلالة مجموع مفرداته أو جمله"هذه الدلالة تتحقق من خلال التفاعل بين بنياته الصغرى التي تتآزر وتتداعى فيما بينها من أجل أن تؤدي دورها التركيبي والدلالي في تحقيق البنية الكبرى للنص"[2].

إذاً،فمنهج تحليل النص يسعى إلى تفكيك علاقات النص الداخلية ومعرفة أجزائه ومكوناته وطرق ارتباطها وتماسكها،وتحليله إلى عناصره الأولية لغويا ودلاليا وتركيبيا لمعرفة القوانين الخاصة ببنائه وتميّزه،ثم إعادة بنائه من جديد...فيجب أن تكون دراسة البنيات اللغوية الصغرى خاضعة للتدرج الهرمي،أي تواجه النص باعتباره

---

[1]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-مكتبة زهراء الشرق-القاهرة-مصر-2004-ص05-06-07

[2]-ليلى يوسف-دور نحو الجملة في تفسير النص-ص230

طبقة مركبة،وليست دراسة تتابعية مسطحة تولي تتابع الجمل أفقيا داخل النص جهدها الكامل"فمنهج التحليل النصي يسعى إلى أن يصبح النص كاملا هو موضوع البحث،لذلك يركّز جهوده في دراسة العلاقات على النحو الآتي:

-العلاقات بين الجمل وأشباه الجمل داخل النص مثل دراسة الإجمال والتفصيل،والتوزيع وإعادة التوزيع،والإحالة والانزياح والتكرارات.....

-والعلاقات داخل النص نوعان:علاقات أفقية وهي علاقات بين أجزاء الجملة،وعلاقات رأسية بين الجمل بعضها وبعض،وكلا النوعين له وظيفته الخاصة في بنية النص.وهذه العلاقات الأفقية هي علاقات الإسناد ومتعلقاته من النعت والتعلق والمفعولية والحالية والتكملة عن طريق الإضافة أو الصلة أو غير ذلك.أما العلاقات الرأسية وهي ترابط الجمل بعضها ببعض وتجاورها في بنية النص الواحد فإنها تكون مسؤولة عن تكوين سياق نصي معين يساعد على تفسير التراكيب داخل النص بحيث تصبح كل جملة لا يمكن فهمها إلا من خلال ترابطها بأخواتها في النص"[1]

د-مهمـــــــــــــــة لسانيات النص:

تتجاوز مهام لسانيات النص دور اللسانيات التقليدية (الجملية)،حيث لا يقتصر دوره على تنظيم الحقائق والعلاقات الإسنادية فحسب،ولا تكتفي بدراسة المستويات اللغوية،الصوتية والصرفية والدلالية من خلال وصف ظواهر كل مستوى وتحليلها،بل تهتم أيضا بظاهرة الاتصال اللغوي وبأطرافه وشروطه وآليات حدوثه والآثار المترتبة عنه"وأشكال التفاعل ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحقّقها الأشكال النصية في المتلقي،وأنواع المتلقي وصور التلقي وانفتاح النص وتعدد قراءاته"[2]،فهو يهدف إلى"صياغة نظرية نصية عامة تشكّل

---

[1]-المرجع نفسه-ص234
[2]-سعيد حسن بحيرى-علم لغة النص-ص162

الأساس لوصف شامل للأشكال النصية المتباينة وعلاقاتها المتبادلة ويسهم بشكل فعّال مع النظرية اللغوية في تشكيل نظرية عامة للاتصال الفعلي الذي يتم عبر النص"[1].

وتتضمن مهمة لسانيات النص أيضا كشف القناع عن أنماط النصوص،فقد يكون النص حجاجيا عقليا،أو سرديا جماليا أو حواريا أو إخباريا أو معتمدا على الوصف،هذه المهمة لا يمكن أن تتحقق في ظل لسانيات الجملة،لأن النمط لا يسفر عن وجهه إلا من خلال جماع الجمل المترابطة ترابطا نصيا مقنعا.فلسانيات النص تضطلع ببيان الخصائص الفردية للوحدات المكوّنة للنص،وأشكال الأبنية وطبيعة السياقات التي تحتضن النصوص ودرجات التماسك السطحي والانسجام الباطني وتحليل السمات المعرفية العامة التي تخوّل لنا إنتاج الشبكة العلائقية النصية في مرحلة الإنتاج وإعادة البناء في مرحلة التلقي...وقد توسّم فان ديك في لسانيات النص مهمة أخرى حين قال:"بإمكان نحو النص أن يصوغ القواعد التي تمكّننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما"[2].وقد توقّع(دي بوجراند)أيضا أن تئثر مساهمات نحو النص في دراسات الترجمة لأنها أمر من أمور الأداء التي عجزت اللسانيات التقليدية عن تقديم ما يساعدها في الترجمة الآلية[3] .

وفيما يلي نقدّم تلخيصا جيدا جامعا لمهمة لسانيات النص بسطته(نادية رمضان النجار)،حيث تقول:"تتركّز وظيفة علم اللغة النصي في مهام:أولها:وصف النص،ثانيها:تحليل النص.ويقصد بوصف النص توضيح مكونات النص،وذلك بتعيين الجملة الأولى فيه،وتوضيح الموضوعات المُتناولة في النص،مع بيان الروابط الشكلية والمعنوية الموجودة فيه،وما تؤدي إليه من انسجام وسبك بين متتابعات النص حتى تصير كأنها جملة واحدة،وعندئذ يبدأ تحليل النص الذي لا يقتصر على بيان الروابط الداخلية فقط،بل يهدف إلى توضيح الروابط الخارجية أيضا،ومن ثم يظهر دور السياق في تأليف أشتات النص التي تبدو متفرقة فتصبح متجاذبة.ثالثها:يراعى دور النص

---

[1]-سعيد بحيرى-اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص-مجلة علامات في النقد-مج10-ع38-ص146

[2]-نقلا عن: سعيد بحيرى-علم لغة النص-ص156

[3]-ينظر:دي بوجراند-النص والخطاب والإجراء-ت:تمام حسان-ص576

في التواصل،وذلك من خلال الوقوف على أحوال المنتج والمتلقي للنص.رابعها:كما أن من الأهداف التي يسعى إليها علم اللغة النصي والتي لا تقتصر على وصف النصوص وتحليلها،فهو ذو هدف أكثر عمومية وشمولا،فمن ناحية يشير إلى جميع أنواع النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة،كما أنه من ناحية أخرى يتضمن الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية ذات الطابع العلمي المحدّد. خامسها:كذلك يتطلب تفسير الخطاب وتأويله الوقوف على المستوى النحوي التركيبي والمستوى المعجمي والمستوى الصوتي والمستوى التنغيمي(مستوى بروز أو نتوء الصوت)،هذا بالإضافة إلى المستوى الاستراتيجي المتمثل في اختيار استراتيجية معينة للخطاب."[1]

4-لسانيات الجملة/لسانيات النص:أيــة علاقة؟

لقد سجّل الدرس اللساني قفزة نوعية من حيث الكم والمنهج والغاية،وذلك بتمرده على حدوده الضيقة،فقد انتقل البحث فيه من مجال الجملة إلى مجال النص،ومما لا شك فيه أن الجملة تمثل الركيزة الأساس في بناء النص نحويا،وما عاد من الممكن إغفال دورها ومكانتها في تحليل النصوص،لكن تجاوز حدود الجملة قد فتح آفاقا أوسع لفهم وتفسير النصوص حاملات وعي الإنسان بتناقضاته وصراعاته الوجودية...وقد تمّ التغلب على الوصف النحوي الذي اقتصر على الجملة المفردة في ضوء ما عُرف ب"فرضية التوسيع"التي تعدّ نقطة انطلاقها اعتبار النصوص وحدات متجاوزة للجملة...لكن كيف بدأ التفكير نحويا في تجاوز الجملة؟ثم ما هي طبيعة العلاقة القائمة مابين نحو الجملة ونحو النص؟

لقد عرفت عملية التحوّل في بدايتها توسيعا مبدئيا لقواعد الجملة،انطلاقا من فكرة أن النصوص والجمل تشترك في نفس الصفات،وعليه فالمنهج الخاص بنحو الجملة يمكن توظيفه في تحليل النص"ومن ثم كان نحو

[1]-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(الخطابة النبوية نموذجا)-ص299-300

النص يُفهم على أنه نوع القواعد لعدة جمل،ولما كان تجاوز حدّ الجملة أمرا أساسيا لإدراك النصية فقد وُصفت النصوص بأنها كليات متجاوزة للجمل."[1].وقد تبلور هذا التوجه في ظل أوجه التشابه القائمة بين الجملة والنص والمتمثلة في:

"أ-لا يمكن تحديد عدد نهائي من جهة الكم للجمل أو النصوص في كل لغة.

ب-تعدّ كل من الجمل والنصوص ناقلات للموضوعات ومصوغة صياغة زمنية.

ج-كلتا الوحدتين لهما في حدّ ذاتهما طابع بنيوي ويتكونان من عناصر لكل منهما علاقة بالآخر.

د-يمكن أن تأتلف الجمل والنصوص على أساس نماذج معينة في أقسام وتقوم هذه الأقسام بوظيفة نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة وتلقيها."[2]

لقد كانت بداية الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص بطيئة ومحتشمة،تركّز الاهتمام فيها على وصف وحدات تتجاوز حدّ الجملة"العبارة"أي أنها لم تبلغ درجة وصف النص كمتوالية من الجمل"ويعدّ ممهد الطريق لهذا التصور في علم اللغة الروسي(بتشكوفسكي)وفي الدراسات اللغوية الجرمانية(ك.بوست)وذلك منذ سنة1949"[3].لكن الجدير بالذكر أن بعض العلماء رفضوا الاتجاه المقتصر على دراسة الجملة وحاولوا الاتجاه إلى دراسة الوحدة الممثلة لتتابعات من الجمل،التي عُرفت فيما بعد بالنص،وحجتهم في ذلك أن البشر عندما يتواصلون لغويا لا يمارسون ذلك في جمل منفردة منعزلة،بل في تتابعات مجاوزة للجملة مترابطة ومتماسكة،ولا تُدرك النصوص في ذلك أساسا بوصفها نتائج تفاعلات متجاوزة الإفراد"ويعني هذا أن كل تحليل لغوي يجب أن ينطلق من النص لكونه مجال الدرس وهذا ما دعا إليه(فاينرش1967)و(هارتمان1968)"[4] فـــــــــ"النصوص وسيلة

---

[1] - هاينه مان فولفجانج و ديتر فيهفجر-مدخل إلى علم لغة النص-ص10

[2]-المرجع نفســـــه-ص20

[3] -المرجع نفســـــه-ص19

[4]-زنسيلاف واورزنياك-مدخل إلى علم النص-ت:سعيد حسن بحيرى-ص36-37

من وسائل حمل الأنشطة الإنسانية(...)والاتصال لا يتم بواسطة وصف الوحدات الصغرى صوتية وصرفية ولا بعرض العلاقات النحوية وإنما يتم باستعمال اللغة في موقف أدائي حقيقي،أي بإنشاء نص ما"[1].

يحرص علماء لسانيات النص على بيان قيمة نحو النص من حيث كونُه لا يقتصر على دراسة الجملة،بل يهدف إلى دراسة الروابط بين الجمل وتتابعاتها،ومظاهر انسجامها محاولين إبراز أوجه الاختلاف بين نحو الجملة،ونحو النص في النقاط التالية:

1-تنتمي الجملة إلى نظام افتراضي(النحو) في حين يعدّ النص نظاما واقعيا تكوّن من خلال الانتخابات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضية.

2-تتحدّد الجملة بمعيار أحادي(علم القواعد)من نظام معرفي وحيد(علم اللغة)في حين تتحدّد نصية النص بمعايير عدّة من مختلف الأنظمة المعرفية.

3-تكون الجملة قواعدية أو لا تكون جملة البتة،أما النص فلا تنطبق عليه معايير النصية بمثل هذه الحدّة.

4-يتأثر النص بالأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وبموقف وقوع النص بوجه خاص في حين يضعُف تأثر الجملة بهذه المؤثرات.

5-يستند استغلال الجمل إلى المعرفة القواعدية التابعة لنظام افتراضي له صفة العمومية،أما استغلال النص فيستند إلى معرفة خبرات بوقائع فعلية خاصة.

6-يعتبر النص حدثا يوجهه المرسل إلى المستقبل لإنشاء علاقات متنوعة وتوصيل مضامين يعيّنها المنتج،ولا تقتصر على العلاقات القواعدية،في حين لا تُعنى الجملة إلا بالعلاقات القواعدية،ومن ثم فهي لا تمثل حدثا.

---

[1]- تمام حسان-مقدمة ترجمة كتاب النص والخطاب والإجراء-ص06

7-تتّخذ الجملة شكلها المعيّن وفقا للنظام الافتراضي المعلوم في حين تتشكل بنية النص بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين على حد سواء[1]

الحق أن هذا الفصل الحاد بين نحو الجملة ونحو النص يتعارض مع الواقع الفعلي،بسبب كونهما متكاملين،فالنص ما هو إلا مجموعة من الجمل،فكما أن الفونيم وحدة الكلمة،والكلمة وحدة الجملة،فالجملة وحدة النص"مما يؤكّد أن توسيع مجال علم اللغة ليشمل النصوص وتوظيفها في الاتصال لا يشكك مطلقا في أهمية الوحدات اللغوية المعزولة(الفونيمات والمورفيمات واللكسيمات والمركبات الاسمية والجمل)"[2].

وفي هذا السياق يقول(برند شبلنر):"يقوم علم لغة النص على فكرة أن النص يعد الموضوع الرئيسي في التحليل و الوصف اللغوي،هذا على الرغم من أن الجملة تعدّ(تقليدا ومازالت)أكبر وحدة لغوية وهكذا كانت النظرة إلى النحو التحويلي في شكله المعروف الذي ظهر لأول مرة في السنوات الخمس عشرة الماضية على أنه نحو الجملة،فالجملة هي المقصد في القضية التحويلية،وتُعرف اللغة في النظرية التحويلية على أنها مجموعة من الجمل التي ينتجها النحو،إن تركيبة(المتكلم-السامع) تتقرر بناء على الكفاءة في نحوية الجملة وقبولها،وسبقت الإشارة غلى أن وحدة الجملة ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي،وهكذا يمكن الحكم بقبول جملة ما إذا أرجعها الإنسان إلى الجملة السابقة،وتتضح الحاجة إلى إرجاع المسائل العملية البسيطة إلى معلومات الجمل السابقة..."[3].

ومن خلال هذا القول يتبين لنا أن نحو الجملة مرحلة أساسية في التحليل النصي،مادامت الجملة هي الدعامة الأساسية البانية للنص،مع الاعتراف بأنها تدعّم نحو النص في مرحلة تشييد النسق التحليلي ،لكنها تقف عاجزة أمام مجموعة الجمل المترابطة التي لها علاقة وثيقة بحيثيات الموقف الاتصالي.وبصدد حديثه عن العلاقة القائمة بين نحو الجملة ونحو النص يقول سعيد حسن بحيرى:"...وكان التراث النحوي السابق بكل ما يضمه من

---

[1]-ينظر:دي بوجراند-النص والخطاب والإجراء-ت:تمام حسان-ص89-90
[2]-صبحي الفقي-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-ج01-ص289
[3]-برند شبلنر-علم اللغة والدراسات الأدبية-ت:محمود جاد الرب-الدار الفنية للنشر والتوزيع-ط01 - 1987-ص184

تصورات ومفاهيم وقواعد وأشكال وصف وتحليل وغير ذلك،الأساس الفعلي الذي بُنيت عليه هذه الاتجاهات النصية بكل ما تتسم به من تشعيب أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها.ورأوا أن هذه الدراسة النحوية_مثلا_قدّمت تحليلات جزئية مهمة لبعض الجوانب الخاصة بالعلاقات بين أجزاء الجملة والمتواليات الجملية،وشروط الفصل والوصل،ومعاني الأساليب وأشكال السياقات والدلالات الخاصة وغير ذلك من الظواهر التي يختص بها نحو الجملة،ولم تخرج الدراسة عن إطار الجملة إلا في إشارات دقيقة إلى العلاقات الدلالية العميقة التي تربط بين الجمل والمتواليات الجملية،ورأوا كذلك أن كثيرا من الظواهر التركيبية لم تُفسّر تفسيرا كافيا مُقنعا،وأنه ربما تغيرت الحال إذا اتجه الوصف إلى الحكم على هذه الظواهر في إطار أكبر من الجملة،ويمكن أن تكون تلك الوحدة هي النص"[1].

ويحدّد(أحمد المتوكل)ماهية النص بالتركيز على أهمية التماسك النصي بقوله:"...إلا أن النص لا يمكن حسب التصوّر الذي نقترحه هنا ان يكون إلا مجموعة من الجمل،وقد تكون الجمل المكوّنة للنص جملا بسيطة أومعقدة أو جملا من الفئتين معا وهو الأغلب.وليس كل مجموعة من الجمل نصا،فلا يقوم النص إلا إذا ربطت بين وحداته علاقات اتساق،بعبارة أخرى،لا تشكّل مجموعة من الجمل نصا إلا إذا كانت تكوّن خطابا أي وحدة تواصلية يمكن أن تكون جملة بسيطة أو جملة معقدة أو نصا كاملا...ويمكن القول:إن النحو الوظيفي كان منذ نشأته نحو خطاب اي نحوا يستهدف وصف التواصلية التي نروم تحقيقها،إلا أن الدراسات التي أُنجزت في إطاره ظلت منحصرة في مجال الجملة البسيطة والجملة المعقدة،و لم يحاول اللسانيون الوظيفيون الانتقال إلى الخطاب إلا في السنوات الأخيرة"[2].

ويرى المتوكل أن تصور(فان ديك) في علم النص قوامه أن نحو النص ما هو إلا امتداد لنحو الجملة،لان نموذج بنية الجملة يمكن أن يعدّ نموذجا جزئيا للنص ككل،ويقدّم المتوكل تفسيرا مبدئيا لتوجه فان ديك،حيث

---

[1]-علم لغة النص-ص130-131

[2]-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية-دار الأمان-الرباط-المغرب-ط01-2001-ص82

يقول عنه:"كان(فان دايك) يشير مرات في مؤلفاته الأولى إلى أن النحو الوظيفي ليس نحو جملة(بالمعنى الذي يأخذه هذا المفهوم في اللسانيات الصورية) ولا يمكن أن يكون،نظرًا لتوجهه الوظيفي التداولي،إلا نحو خطاب،إلا نحوا يرمي إلى وصف وتفسير الملفوظ/المكتوب اللغوي بما فيه الخطاب الأكمل،أي النص.وأشار(دايك) بنفس المناسبات إلى أن الابتداء بدراسة الجملة لا يمكن أن يعدّ إلا عملية مرحلية تسبق دراسة النص وتمهّد لها"[1].وتعليقا على رؤية المتوكل هذه يقول الباحث(محمد سالم أبو عفرة):"...ومن هنا يتضح أن الدكتور المتوكل يبني نظريته وفق نظرية فان دايك الذي يربط ربطا قويا بين الجملة والنص،إذ هو يعيد في كتابه(الوظيفية بين الكلية والنمطية)قراءة الفصل الأخير من كتاب فان دايك الذي أفاد منه في كتابه(بنية الخطاب من الجملة إلى النص)"[2].

ويرى(مازن الوعر) بأن نحو الجملة إنما هو مستقل عن نظرية تحليل الخطاب وأن الدرس النصي يقصي نحو الجملة[3]،وتعقيبا على هذه الرؤية يقول (أشرف عبد الكريم) في دراسته حول نموذج إيزنبرج:"نجد إيزنبج يرد هذه الرؤية،ويصدّر بحثه بقوله:إن العلاقات القائمة في النص مردها في الأساس إلى التتابعات/السلاسل الجملية وهذه الرؤية تمثل الأساس عنده."[4].

وفي ضوء ما سبق بيانه حول طبيعة الأنموذج اللساني النصي،خلصتُ إلى المعطيات التالية:

1-من حيث تاريخ العلم:

لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن ندّعي وجود قطيعة تامة ما بين لسانيات النص ولسانيات الجملة.فالأنموذج الجديد(لسانيات النص) في مقاربة الظاهرة اللغوية،لم ينطلق من فراغ،بل تأسّس من خلفية القراءة النقدية البنّاءة لما يعرف بلسانيات الجملة.الأمر الذي أفرز طموحات لسانية متعددة،أهمها،تجاوز حدّ الجملة في

[1]-الوظيفية بين الكلية والنمطية-دار الأمان-الرباط-المغرب-ط01-2003-ص97
[2]-السبك في العربية المعاصرة-ص20-21
[3]-ينظر:مازن الوعر-نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة-مجلة الموقف الأدبي-دمشق-سوريا-ع385-2003-ص01
[4]-العناصر المكوّنة لنظرية النص(إيزنبرج نموذجا)-مجلة علوم اللغة-مج09-ع04-دار غريب-القاهرة-مصر-2006-ص22

التحليل،والعناية بالظواهر النصية التي تميّز النص من اللانص(التماسك النصي-الانسجام النصي-أبنية التطابق-الحذف ودوره في تحقيق الانسجام-التكرار والمصاحبة المعجمية في النص وغيرها)...لكن هل هذا يعني أن العلاقة ما بين لسانيات النص ولسانيات الجملة هي علاقة امتدادية خالصة؟.

إن الحكم على العلاقة ما بينهما-في رأيي-يقع في الوسط،فما هو بالقطيعة التامة،ولا هو بالامتداد الخالص،وبتعبير آخر،يمكننا أن نقول بأن العلاقة بينهما هي شبه قطيعة،لأن لسانيات الجملة كانت هي الأرضية التي بُني عليها صرح لسانيات النص(=امتداد)،وهذا لا يعني في نفس الوقت أن الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص كان انتقالًا كميّا فقط،بل هناك اختلافٌ بينهما فرضه تحوّل الموضوع والمنهج والغاية(=قطيعة).

2-من حيث موضوع العلم:

يتخذ اللسانيون النصيون" النص" موضوعًا لدرسهم الجديد،معرضين بذلك عن الموضوع الذي كان مهيمنا على الدرس اللساني قبلهم وهو الجملة،بحجة أنّهم يرون بأن النص هو الأساس في المعرفة والتواصل،فاللغة حين تستعمل تتجلّى في النصوص التي تحمل وعينا وتجاربنا وأغراضنا،فما دمنا نتواصل ونبني العلاقات الاجتماعية ونكوّن معارفنا بالنص(وليس بجمل منفردة متفرقة)،كان لزامًا علينا أن نركّز اهتمامنا عليه.وعلى الرغم من أن النص يتكوّن من الجمل إلا أن ماهيته تختلف عن ماهية الجملة،فالنص مشفّرٌ في الجمل وليس مجموعة من الجمل،أي أنه يعدّ وحدةً دلالية وليس وحدة بنيوية نحوية.فلا يمكن أن تكون دلالة النص هي مجموع الدلالات الجزئية للجمل...وكما تعدّدت تعاريف الجملة تعدّدت مفاهيم النص بتعدّد زوايا النظر،فهناك من قارب مفهوم النص من زاوية نحوية،أو زاوية دلالية،أو زاوية تداولية،وهناك من حاول دمج هذه الزوايا

المختلفة.وعلى الباحث في مجال لسانيات النص أن يحدّد تصوّره للموضوع(النص)،ويصرّح به منذ البداية لكي يسلم من التناقض المنهجي في بحثه.

3-من حيث منهج العلم:

إذا كان التحليل هو المنهج الغالب على البحث في لسانيات الجملة،فإن التركيب هو البديل الذي يراه علماء لسانيات النص مناسبا لدراساتهم،وحجتهم في ذلك أن اللغة تعمل في سياق معيّن،ويُسيّرها منتجٌ ومتلق أومؤوّل،وتتغيّر معطياته الدلالية بتغيّر ظروف إنتاجها(المكان والزمان والسياق).وعليه فالمنهج السليم يقتضي دراسة اللغة(النص) بالانفتاح الإيجابي على كافة السياقات التي ساهمت في تشكيلها،وهذا ما يعرف بالمنهج التركيبي(أي التركيب بين لغة النص كنظام من الأدلة، وبين السياقات المحيطة والمستخدمين لها)،أما منهج لسانيات الجملة فهو تحليليٌّ،يقوم بعزل الجملة وتجريدها من السياق الذي وُلدت من رحمه،قصد معرفة القانون التركيبي الذي تعمل وفقه.

4-من حيث غاية العلم:

يهدف علماء لسانيات الجملة إلى تحقيق غاية شكلية بنيوية محضة،تتمثل في وصف بنية الجملة وتصنيفها،ووضع القالب أو القانون الذي ينبغي أن تحتكم إليه،وهي بهذا علم معياري،يقعّد لسطح الجملة البنيوي،ولا يهتمّ بما تكون عليه اللغة،بل بما ينبغي أن تكون عليه.أما غاية البحث اللساني النصي فتتمثل في بيان كيفية تحقيق التواصل من خلال النصوص،لأنها تدرس النص من خلال السياقات التي يتحرك في محيطها.وغالبا ما تُخرق قواعد النظام اللغوي في النصوص بتأثيرات سياقية،خاصة في الأعمال الأدبية(الانزياحات مثلًا).

الفصل الثـاني

[اكتب عنوان المستند]

1-مفهوم تماسك النص وأدواته:

تعدّ (لسانيات النص) من أحدث الاتجاهات اللسانية التي تتعامل مع النص في كليته،و تقوم منهجيتها في التحليل اللغوي أساسا على تجاوز (لسانيات الجملة) التي تعدّ الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى،و التجاوز لا يعني

الإلغاء إذ إن اللسانيات النصية جعلت من الدراسات السابقة للجملة منطلقا لها في البحث وقامت بتوسيع آفاقها,فبفضل الدراسات و الجهود النصيّة فسّرت ظواهر لغوية هامّة منها:التماسك النحوي للنص،والانسجام الدلالي و أبنية التطابق و التقابل و التراكيب المحورية،و التراكيب المجتزأة و بنيات الحذف ودلالاته و غيرها من الظواهر التركيبية التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا مقنعا إلا في إطار النص كوحدة جامعة كلية.و لمّا كانت المهمة الأساسية التي يسعى إلى تحقيقها لسانيات النص هي بيان كيفيات التماسك وأشكاله بين الأجزاء المكونة للنص إلى جانب وصف الأبنية النصية و علاقتها بالأجناس الأدبية(الأنماط) وتأثير ذلك كله على الجانب التداولي الاتصالي،كان لزاما علينا أن نحدّد المفهوم العام للتماسك،و المفهوم الخاص له في الحقل المعرفي المحدّد و هو موضوع بحثنا-لسانيات النص-.

1-1-مفهوم التماسك (لغة واصطلاحا):

أ-لغة:أورد الزمخشري(ت538ه) في أساس البلاغة في مادة(مسك) مايلي:"أمسك الحبل و غيره،وأمسك بالشيء و مسك و تمسك و استمسك و امتسك,و أمسك عليك زوجك،و أمسكت عليه ماله:حبسته،وأمسك عن الأمر:كفّ عنه,و أمسكت و استمسكت و تماسكت أن أقع عن الدابة وغيرها، وغشيني أمر مقلق فتماسكت,و فلان ينفكك و لا يتماسك,و ما تماسك أن قال ذلك:و ما تمالك,و هذا حائط لا يتماسك و لا يتمالك،و حفر في مسكة من الأرض:في صلابة."[1]

و في تاج العروس يطالعنا الزبيدي(ت1205ه)بقوله:"و في صفته صلى الله عليه و سلّم بادن متماسك،أراد أنه مع بدانته متماسك اللحم ليس مسترخيه و لا منفضجه،أي أنه معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضا."[2].

[1] -أساس البلاغة-دار المعرفة-بيروت-لبنان-ط 01- 1989 – ص123
[2] -تاج العروس من جواهر القاموس-تح:عبد الستارأحمد فراج-مطبعة الكويت-الكويت-د,ط- 1977

أمّا ابن منظور(ت711ه)فيقول في اللسان فيقول:"المسيك من الأساقي التي تحبس الماء فلا ينضح،و أرض مسيكة لا تنشف الماء لصلابتها و أرض مساك أيضا,"[1]

وإذا ما نظرنا في سائر المعاجم العربية فإننا سنجد بأن لفظ التماسك فيها يدل على المتانة و الصلابة وترابط الأجزاء بعضها ببعض.

ب-اصطلاحا: إن الصفة الجوهرية القارّة في النص_في عرف علماء لسانيات النص_هي صفة الاستمرارية،ومفادها ذلك الترابط و التلاحم بين الأجزاء التي تكوّن النص,ثم إن هذه الصفة تتمظهر وتتجلى في سطح النص أو ظاهره,,,"و نعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني،و التي نخطها أو نراها بما هي كمّ متّصل على صفحة الورق,"[2].

و الجدير بالذكر أن هذه الأحداث اللغوية تتعالق بعضها مع بعض بفعل خضوعها للمنوال النحوي أوالمباني النحوية،لكنها لا تشكل نصا إلا إذا توفرت لها وسائل تماسك تضمن الاستمرارية و الاطراد في النص،ويطلق"سعد مصلوح" على مجموع هذه الوسائل مصطلح الاعتماد النحوي،و يتحدث في أشكاله و تنوعاته المختلفة فيقول:",,,ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية و متداخلة من الأنواع و هي:

-الاعتماد في الجملة.

الاعتماد فيما بين الجمل.

الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة.

الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات.

---

[1]لسان العرب-دار صادر-بيروت-لبنان-1956

[2]-جميل عبد المجيد-البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية-ص76

الاعتماد في جملة النص."[1] و يضيف"هاليداي و رقية حسن"بقولهما:"إن المعيار المختص برسم هذه الاستمرارية ورصدها،هو التماسك وبهذا يتبين لنا الدور الكبير الذي يلعبه في خلق النص."[2] .

في الحقيقة يعدّ مصطلح التماسك مصطلحا إشكاليّا،بسبب تعدّد المفردات العربية المستعملة للدلالة عليه،فهو مترجم في الأصل عن الكلمة الإنجليزية(cohesion)إلا أن مقابله في الدراسات النصية العربية متعدّدٌ،وذلك على النحو الآتي:

الاتساق:محمد خطابي و محمد الشاوش

السبك:تمام حسان-سعد مصلوح-جميل عبد المجيد

التضام:إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد

الترابط:محمد عطاري

الالتئام:عبد القادر قنيني

الربط اللفظي:عزة شبل محمد

السبك أو الربط أو التضام:أحمد عفيفي

يقول جمعان بن عبد الكريم في إشكالية مصطلح(cohesion)ما يلي:"التماسك مصطلح مترجم عن الكلمة الإنجليزية(cohesion)و قد وقع في ترجمته بعض الاختلاف كالعادة في عملية انتقال المصطلحات العلمية مترجمة إلى العربية،فترجمه محمد خطابي إلى الاتساق في حين ترجمه تمام حسان إلى السبك و ترجمته إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد إلى التضام،أمّا عمر عطاري فترجمه إلى الترابط"[3].و يستنتج في موضع آخر أنّ مصطلح التماسك هو المصطلح الغالب على الدراسات النصيّة العربيّة حيث يقول:"...و في غياب حلّ حاسم يأخذ على عاتقه مسألة

---

[1]-في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية:آفاق جديدة-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ط 01– 2006ص227،228

[2]-Halliday and Rugaiya Hasan-cohesion in English-Longman-London-1976-p299-

[3]-إشكالات النص:دراسة لسانية نصية-النادي الأدبي-الرياض-السعودية-ط01-2009ص197

الضبط المصطلحي،و إقصاء العبارة المشهورة(لا مشاحة في الاصطلاح)-في الترجمة خصوصا-يبدو من استعمال المصطلحين في الدراسات النصيّة غلبة استعمال التماسك في(cohesion)و غلبة استعمال الانسجام في(coherence)."[1]...

ومن هنا فإنّ الحديث عن التماسك يستدعي الحديث عن مصطلح آخر هو الانسجام و هو المقابل للكلمة الإنجليزية(coherence)،و يعنى بالترابط المفهومي أو الاستمرارية في مفاهيم النص و أفكاره،فإذا كان التماسك مجاله سطح النص وظاهره،فإن مجال الانسجام هو باطن النص و يتشكّل وفق آليات و أدوات متعددة،مثل بعض العلاقات المنطقية كالسببيّة مثلاً،وعلاقة الإجمال-التفصيل و غيرها،و سنفرد له فصلا خاصا به،و سنحاول الآن أن نورد بعض الاجتهادات في تقديم مفهوم التماسك.

إنّ الاتساق-كما يقول محمد خطابي-هو"ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المكوّنة لنص/خطاب ما،يهتم فيه بالوسائل اللغويّة(الشكليّة) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته...ومن أجل وصف اتساق الخطاب/النص يسلك المحلّل/الواصف طريقة خطيّة متدرجا من بداية الخطاب(الجملة الثانية منه غالبا)حتى نهايته،راصدا الضمائر و الإشارات المحيلة إحالة قبلية أو بعدية،مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف و الاستبدال و الحذف و المقارنة و الاستدراك،كل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/الخطاب(المعطى اللغوي بصفة عامة)يشكّل كلّا متآخذا."[2]

وترى الباحثة ريما سعد أنّ"أهم ما يحدّد ما إذا كانت مجموعة من الجمل تشكّل نصّا،يعتمد على علاقات الترابط النصي داخل الجمل،و فيما بينها ممّا يخلق بنية النص."[3] و تضيف بقولها"وهكذا يرى هاليداي ورقية حسن أن النص ذو وحدة دلالية تأتي من الترابط الموجود بين جمل النص،و من هذا المنطلق عرّف

---

[1]-المرجع نفسه-ص222

[2]-لسانيات النص:مدخل إلى انسجام الخطاب-ص05

[3]-مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة-مجلة رسالة الخليج-مكتب التربية العربي لدول الخليج-ع87ص90

(هاريس) و (هودجز)_[1983]الترابط في النص بأنه:خواص تربط أجزاء النص بعضها ببعض مثل الإحالة بالعودة،أودرجة ارتباط أجزاء النص بعضها ببعض،و هناك روابط تربط أجزاء النص و تجعله وحدة واحدة وتزيده وضوحا،و من هذه الروابط ما يكون بين الجمل أو داخل الجملة الواحدة في النص،و تعطي القارئ انطباعا بأن النص مترابط."[1]

و تطالعنا(جوديث إروين)[J.Irwin]في كتابها الموسوم:التماسك و الفهم بقولها:"يمكن أن يحدّد الربط والتماسك باعتباره مجموعة من البنى الدلالية و التركيبية التي تحكم الربط بين الجمل على نحو مباشر دون الاعتماد على المستوى الأعلى في التحليل أي البنية النصية الكبرى."[2].

ويعدّ التماسك –من منظور هاليداي و رقية حسن–مفهوما دلاليا "إنّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص و التي تحدّده كنص."[3] أما محمد الشاوش فإنه يرى بأن"الاتساق هو مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها البعض."[4]و يركّز(هاينه مان)و(ديــــــــــتر)على الجانب الشكلاني و النحوي فيقولان:"تنطلق تصورات نحو النص(لسانيات النص) من الفرض القائل:إنّ النصوص في الأساس يمكن تحديدها بأنها تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك."[5]

أمّا–شحدة فارع–فيرى أن مفهوم التماسك الشكلي(cohesion)يعني:"ترابط الجمل في النص مع بعضها البعض بوسائل لغوية معينة."[6]،و يؤكّدجمعان بن عبد الكريم على المنحى الشكلي(النحوي والمعجمي)للتماسك بقوله:"...و هذا الترابط يهتم بالروابط التي تجري في سطح النص أكثر من اهتمامه

---

[1]-المرجع نفسه-ص100
[2]-Judith w.Irwin –Cohesion and Comprehension-published by the international reading association-1986-p31
[3]-Halliday&Hasan-Cohesion in English-London-Longman-1976-p04
[4]-محمد الشاوش-أصول تحليل الخطاب-ج01-ص124
[5]-فولفجانج هاينه مان و ديتر فيهفجر-مدخل إلى علم لغة النص-ت:سعيد حسن بحيرى-ص21
[6]-مقدمة في اللغويات المعاصرة-دار وائل للنشر-الأردن-ط01-2000-ص201

بالمشكل الدلالي أو المعنوي للنص.و إذا كان هناك اهتمام بالدلالة و روابطها فيأتي عارضا،و انطلاقا من الشكل إلى الدلالة،إذ إنّ كلّ الروابط التي تربط ظاهر النص تحتوي ضرورة على قدر من الدلالة تمّ الربط وفقا لها."[1]

و الربط اللفظي-لدى (عزة شبل محمد)-هو:"إحدى الوسائل اللغوية التي تتحقق بها النصيّة،فالنص ليس مجرد سلسلة من الجمل بمعنى أنه ليس وحدة نحوية أكبر من الجملة،مختلفة عنها في الحجم فقط،و إنما هو وحدة من نوع مختلف،وحدة دلالية،تلك الوحدة هي وحدة المعنى في السياق."[2] ثمّ إنّ العلاقة بين الربط اللفظي(cohesion) و التماسك المعنوي(coherence)"ليست علاقة ترادف،فالربط اللفظي يقع بين العناصر داخل النص على مستوى البنية السطحية،و يزيد من تماسك النص،و لكنه ليس هو التماسك المعنوي،ففي النص المكتوب يتحقق التماسك عندما ترتبط جملة بجملة أخرى في الفقرة و عندما تقدم الفقرات في النص في تتابع منطقي،و لهذا فربما يكون من المفيد أن نفكر في اعتبار التماسك علاقات مفهومية يقيمها القارئ أو يأمل في إقامتها في عملية قراءة نص مترابط،بهذا المعنى التماسك يمكن أن ينظر إليه باعتباره ترابطا معرفيا متبادلا أو هو ظاهرة مرتبطة بالنص و القارئ معا."[3]

2-1-أدوات التماسك:

لقد أفرز البحث اللساني النصي اهتمامات مركّزة بموضوع التماسك على صعيد الجملة،و على صعيد النص،نظرا للدور الكبير الذي يشغله في فهم النص و تأويله،و يتجلى ذلك في كثرة المقترحات أو النماذج التي تنظّر و تؤسّس لنسق التماسك،و أهمها:

أ-نموذج"هاليداي و رقية حسن":

[1]-إشكالات النص-ص222
[2]-علم لغة النص(النظرية و التطبيق)-ص99
[3]-المرجع نفسه-ص100

حيث عمدا في كتابهما"Cohesion in English"سنة(1976) إلى تحديد السمات التي تميّز النص من اللانص"فالنص باعتباره وحدة دلالية،ترتبط أجزاؤه معا بواسطة أدوات ربط صريحة تختلف من نص إلى آخر تبعا لنوعه و اختلاف المؤلفين،سواء من حيث عددها أو من حيث نوعها،لأنها تلعب دورا وظيفيا ليس باعتبارها وحدات نحوية تربط بين الجمل لعمل سلسلة تشكّل نصا،بل باعتبارها وحدات وظيفية تلعب دورا في تكوين النص كوحدة دلالية."[1].

فالمعنى-من منظورهما-يصاغ،ثم نعبر عن طريق الكتابة أو النطق،و المقصود بالصياغة هو التركيب بين اختيار الكلمات(الناحية المعجمية) والبنيات النحوية(الناحية النحوية)،فالتماسك يتحقق جزء منه عبر النحو وجزء آخر عبر المفردات،لذلك ينقسم التماسك عندهما إلى نوعين،وهما:التماسك النحوي و التماسك المعجمي.لقد بسط هاليداي و رقية حسن خمسة أنواع لأدوات الربط تكوّن شبكة من العلاقات الدلالية تربط الجمل أو الفقرات أو الوحدات النصية و تهندس مفهوم النصية و هي:

"-الإحالةreference:و تتضمن ضمائر الإحالة الشخصية و الإشارية و المقارنة

-الاستبدالsubstitution:ويتضمن الاستبدال الاسمي و الفعلي و العباري.

الحذفellipsis:و يشمل الحذف الاسمي و الفعلي و العباري.

-الوصلconjuction:و يضم الوصل الإضافي و الاستدراكي و السببي و الزمني.

-التماسك المعجميlexical cohesion:و يشمل أشكال التكرار و التضام."[2]

---

[1]-Halliday&Ruqaiya hasan-Cohesion in English-p02

[2]-نقلا عن: عزه شبل محمد-علم لغة النص(النظرية و التطبيق)-ص101

والجدير بالذكر أنّهما يعتبران علاقات التماسك علاقات دلالية،إلّا أنّها تُدرك بالاعتماد على النظامين النحوي والمعجمي،ويضيفون إلى الأدوات السابقة مجموعة من الوسائل الشكلية التي تعمل على تحقيق التماسك النصي، ومنها التوازي التركيبي،والإيقاع/القافية،والوزن/البحر.

ب-نموذج"دي بوجراند و درسلر DeBeaugrande&W.Dressler":

بحث هذان العالمان في نصية النصوص في كتابهما:(مقدمة في علم لغة النص) سنة 1981حيث طرحا تساؤلا هاما و هو:كيف تقوم النصوص بدورها في التفاعلات البشرية؟و يجيب كل منهما بأن:"النص حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة،و ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير وهي:

1-التماسك(الربط)cohesion

2-الانسجامcoherence

3-القصدintentionnalite

4-القبولacceptabilite

5-الإعلامinformative

6-المقاميةsituationalite

7-التناصintertextualite "[1]

و قد وزّع سعد مصلوح وضعيات هذه المعايير كالآتي:

"أ-ما يتصل بالنص في ذاته،و هما معيارا السبك و الحبك.

---

[1]-النص و الخطاب و الإجراء-ت:تمام حسان-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ط 01- 1998-ص103

ب–ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا و ذلك معيارا القصد و القبول.

ج–ما يتصل بالسياق المادي و الثقافي المحيط بالنص و تلك المعايير،الإعلام و المقامية و التناص."[1]

–و يشير"دي بوجراند"إلى أن هناك خمسة معايير فقط،يختص بها نحو النص و هي القصد و التناص و المقامية والإعلامية و القبول،و يدعو إلى منهج تكاملي في البحث النصي نظرا للأبعاد الثقافية المختلفة المنبثقة عن تلك المعايير،يقول:"و من هذه المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص(التماسك و الانسجام)و اثنان نفسيان بصورة واضحة(رعاية الموقف و التناص)،أما المعيار الأخير،فهو بحسب التقدير."[2]

–وسائل التماسك النصي عند دي بوجراند و درسلر:

يفرّق هذان العالمان بين نوعين من الترابط،الأول ترابط بسيط يتّكئ على أعراف تركيبية واضحة(المباني النحوية) و يقع في حيز ضيق في الإنجليزية(phrase-clause-sentence)،و الثاني هو الترابط الذي يقوم بين تلك الوحدات الصغرى داخل النص،و يتم التركيز على النوع الثاني ما دام موضوع بحثهما هو النص،الذي يتسم بعلاقات رأسية فائقة التعقيد،لذلك يقترحان هذه الوسائل:

1–التكرار reccurence:و هو الإعادة المباشرة للكلمات.

2–التكرار الجزئي partial reccurence:و يعني استعمال المكونات الأساسية للملمة مع نقلها إلى فئة كلمة أخرى.

3–التوازي parallelism:يعني تكرار نفس البنية التركيبية،و لكن مع ملئها بعناصر جديدة.

4–إعادة الصياغة paraphrase:تعني تكرار المحتوى،و لكن بنقله بواسطة تعبيرات مختلفة.

---

[1]–نحو أجرومية للنص الشعري–فصول–مج10 –ع1،2–يوليو/أغسطس- 1991–ص154
[2]–النص و الخطاب و الإجراء–ص106

5-الصيغ الكنائية pro-forms:و تعني استبدال عناصر تحمل مضمونا بعناصر أخرى لا تحمل مضمونا مستقلا مثل الضمائر و أسماء الإشارة.

6-الحذف ellipsis:و يعني حذف بعض العناصر في البنية السطحية،مثل الفعل أو الفاعل أو الموصوف أوالمفعول...الخ

7-الربط junction:و له أربعة أنماط و هي:

أ-الوصل conjunction ب-الفصل disjunction ج-التعارض contrajunction

د-التبعية subordination

بالإضافة إلى عناصر أخرى تدعم الربط اللفظي كالزمن و الجهة و لهما تنظيم نسبي،يختلف من لغة إلى أخرى.[1]

ج-نموذج"مايكل أوي M.Hoey":

يركّز هذا العالم على عنصر التكرار في النصوص من خلال مؤلفه(patterns of lexis in text)سنة(1991)،حيث قسّم التكرار إلى أنواع عديدة،وهي:

-التكرار المعجمي البسيط.

-التكرار المعجمي المركب.

-إعادة الصياغة البسيطة.

-إعادة الصياغة المركبة.

-الاستبدال.

-المرجعية المشتركة.

---

[1]-ينظر:إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد-مدخل إلى علم لغة النص-ص(37- 46)

-الحذف.

و يشير(أوي) إلى أنّ "ما يميّز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة للتماسك،أنها تركّز على دلالات تلك الروابط على عدة محاور:الأول:كثافة الروابط بين أجزاء النص،و تفيد في تحديد المعلومات الأساسية و المعلومات الثانوية،فكلما زادت الروابط بين أجزاء النص،كانت متصلة بالفكرة الأساسية،و كلما ندرت أو انعدمت الروابط كانت هذه الأجزاء تقدّم معلومات ثانوية يمكن الاستغناء عنها عند كتابة ملخص لمحتوى النص.و الثاني:المسافة بين الروابط أو توزيع الكثافة بين الروابط،حيث إن علاقة الربط تكون أوضح كلما قلّت المسافة بين الروابط."[1]

د-نموذج"جوناثان فاين Jonathan Fine":

قدّم هذا العالم عرضا لرؤية وظيفية للتماسك النصي و ذلك في كتابه"كيف تعمل اللغة"(how language works)سنة(1994)،حيث لم يعتبر التماسك آلية تحقق الربط في النص فحسب،بل عدّه جزءا من النظام اللغوي يقدم أساسا على مبدإ الاختيار في عملية بناء النص،هذا الاختيار يتعلق بجانبين:الأول لغوي بنائي(العوامل اللغوية التي تبني التماسك داخل النص)،والثاني يتعلق بوظائف النص الناتجة عن استعماله في سياق محدد "حيث يريد المتكلم أن ينقل رسالة ما إلى متلق معيّن في موقف ما،ويتحكم في اختيار المتكلم لوسائل الربط مجموعة من العمليات الإدراكية و العوامل الاجتماعية،لأداء وظيفة تواصلية معينة،يقصد بالعمليات الإدراكية:العمليات الذهنية التي تكمن وراء اختيار عنصر الربط،أمّا العوامل الاجتماعية فتبني الوظيفة التي يحقّقها النص بالنظر إلى سياق الموقف الذي أنتج فيه."[2].

---

[1]-عزة شبل محمد-علم لغة النص(النظرية و التطبيق)-ص103
[2]-المرجع نفسه-ص103

إنّ ضرورة دراسة اللغة في السياق المحدّد لها يفضي إلى إبرازها على حقيقتها،حيث تستخدم اللغة أساسا لتحقيق تأثيرات بواسطة الأفراد المتكلمين و قد ركّز(جوناثان) على الوسائل البنائية التي تجعل اللغة مؤثرة،ومنها:أدوات الربط التي تختلف من ذات إلى أخرى،كما تختلف باختلاف الأغراض البلاغية.

وخلاصة القول:إن(جوناثان) في نموذجه يعدّ وسائل التماسك اختيارات كميّة و نوعية،تبني _بفعالية وظيفية_ النص،و هذه الوسائل هي:

1-الصيغ الكنائية phoricity:و هي العناصر التي تنبه المتلقي لتفسير عناصر أخرى في النص(سابقة أو لاحقة) وهو مصطلح أشمل من الإحالة الذي استخدم في نموذج"هاليداي و رقية حسن".

2-الوصلconjunction :وينقسم إلى أربعة أنواع و هي:

أ-الإضافي additive ب-الاستدراكي adversative ج-السببي causal د-الزمنيtemporal

3-الربط المعجميlexical cohesion :و يشتمل على الآليات التالية:

أ-التكرار المباشر direct repetition ب-المترادفات synonyms

ج-الكلمات الشاملة superordinates د-الكلمات العامة generals

4-الاستبدال substitution

5-الحذف ellipsis

ويصنّف هذا النموذج في خانة التيار الوظيفي و الكمي،حيث يهدف هذا العالم إلى بيان الفروق في توظيف وسائل التماسك النصي باختلاف مؤلفي النصوص على لغة الأطفال،و الأساليب المستعملة من قبل المرضى،و مقارنة استخدامها ما بين نصوص اعتمدت اللغة الأم،وبين نصوص أخرى كتبت بغيرها،كما يكشف عن العلاقة بين أدوات التماسك النصي،واستعمال النصوص في مواقف سياقية متعددة من زاوية وظيفية.

سيعتمد تصوّرنا للتماسك النصي أثناء الإجراء(التحليل النصي) على مبدإ الانتقاء،حيث تتقاطع كل النماذج المقترحة لنظرية التماسك عند أربع أدوات فعّالة ترسم العلاقات ما بين الوحدات المكوّنة للنص أوالخطاب،وهي:الإحالة و الحذف و الربط (تندرج ضمن التماسك النحوي) والتكرار(يندرج ضمن التماسك المعجمي)،بالإضافة إلى أداة خامسة و هي:التماسك الصوتي القائم بين الفواصل القرآنية.و فيما يأتي سنبدأ الحديث عن أداة الإحالة.

1-2-1- الإحالة (Reference):

(أ)-مفهوم الإحالة:

يعدّ ابن رشيق(ت456ه) أول من أشار إلى الإحالة باعتبارها مصطلحا لغويا أو نحويا في التراث العربي،حيث يقول في العمدة:"و من التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة،و يشير به إشارة،فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو شبيه به...فهذا النوع من أبعد التضمينات كلها،و أقلّها وجودا،وذلك نحو قول أبي تمام:

لعمرو مع الرمضاء،و النار تلتظي   أرقّ و أخفى منك في ساعة الكرب

أراد البيت المضروب به المثل،و هو:

المستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار."[1]

و غني عن البيان أن"ابن رشيق""يستعمل مصطلح(الإحالة) للتمييز بين دلالة التضمين المألوفة التي تعني حضور نص سابق زمنيا في نص لاحق،و بين الإحالة التي تعني إقامة نوع من الترابط اللفظي و الدلالي بين نص سابق و نص لاحق،دون حضور النص الأول في صورة التضمين المألوفة."[2]

[1]-العمدة في محاسن الشعر-تح:محمد قرقزان-دار المعرفة-بيروت-لبنان-ط 01- 1988-ج 02–ص708

[2]-محمد سالم أبو عفرة-السبك في العربية المعاصرة-مكتبة الآداب-القاهرة-مصر-ط 01- 2010-ص29

و قد ظهر أيضا مصطلح الإحالة عند "حازم القرطاجني(ت684ه)"في كتابه المشهور:منهاج البلغاء و سراج الأدباء،حيث ورد ذكره في هذا المؤلف تسع عشرة مرة في سياقات متعددة،و قد تتبع (زياد صالح الزغبي) تجلياتها ونشأتها التاريخية،وذلك حين يقول:"...و ملاحظات الشعراء الأقاصيص و الأخبار المستطرفة في أشعارهم ومناسبتهم بين تلك المعاني المتقدمة و المعاني المقاربة لزمان وجودهم،و الكائنة فيها التي يبنون عليها أشعارهم مما يحسن في صناعة الشعر.و يجب للشاعر أن يعتمد من ذلك المشهور،الذي هو أوضح في معناه من المعنى الذي يناسب بينه و بينه ويعلقه على طريق التشبيه أو التنظير أو المثل أو غير ذلك.و يسمى ما تسبب إلى ذكره من القصص المتقدمة المأثورة بذكر قصة أو حال معهودة(الإحالة)،لأن الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور."[1]

و لم يرد مصطلح الإحالة بشكل صريح في النحو العربي القديم،و إنما ورد ما يدل على مفهرمه،من ذلك قول "الرضي(ت686ه)" عن اسم الإشارة:"كل اسم موضوع للدلالة على ما سبق علم المخاطب بكون ذلك الاسم دالا عليه،و من ثمة لا يحسن أن يخاطب بلسان من الألسنة إلا من سبقت معرفته لذلك اللسان."[2]

عالج علماء لسانيات النص الإحالة باعتبارها وسيلة أساسية من وسائل التماسك النصي(Cohesion) بمسميات متعددة،مثل مصطلح Reference(=الإحالة) عند هاليداي و رقية حسن(1976)،و مصطلح pro-forms(=الصيغ الكنائية) و الذي قدّمه كل من دي بوجاند و درسلر(1981) و هو مصطلح عام يشمل:إضمار الاسم،و إضمار الفعل،و إضمار المكمّل.أما براون و يول فقد عبرا عن هذه الوسيلة بمصطلح:co-reference(=الإحالة المتبادلة)،و قد ظهرت مقابلات عربية لهذا المصطلح منها:المرجعية و الإرجاعية والإرجاع(نسبة إلى المرجع reference)،و لكن المصطلح الأكثر تداولا هو مصطلح الإحالة.فما هو المقصود بهذا المصطلح في الدراسات النصية الحديثة؟

[1]-نقلا عن:المرجع نفسه-ص30

[2]-رضي الدين الاستراباذي-شرح الرضي على كافية ابن الحاجب-تح:عبد العال-عالم الكتب-القاهرة-ط01 - 2000-ج 04-ص184

الإحالة تقنية تقضي باستعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى،سابقة أو لاحقة،في النص أو المحادثة،فمعرفة ماهية الإحالة و نوعها متوقفة على معرفة سياق الحال أو الأحداث و المواقف المحيطة بالنص،يقول (جون لاينز):"الإحالة هي العلاقة القائمة بين الأسماء و المسميات."[1] .إن الأدوات التي تحيل داخل النص هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها،لا على معناها الخاص،بل على إسنادها إلى شيء آخر"فهي تجبر القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها."[2] .و الإحالة-يضيف هاليداي و رقية حسن-"علاقة دلالية تشير إلى عملية استرجاع المعنى الإحالي في الخطاب مرة أخرى،فيقع التماسك عبر استمرارية المعنى."[3]

ولا تقوم الإحالة إلا إذا توفر شرط أساس،مفاده أنه يجب أن يكون لكل مضمر،مفسّر مناسب يحكمه،أوعنصر مفترض يكون قابلا للتطابق بطريقة من الطرق.يقول(الأزهر الزناد):"تطلق هذه التسمية-العناصر الإحالية-على قسم من الألفاظ،لا يملك دلالة مستقلة،بل يعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب،فشرط وجودها هو النص،و هي تقوم على مبدإ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما و بين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر."[4]

(ب)-أهمية الإحالة:

للإحالة دور فعّال في صنع التماسك داخل النص،و بالتالي فهم النص من خلال التنظيم المحكم للعلاقات أو حزم العلاقات التي تربط العناصر الإشارية بالعناصر الإحالية،مما يؤدي إلى تفعيل عنصر الاستمرارية في المحتوى المفهومي للملفوظ،و قد أبرز(الأزهر الزناد) أهمية الإحالة في النص بقوله:"فالنص ذو بداية و مجال وسط قد يطول

[1]-جون لاينز-اللغة و المعنى و السياق-ت:عباس صادق الوهاب-دار الشؤون الثقافية-بغداد-العراق-ط01 -1987 -ص113
[2]-براون و يول-تحليل الخطاب-ت:محمد لطفي الزليطي و منير التريكي-جامعة الملك سعود-السعودية-ط 01- 1997-ص230
[3]-Halliday &Ruqaiya Hasan-Cohesion in english-p31-
[4]-نسيج النص(بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)-ص118

وقد يقصر،و نهاية،و هي نقاط يمكن التوقف عند أية واحدة منها و فصلها عن غيرها،و لكنها لا يمكن أن تفهم معزولة عنها،فكل مكوّن من مكوناتها يمثل معلما أو نقطة تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثا،و تتعدّد بها الذوات إن كانت ذاتا،و هي يمكن العودة إليها عن طريق الإحالة،و بالقياس عليها يجري ترتيب عالم الخطاب و بناء النص بالاستتباع."[1] .

ولعله من المفيد أن نعرض لجوانب دور الإحالة و وظيفتها و التي لخّصتها (عزه شبل محمد.) و ذلك كالآتي:

-وظيفة الإحالة داخل النص أنها تشير إلى ما سبق،و التعويض عنه بالضمير تجنبا للتكرار.

-تحقّق الإحالة الاقتصاد في اللغة إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصر الإشارية،و تجنّب مستعملها إعادتها.

-تصنع الإحالات شبكة من العلاقات الإحالية من العناصر المتباعدة في فضاء النص فتجتمع في كل واحد متناغمة.

-تسمح الإحالة لمستخدمي اللغة بحفظ المحتوى مستمرا في المخزون الفعّال دون الحاجة إلى التصريح به مرة أخرى،ومن ثمّ تحقّق الاستمرارية.

-بالإضافة إلى وظيفة أخرى هامة و هي تقديم المعلومات حيث ترتبط الإحالة بتقديم سلسلة من المعلومات الجديدة في شكل جزئي ما يسهم في تنظيم الفكرة الأساسية للنص.[2]

إنّ وظائف الإحالات تتفاوت بحسب نوعها،و لّما كانت الإحالة القبلية:إلى سابق(anaphora)هي أكثر الأشكال تداولا للمرجع،فهي تلعب دورا ملحوظا في صنع التماسك النصي،أما الإحالة البعدية:إلى لاحق(cataphora)فتنصب على القارئ بأن تكثّف اهتمامه و تحفّزه على مواصلة القراءة.و يؤكّد هاليداي و

[1]-نسيج النص-ص43
[2]-ينظر:علم لغة النص(النظرية و التطبيق)-ص(120-121)

رقية حسن على أن:"الإحالة الداخلية فقط هي التي تحقّق الربط في النص،أما الإحالة الخارجية فتسهم في صنع النص،بمعنى أنها تربط النص بسياق الموقف،و لكنها لا تسهم في دمج قطعة بأخرى."[1]

(ج)-أنواع الإحالة:

يقسّم علماء النص الإحالة إلى قسمين و هما:

1-إحالة داخل النص/داخل اللغة(أو الإحالة الداخلية):

و هي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ،سابقة كانت أو لاحقة،و هي تنقسم إلى عدّة أزواج وهي:

أ-من حيث جهة الإحالة أو اتجاهها:

أ-1-**إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة(anaphora)** :و هو أن تعود على مفسّر سبق التلفظ به،و تسمى أيضا الإحالة القبلية،و ذلك مثل:علي شارك في المسابقة،لكن أحمد لم يشارك فيها.فالضمير"ها" يشير إلى الرجوع إلى المسابقة،و بهذا أبدل الاسم بالضمير...فوظيفة الإحالة القبلية هي الإشارة لما سبق من ناحية،و التعويض عنه بضمير أو بتابع أو بتكرار أو بحذف من ناحية أخرى،و هي بهذا المفهوم عامل أساس من عوامل تحقيق التماسك النصي.

أ-2-**إحالة على اللاحق و تسمى الإحالة البعدية(cataphora)**:و هي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص و لاحق عليها"فمن ذلك ضمير الشأن في العربية أو غيره من الأساليب من قبيل:

-من تونس،نقدم إليكم نشرة الظهيرة للأنباء،و هذا موجزها

-صرّح ناطق باسم مجلس قيادة الثورة فقال ما يلي...

Halliday &Ruqaiya Hasan-Cohesion in english-p37-[1]

حيث يحيل المركبان المسطران على نص لاحق عليهما."[1]

ب-من حيث المدى الإحالي(=المدى الفاصل بين العنصر الإحالي و مفسره):

ب-1-**إحالة ذات مدى قريب:**و تعمل في مستوى الجملة الواحدة،حيث تربط العنصر الإحالي الجملي بمفسره المتواجد في الجملة نفسها و بحيث"لا توجد فواصل تركيبية جملية(Barrieres)."[2]

ب-2-**إحالة ذات مدى بعيد:**و هي تعمل ما بين الجملة المتصلة أو الجمل المتباعدة في جسد النص فهي"إحالة تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل."[3]

ج-من حيث كم العناصر الإشارية:و تنقسم الإحالة من حيث كمّ المحال عليه إلى قسمين،و هما:

ج-1-**إحالة معجمية:**و تتحقق إذا كان العنصر الإشاري يتمثل في وحدة معجمية مفردة يحال عليها،مثل:**للإحالة** دور فعّال في تماسك النص،فـــــــــــــ**(هي)** تعين القارئ على فهم النص و تأويله.

ج-2-**إحالة نصية:**و تحصل إذا كان العنصر الإشاري يتمثل في مقطع أو جزء من نص،يحال عليه بعنصر إحالي نصي،نحو قول الله عزّو جلّ: ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿64﴾ ﴾[الآية64 سورة الكهف]."...و تتميز هذه العناصر الإشارية النصية عن العناصر الإشارية المعجمية بكونها أقل انتشارا."[4]

2-الإحالة الخارجية/أو الإحالة المقامية(Exophora):

[1]-الأزهر الزناد-نسيج النص-ص119

[2]-المرجع نفسه-ص124

[3]-المرجع نفسه-ص124

[4]-سعيد حسن بحيرى-دراسات لغوية تطبيقيةفي العلاقة بين البنية و الدلالة-مكتبة الآداب-القاهرة-مصر-ط01 -2005 -ص102

وهي الإتيان بالضمير مثلا للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص،و لكن السياق من شأنه أن يدلنا عليه،و يسميه(دي بوجراند)"الإضمار لمرجع متصيّد،و هو الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقا."[1] و مضمون هذا النوع من الإحالة لا يقلل بأي حال من الأحوال من أهميتها،ألا ترى بأنه من الممكن الانطلاق"من مفهوم الإحالة المقامية لوضع أساس العلاقة بين النص و الخارج أو الموقف بعناصره المختلفة...اعتمادا على أن وظيفة اللغة هي التعبير عن المواقف المختلفة بإمكاناتها القادرة على ذلك،على الوجه الذي جعلنا فيه علاقة النص بالموقف علاقة بناء و تفسير...و بعبارة أخرى يمكن القول إن النص بكامله عنصر إحالي إلى الخارج أو الموقف على الرغم من تسليمنا بكافة العمليات الذهنية في الانتاج و التحليل التي يخضع لها النص."[2]ويمكننا تمثيل الإحالة بأنواعها المختلفة بالمخطط الآتي:

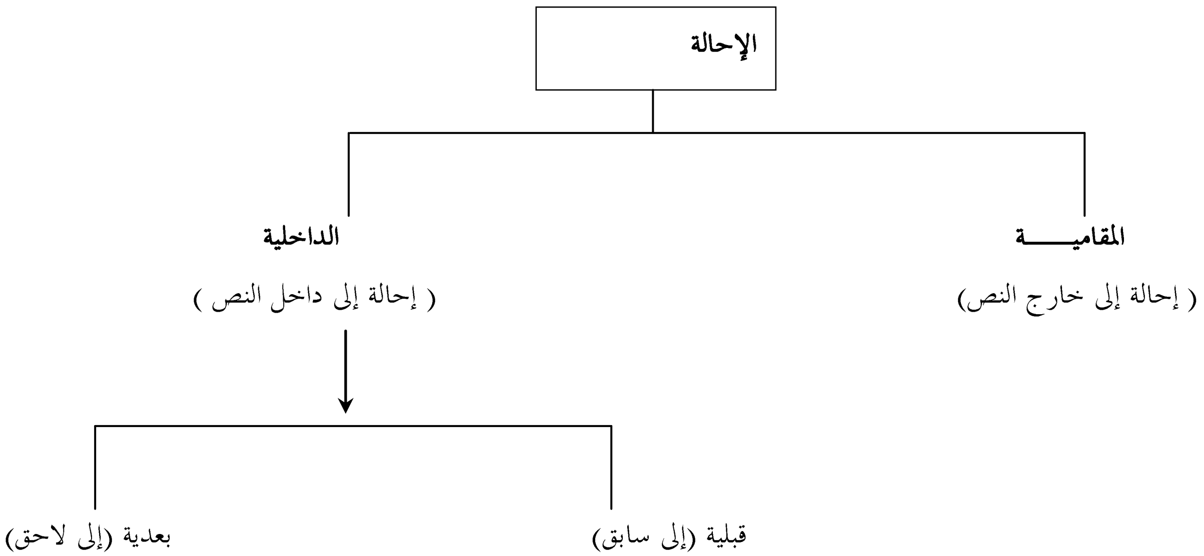

(د)- بنية الإحالة في النص:

[1]-النص و الخطاب و الإجراءات:تمام حسان-ص301
[2]-جمعان بن عبد الكريم-إشكالات النص-ص349

تقوم الإحالة في النص أساسا على مجموعتين ضروريتين من العناصر:مجموعة العناصر الإشارية و مجموعة العناصر الإحالية "...و بين المجموعتين ترابط وثيق و من هنا يأتي دور الإحالة في الإسهام الفعّال في صناعة الاتساق بين مكونات النص."[1]

أ-العناصر الإشارية:

و هي كل ما يشير إلى ذات أو زمن،إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى،سابقة أو لاحقة...فالعنصر الإشاري يمثل معلما(index)لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره."[2] إذاً،هذه العناصر مكتفية بذاتها مستغنية عما يفسّرها،وتأتي على وجهين و هما:العناصر الإشارية العاملة و العناصر الإشارية غير العاملة،فأما الأول فيذكر مرة أولى،ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظه مرة أخرى في تضاعيف النص،فهو عامل،لأنه يحكم مكونا أو عددا من المكونات،فهو يفسّرها،و قد سمّى الباحث(عبد القادر الفاسي الفهري) العنصر الإحالي المرتبط بالعنصر الإشاري العامل ب"العنصر المراقب(controller) و يسميه النحاة بمفسر الضمير."[3]

و في الحقيقة هذا القسم من العناصر الإشارية هو الذي يتكفل بتحقيق الترابط و التماسك في النص،أما الثاني فهو عنصر إشاري يذكر مرة واحدة في النص،و لا يحال إليه،فهو غير عامل،لا يحكم مكونا آخر بعده أو قبله باعتماد عامل الإحالة،و بالتالي فهي ليس لها دور فعّال في هندسة العلاقات النحوية في النص،و لكن قد تبني التماسك النصي من الزاوية المعجمية،بدخولها في علاقات متعددة(الترادف-التضاد...)مع باقي العناصر الإشارية.

ب-العناصر الإحالية:

---

[1]- فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص18

[2]-مريم فرنسيس-في بناء النص و دلالته(محاور الإحالة الكلامية)-ص25

[3]-ينظر:-الدلالة النظرية لبعض الظواهر الإحالية-ص376

و يسميها الفاسي الفهري ب"العناصر المراقبة"و هي تلك"الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة،بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب"[1] و هي عناصر مجال إحالتها النص،و لا بد لها أن ترتبط بعنصر إشاري يراقبها و يفسرها،سواء من داخل النص أو من خارجه،لأنها مبهمة تحتاج إلى العناصر الإشارية لتزيل إبهامها،و هي"تمثل أدوات الإحالة،و يطلق عليها أشباه الكلمات و هي تلك العناصر الصغيرة التي تستخدم باعتبارها بدائل و لكنها غير مستقلة بذاتها"[2]. و الجدير بالذكر أن الضمائر تسيطر على هذه العناصر الإحالية حيث هي "بأنواعها الثلاثة:ضمائر الأشخاص،و الضمائر الموصولة،و ضمائر الإشارة من أهم ما يغني عن إعادة الذكر."[3] بمعنى أنها تغنينا عن إعادة ذكر العنصر الإشاري،و ذلك يحقق الاقتصاد في الاستعمال اللغوي،حيث يتعذر أن يعاد ذكره في كل مرة نحتاج فيها إلى ذكره،فالضمائر تقوم بدور الربط بين أجزاء النص.

(ه)-<u>التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الإحالة:</u>

تندرج سورة الكهف ضمن طائفة من السور المكية،و تتميز في بنائها على الطابع القصصي غالبا،و من المعلوم أن الموضوع الغالب على السور المكية يتمثل في العقيدة من حيث بيان أصولها الواضحة و هي الوحي والرسالة و التوحيد و البعث و الحساب و الجزاء...أما عن سورة الكهف فيتمثل موضوعها في تصحيح العقيدة و مساءلة الفكر و النظر،و إبراز معايير القيم في ظل تعاليم العقيدة،و يتمحور سياق السورة حول هذه المواضيع،بين المقدمة والختام–من منظور سيد قطب–في خمسة أشواط متتالية،تستقل كل قصة من هذه القصص بشوط من الأشواط"ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف،و بعدها قصة صاحب الجنتين،ثم إشارة إلى قصة آدم و إبليس،و في وسطها تجيء قصة موسى مع الرجل الصالح،و في نهايتها قصة ذي القرنين.و معظم ما يتبقى من آيات السورة

---

[1]-الأزهر الزناد-نسيج النص-ص118

[2]-باسل حاتم و إيان ميسون-الخطاب و المترجم-ت:عمر فايز-ص314

[3]-تمام حسان-البيان في روائع القرآن-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ج01 –ص137

هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها،و إلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة،و بعض مشاهد الحياة،التي تصور فكرة أو معنى على طريقة القرآن في التعبير."[1].

إذا،سورة الكهف تنحل إلى وحدات دلالية متعددة،يتوجب علينا في ظل المقاربة اللسانية النصية أن نحدّدها و نكشف عن التماسك في كل وحدة(تحليل أفقي)ثم التماسك بين الوحدات(تحليل رأسي)،و هذه الوحدات هي:

الوحدة(01):المقدمة و تقع من الآية 01إلى الآية08

الوحدة(02):قصة أصحاب الكهف و التعقيب عليها و تقع من الآية 09إلى الآية31

الوحدة(03):قصة الرجلين و التعقيب عليها و تقع من الآية32 إلى الآية49

الوحدة(04):إشارة إلى قصة آدم و التعليق عليها و تقع من الآية50 إلى الآية59

الوحدة(05):قصة موسى و الخضر و تقع من الآية60 إلى الآية82

الوحدة(06):قصة ذي القرنين و تقع من الآية83 إلى الآية99

الوحدة(07):التعليق عليها و الخاتمة من الآية 100إلى الآية110

إنّ السؤال الذي سنحاول مناقشته هو:ما مدى مساهمة الإحالة في تماسك الآيات المكونة للوحدة،والوحدات المكونة للسورة ككل؟

الوحدة الأولى:المقدمة (من الآية01 إلى الآية 08)

[1]-سيد قطب-في ظلال القرآن-مج 04–ج15 –تفسير سورة الكهف-ط 17- 1992 -ص2257

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴿1﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا
شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿2﴾ مَاكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿3﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿4﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ
كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿5﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن
لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿6﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا ﴿7﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿8﴾﴾

1-الإحالة الداخلية:

1-1-الإحالة الداخلية المعجمية:

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
	(01)	الذي-أنزل(هو)-عبده-يجعل(هو)	(01	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		لدنــه	(02)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

الله		الله	(04)	// //
		بـــه	(05)	// //
		إنا-جعلنا	(07)	// //
		إنا	(08)	// //

ما يلاحظ من خلال هذا الجدول الإحصائي أن لفظ الجلالة(الله عزوجل) ورد بشكل صريح في بداية المقدمة،وهو

عنصر إشاري عمل في عشرة عناصر إحالية،كلها من نوع الإحالة القبلية،و قد اتخذت شكل الإضمار إلا في الآية الرابعة حيث وردت الإحالة بالتكرار،و هذا إن دلّ على شيء إنما يدل على تفعيل تلك الاستمرارية في المعنى التي تحصل حينما نقرأ أو نسمع آيات المقدمة،و هذا يؤكد دور الإحالة(الإضمار)في تحقيق التماسك النصي(الشكلي) الذي من شأنه أن يلقي الضوء على جلاء المعنى و فهم الآيات المتتابعة.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
		لينذر(هو)- يبشر(هو)	(02)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		و ينذر(هو)	(04)	إحالة قبلية ذات

عبده	(01)			مدى بعيد
		فلعلك – نفسك	(06)	// //

إن الإحالات في هذا الجدول تكشف عن الطرفين الأساسيين في بسط المضامين،و هما خطاب الله عزّ وجلّ للرسول محمد- صلى الله عليه و سلم-و لئن كانت الإحالة تغني عن إعادة الذكر فإنها تسهم في هندسة السياق الفكري المعرفي للمضامين،بالإضافة إلى أنها تحمل معاني جديدة مثل الغياب و الخطاب (كاف الخطاب).

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
الكتاب	(01)	لــــه	(01)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		هذا الحديث	(06)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

بالنسبة لـــــ"الكتاب" و هو العنصر الإشاري الثالث،فإنه قد عمل في عنصرين إحاليين و هما:له(الآية الأولى) وهذا(الآية السادسة)،و هو عنصر أساسي مكمّل للطرفين(الله تعالى و الرسول –صلى الله عليه و سلم-).ونخلص إلى أن الإحالة قد ميّزت مسار المواضيع الأساس في الخطاب بكثرة العودة إلى العناصر الإشارية:الله عز و جل،و الرسول صلى الله عليه و سلم،و قد هندست أيضا التماسك النصي بين الآيات،و أوضحت العلاقات الأساسية بين الله عز و جل و الرسول –صلى الله عليه و سلم- و الكتاب،فقد بدأت السورة بحمد الله.وهذا أسلوب من أساليب النظم القرآني في بدايات السور،و تضمنت الآيات الخمس الأولى أن لله تعالى وحده الحمد هو الذي نزّل القرآن على عبده لا عوج فيه،لينذر الناس جميعا بقوته و بأسه..."إن انتشار الضمائر التي تحيل إلى

مرجوع واحد يوحي إلينا بحقيقة مهمة،تتمثل في وظيفة الضمائر في تحقيق التماسك النصي بين آيات السورة كلها.و أيضا يؤكّد الاستمرارية القائمة من الآية الأولى حتى الآية الأخيرة،و أن الوحدات ليست مستقلة عن بعضها."[1]

1-2-الإحالة الداخلية النصية:

وتمثلت في الآية الخامسة في ﴿كلمة﴾ التي تحيل إلى مقطع سابق يتمثل في قول الكافرين في الآية الرابعة﴿ اتخذ الله ولدا" ﴾ ،فهذه إحالة نصية لأن المحال إليه ليس لفظا مفردا،و تتميز هذه الإحالة بقلة انتشارها في النصوص لكن مردودها أقوى أثرا من الإحالة المعجمية في تحقيق التماسك و الفهم.

أما عن العناصر الإشارية غير العاملة ،فإنها تتوزع في آيات المقدمة بكم ملحوظ،و هي عناصر لا تعمل في عناصر أخرى في النص لاحقة أو سابقة،مثل:الحمد-عوجا-قيّما-بأسا-الصالحات-أبدا-علم-كذبا-باخع-أسفا-الأرض-صعيدا-جرزا-زينة...و هذا لا يعني أنها لا تساهم في رسم معالم التماسك النصي،بل إنها في الحقيقة تعدّ موادا أساسية لبناء صرح النص،والتعريف بالمضامين الجوهرية التي تلقي حمولتها على عاتق العناصر الإشارية العاملة،أضف إلى ذلك أنها تلعب دورا فعّالا في تحقيق التماسك النصي من الزاوية المعجمية عندما تدخل في علاقات متنوعة مع وحدات معجمية أخرى،فتحيل الذهن إلى فهم الاستمرارية الدلالية،وذلك مثل علاقة الترادف و التضاد، والمطابقة والتكرار بأنواعه الكلي و الجزئي...الخ.

2-الإحالة الخارجية(أو المقامية):

[1]-إبراهيم الفقي-علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق-ج01 –ص201

و يقصد بها الإحالة إلى خارج النص(أي خارج نص آيات المقدمة)و هي "تشير إلى أن العنصر المشار إليه محدّد في سياق الموقف،فهي تشير إلى العالم الفعلي،كأن تحيل كلمة(we)إلى الكاتب أو المتكلم خارج النص."[1]،فهذا النوع من الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال أو الأحداث و المواقف المحيطة بالنص،و بالتالي فهو يعزّز من عملية الفهم إذ يربط عالم النص الداخلي،بالمراجع التي نعود إليها في العالم الواقعي والفعلي الخارجي.

و قد وردت في مقدمة السورة إحالات من هذا القبيل تتمثل في:

أ-لفظ الجلالة **الله** عزّوجلّ:حيث ورد بصورة صريحة في الآية الأولى يحيل إلى ذات الله سبحانه و تعالى،و هو خارج النص يفهم من خلال سياق الموقف،و قد ورد بصيغة نون العظمة في:إنا-جعلنا (في الآية07)و إنا(في الآية08)، وورد بصيغة ضمير المتكلم المستتر(نحن) في:لنبلوهم (في الآية 07).و بصيغة واو التعظيم في:لجاعلون(في الآية08).

ب-**المؤمنين**:و التي تحيل إلى المسلمين الموحدين الذين يؤمنون بأن الله عزّ و جلّ واحد أحد لم يلد و لم يولد،و هم في الحقيقة خارج نص الآيات.

ج-**عبده**:و هي تحيل إلى الرسول صلى الله عليه و سلم،حيث إن الخطاب موجه إليه(بالانفتاح على سياق الموقف أومناسبة السورة).

د-**الذين في الآية 04**: حيث تحيل إلى ما هو خارج النص(اليهود و النصارى)،و بلغنا هذا الإرجاع من خلال مساعدة السياق العام للآيات،يقول الله عزّ و جلّ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ ﴾ 29/9

[1]-عزة شبل محمد-علم لغة النص النظرية و التطبيق-ص123

النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿ 30/9 ﴾(سورة التوبة الآية 30)

ه-مـــــــا على الأرض و مـــــــــــــا عليها صعيدا: في الآيتين(07-08) حيث تحيلان إلى خارج النص(=كل ما هو موجود على الأرض) و هو غير مذكور في النص لكن بمساهمة السياق اكتشفنا كنه "ما"الموصولة.

الوحدة الثانية:قصة أصحاب الكهف و التعقيب عليها(من الآية09 إلى الآية31)

﴿ 8/18 ﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿ 9/18 ﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿ 10/18 ﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿ 11/18 ﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿ 12/18 ﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿ 13/18 ﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿ 14/18 ﴾ هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿ 15/18 ﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿ 16/18 ﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ

ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿17/18﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ
وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿18/18﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ
لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى
الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا
﴿19/18﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا
﴿20/18﴾ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ
يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21/18﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ
كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا
تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22/18﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي
فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿23/18﴾ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿24/18﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا
﴿25/18﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن

دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿26/18﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿27/18﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿28/18﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿29/18﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿30/18﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿31/18﴾ ﴾ .

1-الإحالة الداخلية:

1-1-الإحالة الداخلية المعجمية:

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
		كانوا	(09)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		الفتية	(10)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
	(09)	فقالوا-ربنا-آتنا-	(10)	إحالة قبلية ذات

أصحاب الكهف		لنـــا- أمرنـــا		مدى بعيد
		آذانهـــــم	(11)	// //
		بعثناهم-لبثـــوا	(12)	// //
		نبأهم – إنهم –فتية –آمنـــوا – بربهم – زدناهم	(13)	// //
		قلوبهم – قاموا – فقالوا – ربنا – ندعو(نحن) –قلنا	(14)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		قدمنا – اعتزلتموهم-فأووا –اكم –ربكم – لكم – أمركم	(16)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		كهفهم–نقرضهم– وهم	(17)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		وتحسبهم – وهم – نقلبهم-كلبهم-عليهم-منهم-منهم	(18)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		بعثناهم-ليتساءلوا-بينهم-منهم-لبثتم-قالوا-لبثنا-قالوا-ربكم-لبثتم-فابعثوا-أحدكم-بورقكم-يأتكم-بكم	(19)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

		عليكم-يرجموكم-يعيدوكم-تفلحوا	(20)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		عليهم-أمرهم-عليهم-ربهم-بهم-أمرهم-عليهم	(21)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		هم(مستتر)-رابعهم-كلبهم-(هم)خمسة-سادسهم-كلبهم-(هم)سبعة-ثامنهم-كلبهم-عدتهم-ما يعلمهم-فيهم-فيهم	(22)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		لبثوا-كهفهم-ازدادوا	(25)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		لبثوا	(26)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

<u>تحليل نتائج الجدول:</u>

ما يلاحظ عن العناصر الإحالية المبيّنة في الجدول أنها متنوّعة ما بين ضمير الغائبين(هم) و واو الجماعة(وا) و ضمير المخاطبين(كم) و ضمير المتكلمين(نا)،و ضمير الخطاب للجمع(تم)،و الإحالة التكرارية(الفتية) و الضمير المستتر للمتكلمين(نحن)...و كلها تحيل إلى بطل القصة،العنصر الإشاري الرئيسي في القصة القرآنية.و من خصائص العناصر الإحالية التي أفرزتها بيانات الجدول ما يأتي:

1-**التنوّع:**فنجد فيها الضمائر البارزة و المستترة،للمخاطب و المتكلم و الغائب،و فيها الإحالة التكرارية(الفتية) "ولعل المراد من التكرير تذكير المخاطب بهم بعد مسافة من ذكرهم أول مرة قصد التأكيد."[1]

2-**وحدة النوع:**حيث إن كل العناصر الإحالية تندرج ضمن الإحالة القبلية و الداخلية المعجمية،و هذا أمر وظيفي فعّال فهي جميعها تفسّر و تعرض أحداث العنصر الإشاري الرئيسي في القصة الذي سبق ذكره في الآية التاسعة وهي الآية الأولى من نص القصة،ثم توزعت العناصر الإحالية في الآيات مرتبطة برباط الإحالة إليه،الأمر الذي أدى إلى التماسك بينه و بينها من جهة،و بينها و بين بعضها بعض من جهة أخرى..."فإذا علمنا أن العناصر الإحالية موزعة على جميع آيات القصة،عرفنا أن الآيات مترابطة بعضها ببعض جميعا،ذلك أنها تحتوي جميعا عناصر تعود على عنصر إشاري واحد."[2].

إنّ هذا التصوّر هو ما دافع عنه "هارفج R.Harweg" في نموذجه النصي القائم على خاصية الإضمار باعتبارها نواة جوهرية في تكوين النص،فغيابها يعني تشتت النص،بل انعدامه "...تعدّ ظاهرة الإضمار بوجه خاص-منذ (هارفج)R.Harwegسنة1968-شرطا من الشروط النحوية-التركيبية الأساسية لتماسك النص،فالربط بين الجمل يتحقق ليس آخر الأمر من خلال أن وسائل لغوية مختلفة(كالأسماء و الأفعال) التي تقوم بوظيفة العائد إليه،يحيل إليها في الجمل التالية بعلامات لغوية مطابقة لها في الإحالة...فهذا الاستبدال(الإضمار) يكفل تبعا لقول "هارفج" اتساق سياق النص،أي أن أشكال التسلسل الضميري تلك حسب فكرته الجوهرية هي الوسيلة الحاسمة لتشكيل النص،و من ثمّ يعرّف النص بأنّه تتابع لوحدات لغوية يشكّله تسلسل ضميري متصل."[3]

و يمكن أن نعتبر بأن هذا التصوّر صحيح ،و ذلك من خلال إحصاء العناصر الإحالية التي توزّعت على الآيات القرآنية كما يلي:

---

[1]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص23
[2]-المرجع نفسه-ص24
[3]-فولفجانج هاينه مان و ديتر فيهفجر-مدخل إلى علم لغة النص-ت:سعيد حسن بحيرى-ص23

الآيــة	عدد العناصر الإحالية	الآيــة	عدد العناصر الإحالية
09	01	18	07
10	06	19	15
11	01	20	04
12	02	21	07
13	06	22	13
14	06	25	03
16	07	26	01
17	03		

3-**توزّع الإحالة** إلى نوعين من حيث المسافة بين العنصر الإشاري الرئيسي و العناصر الإحالية،فما جاء في الآيتين(09)و(10) إحالة ذات مدى قريب لعدم وجود فاصل من الجمل ما بين العنصر الإشاري و العنصر الإحالي،بينما كل الإحالات المتبقية تندرج ضمن الإحالة ذات المدى البعيد.

4-و الجدير بالملاحظة أيضا **سيطرة ضمير الغائبين** على الإحالة،و واو الجماعة التي تدل في القصة على الغياب،وكلمة فتية أيضا تدل على غياب،لأنّها تنوب عن أصحاب الكهف،و هذا ملائم للسياق الواقعي للقصة،لأنها تقصّ أثر أحداث وقعت لجماعة غائبين.

5-أما عن **ضميري المخاطبين(كم-تم)** و **المتكلمين(نحن-نا)** فقد وردت في سياق الحوار و التخاطب،و بالتالي جاءت دالة على الحضور "إذ تكلم الحق سبحانه على لسان أبطال القصة في الموقف الأول:عندما أعلنوا إيمانهم فيما بينهم،أو أمام ملكهم الجبار،ثم آووا إلى الكهف.و الموقف الثاني:عندما بعثهم الله ليتساءلوا و يتواصوا فيما

بينهم،وضمير الخطاب في المواضع الأربعة للمبالغة في حمل المبعوث على ما أريد منه،و الباقين على الاهتمام بالتوصية."[1]

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
		آتنا (أنت)-لدنك- هيّء (أنت)	(10)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		بربهم	(13)	إحالة قبلية(تكرارية) ذات مدى بعيد
ربنا	(10)	ربنا – رب –دونه	(14)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد(تكرارية)
		دونه	(15)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		ربكم – رحمته – يهيّء (هو)	(16)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
ربنا	(10)	ربكم	(19)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		ربهم	(21)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		ربي	(22)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		ربك – ربي	(24)	// // //
		ربك	(27)	// // //

[1]-شهاب الدين الألوسي-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان-د.ت-ج15-ص231

تكشف القراءة الإحصائية المبدئية لهذا الجدول بأن العنصر الإشاري(ربنا) قد أُتبع بسبعة عشر عنصرا إحاليا بأشكال مختلفة على النحو الآتي:

1-تكرار اللفظ(عشر حالات) "..وتكرار العنصر الذي يشير إلى نفس الشيء يسمى بالترديد وهو تمثيل للمعنى المقصود"[1]

2-ضميــــر الهـــاء(ثلاث حالات)

3-ضمير المخاطب المستتر:أنت(حالتان)

4-كـــاف الخطـــاب(حـــالة واحـــدة)

5-الضميـــر المستتر:هو(حـــالة واحدة)

-ننتقل الآن في بحث العنصر الإشاري المتمثل في لفظ الجلالة(الله)،والذي أُتبع بثلاثة عشر عنصرا إحاليا، يُبيّنها الجدول الإحصائي الآتي:

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
		الله	(16)	إحالة قبلية ذات مدى قريب(تكرار)
		الله –الله	(17)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد(تكرار)
	(15)	يضلل(هو)	(17)	إحالة قبلية ذات

[1]-باسل حاتم وإيان ميسون-الخطاب والمترجم-ت:عمر فايز-جامعة الملك سعود-الرياض-السعودية-ط01-1998-ص313-314

لفظ الجلالة (الله)				مدى بعيد
		الله	(21)	// //
		الله	(24)	// //
		الله-لـــه-بـــــه-أسمــــع(به)-دونـــه-ولا يشرك(هو)-حكمه	(26)	// //

من خلال الجدول يتبين أن طبيعة الإحالة إلى لفظ الجلالة(الله) كانت عن طريق التكرار في ست مرات،وعن طريق الضمير الظاهر الهاء في خمس مرات،وعن طريق الضمير المستتر(هو) في مرتين...وتعتبر الإحالة التكرارية الأولى،التي ربطت الآيتين(15-16) من نوع الإحالة ذات المدى القريب لانعدام المسافة الجملية بينهما،في حين تندرج بقية الإحالات في نوع الإحالة ذات المدى البعيد.

-جدول العنصر الإشاري العامل:قومنا

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
قومنا	(15)	هؤلاء	(15)	إحالة بعدية ذات مدى قريب
		اتّخذوا-يأتون-	(15)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		اعتزلتموهم-يعبدون	(16)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

		إنهم-يظهروا-يرجمـــــوكم	(19)	// //
		يعيدوكم-ملتهم-	(20)	// //

من خلال الجدول يتبين أن طبيعة الإحالة إلى لفظ الجلالة(الله) كانت في الأولى عن طريق اسم الإشارة(هؤلاء) الذي يحيل إلى قوم الفتية ،وهي من نوع الإحالة البعدية ذات المدى القريب لقرب المسافة.وفي الثانية عن طريق واو الجماعة حيث وردت ست مرات،وفي الثالثة عن طريق ضمير الغائبين(هم) حيث وردت ثلاث مرات.

ويشير فريد عوض حيدر أن الإحالة في خطاب الفتية"هي في أذهانهم،على قومهم الذين فرّوا منهم بدينهم ظنّا منهم أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم،وأن مدينتهم التي فرّوا منها،كما هي وأن أهلها مازالوا على عبادتهم لآلهة الملك الجبار الذي فرّروا من بطشه،قبل أن يستيقظوا من لبثهم."[1]

الإحالة على لفظ الناس،و هو محذوف في قول الله عزّوجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾﴾(سورة الكهف) .فالعنصر الإشاري المحذوف في هذه الآية هو"مفعول أعثرنا الأول،لقصد العموم أي وكذلك أطلعنا الناس عليهم"[2]

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة

[1]-اتساق النص في سورة الكهف-ص28
[2]-الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4203

لفظ الناس(وهو محذوف)	(21)	ليعلموا-يتنازعون-بينهم-فقالوا-ابنوا	(21)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		بينهم-فقالوا-ابنوا	(21)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

من خلال الجدول يتبين أن الإحالة إلى لفظ الناس المحذوف كانت عن طريق ضمير واو الجماعة في أربع مرات،والضمير(هم) في مرة واحدة،فمجموع الإحالات خمس.والإحالتان الأولى والثانية ذات مدى قريب،أما الإحالات المتبقية فذات مدى بعيد،لكن بمسافة جملة واحدة فقط.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
كلبهم	(18)	ذراعيه-	(18)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		كلبهم-كلبهم-كلبهم	(22)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد(تكرار

من خلال الجدول يتبين أن الإحالة إلى لفظ(كلبهم) كانت عن طريق ضمير الغائب المفرد(الهاء) مرة واحدة فقط ذات مدى قريب ،وعن طريق تكرار اللفظ ثلاث مرات كلّها ذات مدى بعيد .

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
أحدكـــم		فلينظر (هو)	(19)	إحالة قبلية ذات

	(19)			مدى قريب
		يأتكم(هو)- يتلطف(هو)- يشعرنّ(هو)	(19)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

لفظ(أحدكم) يدل على واحد من الفتية،غير متعيّن،وقيل إن اسمه(يلميخا)"...فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون،قالوا ليلميخا،وكان هو صاحب نفقتهم،الذي كان يبتاع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة..."[1]،وقد تمت الإحالة عليه عن طريق الضمير المستتر للغائب المفرد في أربع مرات في الآية نفسها(19) لكن الإحالة الأولى كانت ذات مدى قريب في حين كانت الإحالات المتبقية ذات مدى بعيد.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
الشمس	(17)	طلعت(هي)- تزاور(هي)- غربت(هي)- تقرضهم(هي)	(17)	إحالة قبلية ذات مدى قريب

لفظ(الشمس) عنصر إشاري عمل في أربعة عناصر إحالية ترجمها ضمير المفردة الغائبة(هي) وهي كلها من نمط الإحالة القبلية ذات المدى القريب.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
أيّ الحزبين	(16)	أحصى(هو)	(16)	إحالة قبلية قريبة
		فقالوا-الذين غلبوا	(21)	إحالة قبلية بعيدة

[1]-الطبري-جامع البيان عن تأويل آي القرآن-ج09-ص5642

فالعنصر الإشاري(أيّ الحزبين) قد عمل في ثلاثة عناصر إحالية وهي:الضمير المستتر(هو) في "أحصى"و واو الجماعة في "فقالوا" واسم الموصول مع صلته في"الذين غلبوا".والأولى وردت ذات مدى قريب أما الثانية والثالثة فذات مدى بعيد،وكلها من نوع الإحالة القبلية.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
آلهة	(15)	عليـــهم	(15)	إحالة قبلية قريبة

هذا العنصر عمل في عنصر إحالي واحد وهو الضمير(هـم)وهي إحالة على السابق ذات مدى قريب.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
المدينة	(19)	أيّـــها	(19)	إحالة قبلية قريبة

المدينة:عنصر إشاري عمل في عنصر إحالي واحد أيضا وهوالضمير الهاء،وهي من نوع الإحالة القبلية ذات المدى القريب.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
ورقكم	(19)	هذه	(19)	إحالة قبلية معجمية قريبة

هذه اسم إشارة يشير إلى الورق وهو"الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة"[1]وهي إشارة أو إحالة على السابق وذات مدى قريب،"..ووصف الورق بقوله تعالى(هذه)يُشعر بأن القائل أحضرها ليناولها بعض أصحابه وإشعاره بأنه ناولها إياه بعيد"[2]

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
الساعة	(21)	فيـــها	(21)	إحالة قبلية قريبة

العمل نفسه قام به العنصر الإشاري(الساعة)،حيث عمل في عنصر إحالي واحد وهو الضمير الهاء،وهي من نوع الإحالة القبلية ذات المدى القريب.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
شيء	(23)	ذلك	(23)	إحالة قبلية قريبة

"...فالشيء هنا عنصرٌ إشاري عامل في عنصر إحالي واحد هو اسم الإشارة(ذلك)،الذي يحيل الذهن على الشيء ويرتبط به،وهذه إحالة بالعودة على السابق القريب."[3]

وقد تضمّنت الوحدة الثانية بعض العناصر الإشارية غير العاملة،وهي العناصر التي وردت في القصة مستقلة عن أي عنصر إحالي سابق أو لاحق،فقد ذكرت مرة واحدة فقط،وهي تفيد دلالتها بذاتها أي لا تعمل في عناصر أخرى عملا إحاليا،ولا تحيل عليها عناصر من النص.وهي التي يبينها الجدول الآتي:

العنصرالإشاري غير العامل	موجود في الآية	العنصرالإشاري غير العامل	موجود في الآية

[1]-الزمخشري-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل-دار الفكر-بيروت-لبنان-ط01-1983-ج02-ص476
[2]-الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4200
[3]-اتساق النص في سورة الكهف-ص32

عجبا	09	الوصيد – رعبا	18
آذاهم	11	أبدا	20
هدى	13	أمرهم	21
شططا	14	ريب – بنيانا – مسجدا	21
سلطان - كذبا	15	مراء	22
مرفقا	16	شيء	23
فجوة - مرشدا	17	حكم	26

يقول فريد عوض حيدر في بيان قيمة هذه العناصر داخل النص وعلاقتها بتحقيق الترابط:"..وليس معنى أنها غير عاملة أنها تخلو من صلة بالنص،فبعض هذه العناصر الإشارية،لا يخلو من عناصر إحالية تربطها بعنصر إشاري عامل،فعلى سبيل المثال لفظ(آذاهم،أمرهم) يحتويان على عنصر إحالي يربطهما بالعنصر الإشاري الرئيسي وهو أصحاب الكهف،مما يجعلنا نقول بتضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في اتساق النص...وهناك بعض العناصر متسقة معجميا أو اشتقاقيا يظهر أثرها في الاتساق المعجمي."[1]

1-2-الإحالة الداخلية النصية(Texophora):

وهي نوع من الإحالة يسهم بشكل فعّال في نسج خيوط النص الكثيرة والمتباعدة،وذلك لأن العنصر الإحالي النصي يشير أو يحيل إلى جزء من النص،وقد يزيل الإبهام عن مقطع منه،وفي قصة أصحاب الكهف أدّى هذا النوع من الإحالة إلى تحقيق التماسك،وسنوضّح بعضا منها في الجدول الآتي:

العنصرالإحالي النصي	الآية	العنصر الإشاري	موجود في الآية	نوع الإحالة

[1] -اتساق النص في سورة الكهف-ص33

نبأهم	(13)	مجمل القصة	(12-09)	إحالة قبلية
		تفصيل القصة	(25-12)	إحالة بعدية
ذلك	(17)	ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة	(17)	إحالة قبلية
		الضرب على الآذان في الكهف سنين عددا[1]	(11)	إحالة قبلية
ليتساءلوا	(19)	نص الحوار الذي دار بينهم حول مدة لبثهم	(19)	إحالة بعدية
إذ يتنازعون بينهم	(21)	قول الفريقين اللذين أُعثروا على أصحاب الكهف.فقال فريق منهما ابنوا عليهم بنيانا،وقال الآخر لنتخذنّ عليهم مسجدا[2]	(21)	إحالة بعدية
ذلك (و) **ذلك**	(19) (21)	كلاهما يشيران إلى:الإنامة والبعث،والضرب على الآذان،وهم رقود،ومن قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ . . . ﴾ ومن قوله أيضا: ﴿ وَلَبِثُوا	(11) (18) (19)	

[1]-"وقوله:(ذلك من آيات الله)...إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم..." أنظر:الطبري-جامع البيان-ج9-ص5636

[2]-من الممكن أن تكون الإحالة على كلام المتنازعين في أمر البعث من قوم الفتية قبيل بعثهم(أنظر:روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4204

		فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾	(25)	
هذا	(24)	"إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف،ومعناه: لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف"[1] "...وعلى ذلك تكون الإحالة هنا نصية فهي تحيل إلى نص القصة جميعا،إذ يحتاج اسم الإشارة هنا إلى نص القصة كله لتفسيره"[2]	نص قصة أصحاب الكهف الآية09إلى الآية25	إحالة نصية إلى السابق و اللاحق

2-الإحالة الخارجية أو المقامية:

وتدل على أن المشار إليه يحدّده سياق الموقف،أي أنها تحيل على العالم الواقعي الفعلي،كأن تحيل كلمة(أنا) إلى المتكلم المتواجد خارج النص.فهذا النمط من الإحالة مرهون بمعرفة كافة السياقات التي أنتج النص في ظلها.والإحالة إلى العناصر الإشارية في الإحالة المقامية تكون"باستخدام عناصر لغوية مثل إحالة المتكلم على ذاته

[1]-الزمخشري-الكشاف-ج02-ص480
[2]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص39

أوإحالته على غيره،لكن مهما تعددت أنواع الإحالة،فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع."[1].وفيما يلي نحاول أن نستقصي عناصر الإحالة المقامية في قصة أصحاب الكهف:

العنصر الإشاري	العناصر الإحالية	موجودة في الآيات
لفظ الجلالة (الله)	آياتنا	(09)
	فضربنا	(11)
	بعثناهم-لنعلم (نحن)	(12)
	نحن نقصّ(نحن)-وزدناهم	(13)
	وربطنا-ونقلّبهم (نحن)	(18)
	بعثناهم	(19)
	أعثرنا	(21)

والملاحظ أن هذه العناصر الإحالية[ضمير العظمة نا (سبعة مواضع)-ضمير العظمة نحن مستترا (ثلاثة مواضع)-ضمير العظمة نحن ظاهرا(في موضع واحد)] توزّعت في النص لتحيل على أمر واحد مشترك وهو المتكلم الله جلّ جلاله،فأثرها الفعّال في تحقيق التماسك جليّ وبيّن.

العنصر الإشاري	العناصر الإحالية	موجودة في الآيات
الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم	حسبت	(09)
	عليك	(13)
	وترى(أنت)-ذلك-فلن تجد(أنت)	(17)

[1]-الأزهر الزناد-نسيج النص-ص119

الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم	وتحسبهم(أنت)-لو اطلعت	(18)
	-لوليت-لُملئت-	(18)
	وكذلك	(19)
	وكذلك	(21)
	قل(أنت)-ربـــــي-فلاتمار(أنت)	(22)
	-ولا تستفت-	(22)
	ولا تقولنّ(أنت)-إني-ذلك	(23)
	واذكر(أنت)-ربك-إذانسيت-	(24)
	وقل(أنت)-يهديني-ربي	(24)
	قل(أنت)-أبصر(أنت)-أسمع(أنت)	(26)
	واتل(أنت)-إليك-ربك-تجد(أنت)	(27)

من هو المقصود بخطاب الله عزّوجلّ في قصة أصحاب الكهف؟هل هو النبي صلى الله عليه وسلّم؟أم هو أهل الكتاب؟أم الناس جميعا؟وهل تتغير طبيعة الإحالة ونمطها إذا تغير الجواب؟.يقول الألوسي في روح المعاني:" ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾خطاب لسيد المخاطبين صلّى الله عليه وسلّم والمقصود غيره كما ذهب إليه غير واحد"[1]،ومثل ذلك أقرّ به صاحب جامع البيان"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم:أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا.."[2].وإن كان المقصود بالخطاب أهل الكتاب أو الناس من دون تحديد فإن

[1]-روح المعاني-مج08-ج14-15-ص4175
[2]-الطبري-جامع البيان-ج09-ص5619

طبيعة الإحالة لا تتغير،لأنها تشير إلى محال إليه متواجد خارج نص القصة ساعد المقام في تحديده(سبب النزول أو العرف العام).."فالإحالة هنا خارجية على اعتبارين،الأول:أن المرسل سبحانه وتعالى لم يذكر اسم رسوله صراحة في نص القصة.والثاني:أن الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولكن المقصود به غيره،وغيره أيضا(أهل الكتاب) لم يرد لهم ذكر في نص القصة(...)ويمكن اعتبار هذه الإحالة داخلية على اعتبار أن القصة جزء من نص كبير هو سورة الكهف،فتكون الإحالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم المذكور بلفظ لغوي يدل عليه في أول آية من السورة في قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا 1 ﴿ 1 ﴾ ﴾"[1].

العنصر الإشاري	العناصر الإحالية	موجودة في الآيات
من افترى	افترى (هو):ذات غير متعينة تمثل كل من افترى على الله كذبا،وتشمل قوم الفتية.	(15)
من يهده **واو الجماعة في الأفعال الثلاثة:** ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾	يهده –يضلل(هو) فالواو في الأفعال الثلاثة"لليهود المعاصرين له صلى الله عليه وسلم الخائضين في قصة أصحاب الكهف"[2]وهناك من قال إن اليهود هم المقصودون بالأولى والنصارى بالثانية وبعض المسلمين بالثالثة[3]	(17) (23)

[1]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص42-43
[2] -الألوسي-روح المعاني-مج08-ج14-15-ص4212
[3]-المرجع نفسه-ص4217

وعن الرأي الثاني القائل بأن الواو الأولى لليهود والثانية للنصارى والثالثة لبعض المسلمين يوجّه الدكتور فريد عوض حيدر الإحالة بقوله:"...يمكن توجيه الإحالة بواو الجماعة على وجهين:الأول أنها إحالة خارجية على اعتبار أن هذه الفرق الثلاثة اليهود والنصارى والمسلمين لم يجر ذكرهم في نص القصة.والثاني أنها إحالة داخلية على أساس أن الله تعالى ذكرهم جميعا في بداية السورة حيث ذكر المسلمين في قوله: وذكر اليهود والنصارى في قوله: ﴿...وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿2﴾﴾،وذكر اليهود والنصارى في قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿4﴾﴾.وتكون هذه الإحالة بالعودة على السابق كما أنها إحالة على المدى البعيد"[1]

العنصر الإشاري	العناصر الإحالية	موجودة في الآيات
ذلك **في قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿23﴾﴾	ذلك." ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾أي لأجل شيء تعزم عليه ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾الشيء ﴿غَدًا﴾أي فيما يستقبل من الزمان مطلقا وهو تأكيد لما يدل عليه اسم الفاعل بناء على أنه حقيقة في الاستقبال ويدخل فيه الغد بمعنى اليوم الذي يلي يومك وهو المتبادر دخولا أوليا"[2]	(23)

[1]-اتساق النص في سورة الكهف-ص45
[2] -الألوسي-روح المعاني-مج08-ج14-15-ص4220

فاسم الإشارة(ذلك)يشير إلى شيء وهي كلمة نكرة تدل على العموم،أي كل شيء سيقدم النبي-صلى الله عليه وسلم-على فعله في مستقبل الزمان المطلق(غدا)،وتدل كلمة شيء إذا ما ربطناها بسياق نزول الآية على وعد النبي صلى الله عليه وسلم قريشا إخبارهم عن سؤالهم الذي سألوه"...وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش:سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين،فسألوه فقال:ائتوني غدا ولا يستثن،فأبطأ عليه الوحي حتى شقّ عليه وكذّبته قريش"[1].إذًا،اسم الإشارة(ذلك)"يحيل إحالة معجمية على السابق القريب داخل النص وهو كلمة شيء التي تعدّ في جانب منها مبهمة،ويكشف عن إبهامها سياق الحال(...)كما يحيل إحالة نصية خارجية على نص كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الوارد في سبب النزول...لأنه من دون العودة لهذا السياق الخارجي،ما كان يتضح المراد من اسم الإشارة وما يحيل عليه."[2]

الوحدة الثالثة:قصة الرجلين والتعقيب عليها(من الآية32 إلى الآية 49)

﴿31/18﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿32/18﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿33/18﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34/18﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿35/18﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا

1-الزمخشري-الكشاف-ج02-ص480

2-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص46

﴿ 36/18 ﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿ 37/18 ﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿ 38/18 ﴾ وَلَوْلَا إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿ 39/18 ﴾
فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا
﴿ 40/18 ﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿ 41/18 ﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي
أَحَدًا ﴿ 42/18 ﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿ 43/18 ﴾
هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿ 44/18 ﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿ 45/18 ﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿ 46/18 ﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً
وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿ 47/18 ﴾ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿ 48/18 ﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿ 49/18 ﴾

وقد روي أن هذه القصة هي"قصة رجلين من قريش من بني مخزوم أحدهما مؤمن فقير وثانيهما كافر غني،كما روي أنه قصة رجلين من بني إسرائيل،وقال بعض المفسرين باحتمال أن يكون هذا المثل تصويريا وتقديريا لمؤمن وكافر"[1]

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
الله عزّوجلّ	(15)	جعلنا-حففنا-وجعلنا(نون العظمة	(32)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		وفجّرنا-	(33)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		ربي	(36)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد(ترادف)
		الذي-خلقك(هو)-سوّاك(هو)	(37)	// //
		هو-الله-ربي-بربي	(38)	// //
		الله-بالله	(39)	// //
		ربي-يؤتين(هو)-يرسل(هو)	(40)	

[1]-محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-دار إحياء الكتب العربية-ج06-ص22

		أُحيط(أحاط الله)- بربي الله	(42) (43)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		لله-الحق-هو أنزلناه-الله ربك	(44) (45) (46)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		نسيّر(ضمير العظمة نحن)-حشرنا- نغادر(نحن) ربك-جئتمونا- خلقنا- نجعل(نحن)نقلبهم-	(47)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
			(48)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		ربك	(49)	
جنتين	(32)	حففناهما-بينهما- الجنتين-آتت(هي)- تظلم(هي)-خلالهما	(32) (33)	إحالة قبلية ذات مدى قريب إحالة قبلية ذات مدى بعيد
جنة الرجل الكافر	(35)	جنته-هذه منها	(35) (36)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		جنتك جنتك-عليها- فتصبح(هي)	(39) (40)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

		ماؤها- فيها-هي-عروشها-	(41) (42)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
الرجل الجاحد(له)	(34)	قال(هو)-صاحبه- هو-يحاور(هو)-أنا دخل(هو)-جنته - وهو-لنفسه- قال(هو)-أظن(أنا) وما أظن(أنا)-رددت ربي-لأجدنّ له-صاحبه-يحاوره- أكفرت-خلقك- سوّاك	(34) (34) (35) (35) (35) (36) (36) (37) (37) (37)	إحالة قبلية مدى قريب -مدى بعيد -مدى بعيد -مدى بعيد -مدى بعيد -مدى بعيد
		دخلت-جنتك- قلت-ترن(أنت)- منك جنتك تستطيع(أنت)	(39) (40) (41)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		أصبح،يقلّب،أنفق(هو) يقول(هو)-ليتني- لم أشرك(أنا)-ربي له-ينصرونه- ماكان(هو)	(42) (44)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد إحالة قبلية ذات مدى بعيد

الرجل المؤمن(لصاحبه)	(34)	يحاوره-منك-قال(هو)-يحاور(هو)-لكنّا(أنا)-ربي-لأشرك(أنا)-بربي-إن ترن-أنا-ربي-يؤتين	(34) (37) (39)	قبلية-مدى قريب إحالة قبلية ذات مدى بعيد إحالة قبلية ذات مدى بعيد

لقد هيمن السرد الحواري في قصة الرجلين،الأمر الذي فسح المجال أمام الإحالة القبلية خاصة،لشدّ أطراف الحوار والربط بين الحوادث وأصحابها،والإحالة الأولى تربط ما بين نص القصة والسورة كلها وهي الإحالة التي تعيدنا إلى الآية الأولى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ. . . ﴾فالضمير المستتر وجوبا(أنت)عنصر إحالي يشير إشارة قبلية ذات مدى بعيد،إلى العنصر الإشاري(الرسول صلى الله عليه وسلم)الذي ورد ذكره في الآية الأولى من سورة الكهف،حيث يقول الحقّ سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾﴿1﴾ .

والجدير بالملاحظة أن آيات القصة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالآيات التي سبقتها،فالضمير(هم) في قول الله عزّوجلّ: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم. . ﴾ عنصر إحالي يحيل إلى عنصر إشاري،وهو الكفار الوارد ذكره في الآيات السابقة"..والصلة قائمة بين هذه الآيات والآيات السابقة.والراجح أن ضمير(واضرب لهم) راجع إلى الكفار.ولقد ندّدت الآيات السابقة بطبقة الزعماء والوجهاء التي كانت تتبجح بمركزها ومالها وقوهّا وتحتقر فقراء

المسلمين،فجاءت هذه الآيات تسرد حادثا واقعا معروفا لهم لتدعم به ما جاء في الآيات السابقة من تقرير كون الفضل وأحسن العاقبة للإيمان والعمل الصالح..."[1]

أما عرض القصة فقد اعتمد اعتمادا كبيرا على حركة الإحالة إلى السابق التي ربطت بين الجمل المتباعدة،والآيات التي بينها مسافة قريبة أو بعيدة.

الوحدة(05):قصة موسى و الخضر و تقع من الآية60 إلى الآية82

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿60﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿61﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿62﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿63﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿64﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿65﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿66﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿67﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿68﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿69﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿70﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿71﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿72﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿73﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿74﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا ﴿75﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿76﴾ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ

[1] -محمد عزة دروزة-التفسير الحديث -ج06-ص23

صَبْرًا ﴿78﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿79﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿80﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿81﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿82﴾

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة

موسى عليه		فتاه-أبرح(أنا)-أبلغ(أنا)-		إحالة قبلية ذات
السلام	(60)	أمضي(أنا)	(60)	مدى قريب
		قال(هو)-لفتاه	(62)	إحالة قبلية ذات
		قال(هو)-أتّبعك-تعلمني	(66)	مدى بعيد
		قال(هو)-ستجدني-		
		أعصي(أنا)	(69)	// //
		اتبعتني-تسألني-لك	(70)	
		قال(هو)	(71)	// //
		لك(أنت)-إنك(أنت)-تستطيع	(72)	// //
		قال(هو)-لاتؤاخذني-نسيت-	(73)	
		ترهقني-أمري		// //
		قال(هو)	(74)	
		لك-إنك	(75)	// //
		قال-سألتك-تصاحبن-بدني	(76)	
		قال(هو)	(77)	// //
		وبينك-سأنبئك-تستطع	(78)	
		تستطع	(82)	// //
الفتى	(62)	آتنا-	(62)	// //
		قال-فإني-نسيت-أنسانيه-	(63)	// //
		أذكر		
الرجل الصالح	(65)	آتيناه-علّمناه	(65)	إحالة قبلية(قريب)
		له-أتبعك-تعلّمني-عُلّمت	(66)	إحالة قبلية(بعيد)
		قال-معي	(67)	// //
		ستجدني-لك	(69)	// //
		قال-اتبعتني-تسألني-أحدث	(70)	// //

		خرقها-قال-أخرقتها-لتغرق-جئت	(71)	//	//
		قال-أقل-معي	(72)	//	//
		لا تؤاخذني-ترهقني	(73)	//	//
		فقتله-أقتلت-جئت	(74)	//	//
		قال-أقل-معي	(75)	//	//
		سألتك-تصاحبني-بلغت-لدني	(76)	//	//
		فأقامه-شئت-لتّخذت	(77)	//	//
		قال-بيني-سأنبئك	(78)	//	//
		فأردت-أعيبها	(79)	//	//
		فعلته-أمري	(82)	//	//
موسى عليه السلام والفتى		بلغا-نسيا-حوتهما	(62)	//	//
		جاوزا-آتنا-غداءنا-لقينا-سفرنا	(62)	//	//
		أوينا	(63)	//	//
		كنا-فارتدا-آثارهما	(64)	//	//
		فوجدا	(65)	//	//
موسى عليه السلام والرجل الصالح		فانطلقا-ركبا	(71)	//	//
		فانطلقا-لقيا			
		فانطلقا-أتيا-استطعما-يضيفوهما-فوجدا	(77)	//	//

من خلال الجدول الإحصائي يتبين أن العناصر الإشارية العاملة المتمثلة في:موسى عليه السلام والخضر عليه السلام وفتى موسى،هي التي هندست أحداث القصة القرآنية،حيث عمل كل عنصر في عناصر إحالية متعددة تتوزع في فضاء القصة الرحب.الأمر الذي جعلها مفهومة هو التماسك النصي الذي تكفلت به الإحالة بنوعيها.

الوحدة(06):قصة ذي القرنين و تقع من الآية83 إلى الآية99

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿83﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ
سَبَبًا ﴿84﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿85﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا
قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿86﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى
رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿87﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا
﴿88﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿89﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا
﴿90﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿91﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿92﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن
دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿93﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ
لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿94﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
رَدْمًا ﴿95﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ
قِطْرًا ﴿96﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿97﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ
رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿98﴾ ﴾(سورة الكهف)

1-الإحالة الداخلية:

1-1-الإحالة الداخلية المعجمية:

العنصر الإشاري	موجود في	العناصر	موجود في	نوع

العامل	الآية	الإحالية	الآية	الإحالة
ذو القرنين	(83)	منه	(83)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		له-آتيناه	(84)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		فأتبع(هو)	(85)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		بلغ(هو)-وجدها(هو)-ووجد(هو)-ذا القرنين-تعذّب(أنت)-تتّخذ(أنت)	(86)	// //
		قال(هو)-نعذبه(نحن)	(87)	// //
		سنقول(نحن)	(88)	// //
		أتبع(هو)	(89)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		بلغ(هو)-وجدها(هو)	(90)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		لديه	(91)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

		أتبع(هو)	(92)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		بلغ(هو) وجد(هو)	(93)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		ذاالقرنين-لك- تجعل(أنت)	(94)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		قال(هو)-مكني- ربي-فأعينوني- أجعل(أنا)	(95)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		آتوني-آتوني- أفرغ(أنا)-	(96)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد
		قال(هو)-ربي-ربي- ربي	(98)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

(ذو القرنين) إذًا،عمل في خمسة وثلاثين عنصرا إحاليا متفرقا في جسد النص(أربعة وعشرون جملة)،لأن القصة في الحقيقة تقوم على أساسه وهو الشخصية الجوهرية فيها،وعناصره الإحالية وردت على النحو الآتي:الهاء(أربع مرات)الضمير(هو)مستترا(ثلاثة عشرة مرة)،تكرار ذي القرنين(مرتان)،الضمير(أنت) مستترا(ثلاث مرات)، الضمير نحن مرتان،كاف الخطاب (مرة واحدة)،ياء المتكلم(ثماني مرات)،الضمير(أنا)مستترا(مرتان)."وهذه

العناصر الإحاليّة كلّها من نمط الإحالة بالعودة على السابق،فقد ذكر العنصر الإشاري في أول جملة في النص ومنها إحالة واحدة فقط من نمط الإحالة على القريب،ذلك العنصر(ضمير الهاء)في لفظ(منه) في الجملة الثانية وتتدرج العناصر الإحالية الأربعة والثلاثون الباقية في البعد من مسافة جملة واحدة للعنصر إلى مسافة ثمانية وعشرين جملة"[1]

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
الشمس	(86)	وجدها – تغرب(هي)	(86)	إحالة قبلية ذات مدى قريب
		الشمس-وجدها-تطلع(هي)-دونها-	(90)	إحالة قبلية ذات مدى بعيد

لقد عمل هذا العنصر الإشاري في ستة عناصر إحالية،خمسة منها ورد على هيئة ضمير المؤنث الغائب،وتكرار واحد.وكلها من نوع الإحالة القبلية،وكانت الإحالة في الآية(86) ذات مدى قريب بينما في الآية (90)كانت ذات مدى بعيد.

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
عين حمئة	(86)	عندها	(86)	قبلية ذات مدى قريب
العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
قوما	(86)	فيهم	(86)	قبلية ذات مدى بعيد

[1] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص96

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
ربّ	(87)	ربي من ربي-وعد ربي- وعد ربي-	(95) (98)	قبلية ذات مدى بعيد قبلية ذات مدى بعيد

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
قوم	(90)	لهم	(90)	قبلية ذات مدى قريب

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
بين السدين	(93)	دونهما	(93)	قبلية ذات مدى قريب

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
قوما"وهؤلاء القوم غير القومين اللذين ذكرا في موضعين من قبل ولذا فاللفظ هنا يمثل عنصرا إشاريا جديدا" [1]	(93)	لا يكادون-يفقهون قالوا- نجعل(نحن)-بيننا أعينوني-بينكم آتوني-انفخوا-آتوني	(93) (94) (95) (96)	قبلية ذات مدى قريب قبلية ذات مدى قريب قبلية ذات مدى بعيد قبلية ذات مدى بعيد قبلية ذات مدى بعيد

[1] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص98

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
يأجوج ومأجوج	(94)	مفسدون-بينهم بينهم اسطاعوا-أن يظهروه- وماستطاعوا	(94) (95) (97)	قبلية ذات مدى قريب قبلية ذات مدى بعيد قبلية ذات مدى بعيد

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
سدا	(94)	ردما جعله-عليه يظهروه-له هذا-جعله	(95) (96) (97) (98)	قبلية ذات مدى بعيد قبلية ذات مدى بعيد قبلية ذات مدى بعيد قبلية ذات مدى بعيد قبلية ذات مدى بعيد

العنصر الإشاري العامل	موجود في الآية	العناصر الإحالية	موجود في الآية	نوع الإحالة
وعد ربي	(98)	وعد ربي	(98)	قبلية ذات مدى قريب

1-2-الإحالة الداخلية النصية:

العنصرالإحالي	الآية	العنصر الإشاري	موجود في	نوع

النصي			الآية	الإحالة
ذكرا	(83)	نص القصة كله. قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿83﴾ ﴾إجمال لما جاء مفصلا بعد ذلك في القصة بأكملها"فهذا شروع في تلاوة الذكر المعهود"[1]	(84-98)	إحالة بعدية
قوة	(95)	يقول الحق سبحانه على لسان ذي القرنين: ﴿ .. فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿96﴾ ﴾ "فالنص مفسّر لكلمة القوة وبيان لها،ومن هنا جاء الترابط بين المفسّر والمُفسّر "[2]	(95-96)	إحالة بعدية

-العناصر الإشارية غير العاملة:

[1] -الألوسي-روح المعاني-مج09-ج(16-17)-ص4372
[2] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص100

العنصرالإشاري غير العامل	موجود في الآية	العنصرالإشاري غير العامل	موجود في الآية
كل شيء	84	سترا	90
حسنا	86	بما لديه -خبرا-	91
صالحا	88	خرجا	94
يسرا	88	بين الصدفين-قطرا	96

لا ينبغي أن نفهم من مصطلح(غير العاملة) أنها عناصر لا علاقة لها بترابط النص،فوجود هذه العناصر من شأنه أن ينسج علاقات معجمية مع عناصر أخرى في النص(تماسك معجمي) ومن الممكن أيضا أن تتضمن هذه العناصر مقومات إحالية.

2-الإحالة الخارجية:

العنصر الإشاري	العناصر الإحالية	موجودة في الآيات
الحق سبحانه وتعالى (المتكلم)	إنّا	(84)
	مكنّا	(84)
	وآتيناه	(84)
	قلنا	(90)
	لم نجعل(نحن)	(90)
	أحطنا	(91)
الرسول صلى الله عليه وسلم	ويسألونك-قل(أنت)-سأتلوا(أنا)	(83)

<u>1-2-2-الحذف (Ellipsis):</u>

في اللغة العربية_وغيرها من اللغات_يجوز حذف أحد عناصر الجملة عند استخدامها،فالحذف ظاهرة مشتركة بين اللغات الإنسانية،لكن نسبة تواجدها تتفاوت من لغة إلى أخرى،ولما كان الإيجاز من أهم سمات العربية فإن نسبة الحذف فيها بارزة مقارنة باللغات الأخرى.ولقد عُني النحاة والبلاغيون والمفسّرون بهذه الظاهرة.فهذا الزركشي(ت794ه)يقيم تفرقة بين الحذف والإضمار في قوله:"والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو:﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما﴾[سورة الإنسان:الآية31،﴿يعذّب المنافقين﴾[سورة الأحزاب:الآية24،﴿انتهوا خيرا لكم﴾[سورة النساء171،أي ائتوا أمرا خيرا لكم،وهذا لا يشترط في الحذف..ويدل على أنه لا بد في الإضمار من ملاحظة المقدر باب الاشتقاق،فإنه من أضمرت الشيء:أخفيته..وأما الحذف فمن حذفت الشيء قطعته،وهذا يشعر بالطرح بخلاف الإضمار"[1].

وقد اهتم الجرجاني(ت471ه)بالحذف،حيث عقد فصلا كاملا للحديث عنه في الدلائل،يقول في التقديم له:"هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ،عجيب الأمر،شبيه بالسحر،فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر،والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة،وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،وأتمّ ماتكون بيانا إذا لم تُبن"[2].ويقول العلوي(ت745ه)في بيان قيمة الحذف وشروطه:"اعلم أن مدار الإيجاز على الحذف،لأن موضوعه على الاختصار،وذلك إنما يكون بحذف ما لا يخلّ ولا ينقص من البلاغة،بل أقول لو ظهر المحذوف لنزل قدرُ الكلام عن علو بلاغته،ولصار إلى شيء مستركّ مسترذل،ولكان مبطلا لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرقة.ولا بد من الدلالة على ذلك المحذوف،فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغوا من الحديث،ولا يجوز الاعتماد

---

[1]-البرهان في علوم القرآن-تح:مصطفى عبد القادر عطا-دار الفكر-بيروت-لبنان-2001-ج03-ص115-116
[2]-دلائل الإعجاز-ص136

عليه،ولا يُحكم عليه بكونه محذوفا"[1].ثم إن هذه الشروط رغم أنها تقصد نحو الجملة إلا أنها كذلك تصلح لنحو النص،فمراعاة الوجه البلاغي للتركيب ووجود الدليل على المحذوف من معايير تماسك النص وتلاحمه.."..ومن خلال ماذكره الجرجاني والعلوي يتبين لنا اهتمام البلاغيين بسبك النص،ولعل في إشارة العلوي إلى أن ظهور المحذوف يُنزل من قدر الكلام يعزّز القول بأن ما عدّه النحاة من قبيل الحذف الجائز هو أقرب عندهم إلى الوجوب،وأن ما دفعهم إلى القول بالجواز هو بعض الشواهد التي نقلوها عن العرب و لم يروا تخطئتها،وإنما عدّوها من قبيل الجائز غير الفصيح.وأن الحذف في ظل وجود الدليل والقرينة الدالة عليه يتلائم مع أهم خصائص العربية وهي الإيجاز."[2]

(أ)-مفهوم الحذف:

يظهر الحذف عندما تعتمد عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص،حيث نعمد إلى افتراض وجود عنصر سابق هو مصدر المعلومة المفقودة،فالعنصر المحذوف يترك فراغا أو فجوة على مستوى البنية التركيبية من الممكن ملؤها من مكان آخر في النص.إذًا،يجوز حذف أحد عناصر الجملة عند استخدامها"وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى،وقد يحذف أحد العناصر،لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدلّ عليه،ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"[3].

ومن خلال هذا القول نكتشف بأن نحو النص يعتمد اعتمادا بيّنا على الحذف،لأن السياق والمقام مجالان مناسبان له.وتكون الجمل المحذوفة ذات وظيفة ربطية،تربط أجزاء النص انطلاقا من المضمون الدلالي.يقول(دي

[1]-يحيى بن حمزة العلوي-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة-مراجعة:عبد السلام شاهين-دار الكتب العلمية-بيروت-ط01-1995-ص246-247

[2]-محمد سالم أبو عفرة-السبك في العربية المعاصرة-ص120

[3]-محمد حماسة عبد اللطيف-بناء الجملة العربية-دار الشروق-القاهرة-مصر-ط01-1996-ص208

بوجراند):"الحذف هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسّع أو يعدّل بواسطة العبارات الناقصة"[1].فالبنية السطحية للنص غالبا ماتكون غير مكتملة بفعل الحذف،وعليه يكتسي هذا الأخير دورا بنائيا بمساعدة السياق والمقام الدلالي،والحذف باعتياره أداة من أدوات التماسك النصي يتقاطع مع تقنية الاستبدال في النص،لذلك نجد(هاليداي ورقية حسن)يحدّدان الحذف مفرقين بينه وبين الاستبدال بأن الحذف يكون استبدالا بالصفر،في حين أن الاستبدال يعتمد على وجود المستبدل به سابقا للمستبدل[2].

إن الحذف علاقة مرجعية بالعودة إلى السابق في الأغلب،وقد تكون هذه المرجعية خارجية في سياقات معينة حيث يمنحنا سياق الموقف المعطيات التي تخوّل لنا تفسير الحذف مع ملاحظة أن الحذف الخارجي يُعنى بتحقيق تماسك النص مع السياق وليس تماسك النص الداخلي.

(ب)-تماسك النص عن طريق الحذف:

تكمن قيمة وجود الدليل على المحذوف سواء كان مقاليا أو مقاميا،في أنه يوفّر المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة،فتظل استمرارية النص ديناميكية الأمر الذي يسهم في تماسك النص،فالتماسك في تراكيب الحذف قوامه أمران:المرجعية والتكرار...فأثر الحذف هو توسيع الهيمنة النصية لجملة ما إلى جملة تالية،ولا يقل الحذف فعالية من غيره من الوسائل التي تعمل على تحقيق التماسك النصي،لأن المحذوف يُعامل معاملة المذكور من الزاوية الدلالية.فالحذف يسهم في ربط"نموذج العالم التقديري للنص بعضه ببعض في الوقت الذي يقتطع من البنية السطحية"[3].وبالتالي يتمّ الكشف عنه عن طريق التفتيش عنه في البنية العميقة المسؤولة عن إفراز البنية السطحية للنص بدعم من سياق الموقف وسياق الحال.

[1]-النص والخطاب والإجراء-ت:تمام حسان-ص301
[2]-ينظر:-Cohesion in English-p145-:
[3]-روبرت دي بوجراند-النص والخطاب والإجراء-ت:تمام حسان-ص345

(ج)-أنواع الحذف:

تحدث القدماء عن أنواع الحذف،فهذا ابن جني يقول في الخصائص:"قد حذفت العرب الجملة والمفرد،والحروف وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه،وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[1].وحري بنا أن نسجّل التفات الأستاذ محمد سالم أبو عفرة في تعليقه على هذا القول،حيث يقول:"واللافت للنظر هنا أنه بدأ بحذف الجملةنوحذف الجملة لا يكون إلا في إطار يتكوّن من جملتين على الأقل،أو جملة كبرى أي أنه يخرج عن حيّز الجملة الصغرى على الأقل،وفي هذا إشارة إلى اهتمام ابن جني بما هو أوسع من حيّز الجملة الصغرى إلى دائرة النص"[2].

وبعد (ابن جني)يفصّل (ابن هشام) الحديث في أنواع الحذف،حيث يتحدث عن حذف جملة القسم وجملة جواب الشرط وحذف جملة الشرط[3].والحذف عند(هاليداي ورقية حسن)ثلاثة أنواع وهي:الحذف الاسمي والحذف الفعلي والحذف الجملي،وتركيزهما يتصب على العلاقات بين الجمل لأن الحذف داخل الجملة خارج دائرة التماسك النصي،بينما الحذف باعتباره شكلا من أشكال العلاقة بين الجمل فهو صفة أساسية من صفات التصية.

أ-الحذف الاسمي(Nominal ellipsis)وهو حذف العناصر الاسمية،حيث يقع حذف الاسم بعد العنصر الإشاري(deictic)أو العددي(numerative)أو النعت(epithet)والعنصر الإشاري تعبر عنه الكلمات الآتية:كل-بعض-أي-كلا-كلتا.مثل:الرجال رجعوا منتصف الليل —الكل كان متعبا.والعنصر العددي يعبر عنه

---

[1]-الخصائص-ج02-ص362
[2] -السبك في العربية المعاصرة-ص118-119
[3]-ينظر:-مغني اللبيب-ص567-628

من خلال العدد مثل:أول-تال-ثان-ثالث....أو الكلمات التي تدل على الكم مثل:كثير-قليل-العديد من...مثال:هل لك في شيكولاطة أخرى؟-لا شكرا،لقد كانت الثالثة.

ووظيفة النعت تملؤها الصفات مثل صفات الألوان.مثال:أنا أحب الشاي الثقيل –أعتقد أن الخفيف أفضل لك.

ب-الحذف الفعلي(Verbal ellipsis)وهو حذف العناصر الفعلية،وهو نوعان:الحذف المعجمي(Lexical ellipsis)حيث يحذف الفعل المعجمي من المجموعة الفعلية كما في المثال:

– Have you been swimming? -Yes I have.

-هل تقومين بالسباحة؟ -نعم،أفعل.

والنوع الثاني هو حذف العامل(Operator ellipsis)ويشمل حذف العامل فقط مع بقاء الفعل المعجمي،ويقع هذا في بعض التركيبات التي تحتوي على جمل مركبة عديدة مثل السؤال و الجواب مثل:

-Has she been crying? -No,laughing

-هل هي تبكي؟ -لا،(بل)تضحك.

ج-الحذف الجملي(Clausal ellipsis):

تستعمل الجملة في الإنجليزية للتعبير عن وظائف كلاميةمختلفة(الإخبار-السؤال والإجابة وغيرها)ومن المواضع التي يكثر فيها الحذف الأسئلة التي يجاب عنها بنعم أو لا.مثل:

هل ستأتي؟ -نعم. متى وصل محمد؟ -أمس.[1]

Halliday&Ruqaiya Hasan-Cohesion in English-146-215-[1]

يقول فريد عوض حيدر:"والحق إن الحذف لا يقتصر على ما ذكر،بل إنه يمتد إلى الجمل المتتالية التي ربما شكّلت نصا محذوفا داخل النص الذي أبدته البنية السطحية وبخاصة في القصص"[1].

(د)-التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الحذف:

أ-الحذف الاسمي:

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿5﴾ ﴾"أي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته تعالى إلى ما لا يكاد يليق بكبريائه جلّ وعلا..فالفاعل هنا ضمير يرجع إلى قوله تعالى(اتّخذ)بتأويل المقالة"[2]فالفاعل محذوف والتقدير(كبرت مقالتهم كلمة).

قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿14﴾ ﴾"أي قولا ذا شطط أي بعد عن الحق مفرط"[3] والتقدي(لقد قلنا إذا قولا شططا) بدليل وجود فعل القول(قلنا).

---

[1] -اتساق النص في سورة الكهف-ص48
[2] -الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4170
[3] -المرجع نفسه-ص4188

قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿11﴾ ﴾"أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع فالمفعول محذوف"[1] لأن الفعل ضرب فعل متعد يحتاج إلى مفعول(حجابا).

قوله تعالى: ﴿ . .لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿15﴾ ﴾أي:"هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة،وفي الكلام محذوف اجتزئ بما ظهر عما حذف...وأن معنى الكلام:لولا يأتون على عبادتهموها واتخاذهموها آلهة من دون الله بسلطان بيّن"[2].

قوله تعالى أيضا: ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿16﴾ ﴾فالفعل ينشر فعل متعد حذف مفعوله وتقديره الخير"..ومفعول ينشر محذوف أي الخير ونحوه"[3]

وقال الحق سبحانه: ﴿ . .تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ . . ﴿18﴾ ﴾لقد تمّ حذف الموصوف هنا"وهو كلمة جهة أي جهة ذات اليمين وذات الشمال في الموضعين من الآية"[4]

وقوله تعالى: ﴿ . .أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا . . ﴿19﴾ ﴾فالكلام فيه حذف حيث إن التقدير أيها أهلها أزكى،أي حذف المضاف.

---

[1] -الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4179

[2] -الطبري-جامع البيان-ج09-ص5632

[3] -الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4189

[4] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص50

وقوله تعالى: ﴿ . .وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ. . ﴿21﴾ ﴾ .يقول الألوسي:"..ومفعول أعثرنا الأول محذوف لقصد العموم أي وكذلك أطلعنا الناس عليهم."[1]

وقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ. . . ﴿22﴾ ﴾بمعنى:"سيقول بعض الخائضين في أمر الفتية من أصحاب الكهف هم ثلاثة رابعهم كلبهم،ويقول بعضهم:هم خمسة سادسهم كلبهم.."[2]ففي المواضع الثلاثة حذف المبتدأ(هم)،كما حذف تمييز العدد أيضا وتقديره(أشخاص).وقوله تعالى: ﴿ ..مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ. . ﴿22﴾ ﴾فالمفعول الحقيقي للفعل يعلم محذوف والتقدير(ما يعلم عدّتهم إلا قليل)"ما يعلم عدتهم على ما ينساق إلى الذهن نظرا إلى المقام"[3]

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ. . . ﴿24﴾ ﴾يقول الزمخشري:"(واذكر ربك) أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك"[4] والجدير بالملاحظة أن هذا المحذوف يحيل إحالة نصية قبلية ذات مدى قريب إلى قول الله عزّوجلّ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿23﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ . . ﴿24﴾ ﴾.

[1] -الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4203
[2] -الطبري-جامع البيان-ج09-ص5651
[3] -الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4214
[4] -الكشاف-ج02-ص480

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً . . . ﴾49/18﴿يقول الألوسي:"(لا يغادر)أي لا يترك(صغيرة) أي هنة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"[1].فالحذف وقع في الموضعين يدل عليه سياق الحال.وقال الله عزّوجلّ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾83﴿ ﴾إن المقصود بالسؤال في الحقيقة هو شأن ذي القرنين وليس الشخص في ذاته"يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه؟وما كانت قصته؟"[2].فقد دلّ حرف الجر(التبعيض) على المحذوف،وهذه الدلالة هي دلالة عن طريق السياق اللغوي. وقال الله عزّوجلّ: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾85﴿ ﴾إن الدلالة الصرفية للفعل أتبع(يتعدى إلى مفعولين)وهو سياق لغوي .تكشف عن وجود مفعول من المفعولين محذوف والتقدير(فأتبع سببا سببا)."..وهكذا نجد كل محذوف في الكلام يدل عليه دليل من أحد السياقين اللغوي أوالحالي،وبذا يحدث الاتساق بين البنية السطحية والعالم التقديري للنص."[3]. وقال الله عزّوجلّ: ﴿ ..وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾84﴿ ﴾يقول الألوسي:"..وفي الكلام مضاف مقدر أي من أسباب كل شيء"[4].

وقال الله عزّوجلّ: ﴿ ..وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ.. ﴾86﴿ ﴾لقد حذف المضاف لأن التقدير(عين ذات حمأة وهي الطين الأسود). وقال الله عزّوجلّ: ﴿ .. إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا

[1]--روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4271
[2] -الطبري-جامع البيان-ج09-ص5738
[3]-اتساق النص في سورة الكهف-ص104
[4] -الألوسي-روح المعاني-مج09-ج(16-17)-ص4373

﴿86﴾ .يقول في هذه الآية عوض حيدر:"في الآية عدد من المحذوفات بناء على عدد من التوجيهات النحوية،فمحل(أن تعذب،وأن تتخذ)إما الرفع على الابتداء أو على الخبر وإما النصب على المفعولية،وعلى الأول يكون الخبر هو المحذوف والتقدير(إما تعذيبك واقع)،وعلى الثاني يكون المبتدأ هو المحذوف والتقدير(إما أمرك تعذيبك)،وعلى الثالث يكون المحذوف فعلا،والاتخاذ مثله فيكون التقدير على الأول (وإما اتخاذك الحسنى واقع)،وعلى الثاني يكون التقدير(وإما أمرك اتخاذك الحسنى)"[1].وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى . . ﴿ 88﴾ ﴾تمّ حذف الموصوف في موطنين،فالأول تقديره(وعمل عملا صالحا)،أما الثاني فتقديره(فله المثوبة الحسنى).وحذف الموصوف لوجود الصفة الدالة عليه.وقال الحق سبحانه: ﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿91﴾ ﴾فقد حُذف المبتدأ الذي خبره هو(كذلك).يقول الألوسي:"(كذلك)خبر مبتدأ محذوف،أي أمر ذي القرنين ذلك،والمشار إليه ما وصف به قبل من بلوغ المغرب والمشرق وما فعله(...)ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لوجد،أي وجدها تطلع وجدانا كوجدانها تغرب في عين حمئة"[2].وقال الله تعالى أيضا: ﴿ . . .قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿96﴾ ﴾فقد حُذف المفعول من الفعل الأول"أي آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه"[3]،فالمفعول المحذوف(قطرا)قد أحال إحالة بعدية على مفعول الفعل (أفرغ) الذي يعقبه بمسافة قريبة.

[1] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص104-105
[2] -الألوسي-روح المعاني-مج09-ج(16-17)-ص4379
[3] -المرجع نفسه-ص4385

قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿98﴾﴾. "في هذه الآية مضاف محذوف في موضعين،رحمة(أي أثر رحمة)،وعد ربي(أي وقت وعده)"[1].وفي قوله تعالى: ﴿ . .جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿98﴾﴾ .يقول الألوسي:"(جعله)أي السد المشار إليه مع متانته ورصانته(دكّاء)بألف التأنيث الممدودة والموصوف مؤنث مقدّر،أي أرضا مستوية"[2]

ب–الحذف الفعلي:

قال الله تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ. . ﴿2﴾﴾فقد حذف العامل الذي نصب قيما والذي يدل عليه الفعل السابق عليه(يجعل)"وتقديره:و لم يجعل له عوجا.جعله قيما"[3]

ومن حذف الفعل أيضا قول الله عزّوجلّ: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ . . ﴿ 10 ﴾﴾فإذ تعتبر معمولا لفعل محذوف تقديره(واذكر إذ). ومن حذف الفعل أيضا قول الله عزّوجلّ: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿18﴾﴾

فقد حُذف الفعل نقلّبهم لدلالة السابق عليه والتقدير(ونقلبهم ذات اليمين ونقلبهم ذات الشمال)وفي قوله تعالى:(لوليت منهم فرارا)"نصب فرارا على المصدرية،إما لأنه من معنى ولى أو لفررت محذوفا"[4]

---

[1] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص106
[2] -روح المعاني-مج09-ج(16-17)-ص4386
[3] -الزمخشري-الكشاف-ج02-ص472
[4] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص51

وقال الحق سبحانه: ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ . . ﴿ 24 ﴾ ﴾فقد حُذف فعل القول"..ومعنى الكلام إلا أن تقول معه إن شاء الله فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه،إذ كان في الكلام دلالة عليه"[1].ويضيف عوض حيدر "فقامت الدلالة على المحذوف مقام العنصر الإشاري،وقام المحذوف مقام العنصر الإحالي،لأن المذكور يفسّر المحذوف،فالحذف يقوم هنا مقام الإحالة على اللاحق"[2]

وفي قصة(ذي القرنين)يقول الحقّ سبحانه: ﴿ .. قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿ 86 ﴾ أن والفعل ،محلها في الموضعين (أن تعذب،أن تتّخذ)النصب،وعليه فالعامل الناصب هو فعل محذوف،ويكون التقدير:(وإما تفعل أو توقع تعذيبك) والاتخاذ مثله ويكون فيه التقدير:(وإما تجري اتخاذك الحسنى).

وفي القصة نفسها يقول الله عزّوجلّ: ﴿ . . . حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿ 96 ﴾ففي الآية أمرٌ بالنفخ واستجابة،وهذا السياق يوجب حذف فعل،ويكون التقدير:" ﴿ قَالَ ﴾للعملة﴿ انفُخُوا ﴾أي بالكيران في زبر الحديد الموضوعة بين الصدفين،ففعلوا"[3]

ج–حذف التراكيب:

[1] -الطبري-جامع البيان-ج09-ص5654
[2] -اتساق النص في سورة الكهف-ص52
[3] -الألوسي-روح المعاني-مج09-ج(16-17)-ص4384

قال الحقّ سبحانه: ﴿ . . فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿11﴾﴾يقول أحد الدارسين في الحذف الواقع في هذه الآية:"أي:فاستجبنا دعاءهم فضربنا،وهذا الحذف يمثل ربطا دلاليا بين آية الدعاء وآية الإجابة،ودلّ على المحذوف السياق اللغوي،ومن ثم فمرجعية هذا المحذوف داخلية سابقة"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ . . . إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿13﴾﴾فكأن الآية جواب لسؤال سابق"فكأن المخاطب بعد ما سمع قوله تعالى﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾سأل فقال فما نبؤهم؟فجاءت الآية"[2]. وفي قوله تعالى: ﴿ . .لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿14﴾﴾.يقول الألوسي في هذه الآية:"وفي الكلام قسم مقدر واللام واقعة في جوابه،و(إذا) حرف جواب وجزاء فتدل على شرط مقدر،أي لو دعونا وعبدنا من دونه إلها والله لقد قلنا ..الخ"[3].وفي الآية(17)يقول الله عزّوجلّ: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿17﴾﴾فمضمون الآية سرد وبيان لحال الفتية بعد ما أووا إلى الكهف،ولم يذكر الله سبحانه ذلك صراحة،اعتمادا على ورود مضمونه في الآية(10) ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾﴾"وما لحق من إضافة الكهف إليهم وكونهم في فجوة منه...وقد

---

[1]-صبحي إبراهيم الفقي-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-دار قباء-القاهرة-مصر-ط01-2000-ج02-ص235

[2]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص52

[3]-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4188

حذف سبحانه جملا أخرى لا تخفى،فالحذف هنا اعتمد على ما ذكر سابقا،فقام_في الربط_مقام الإحالة على السابق البعيد بمسافة(19)جملة"[1].

وقال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿18﴾ ﴾ففي قوله تعالى﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾حذف جملة والتقدير:ولو رأيتهم تحسبهم...ويقول الزمخشري في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ . .فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ ﴾"فإن قلت:كيف وصلوا قولهم(فابعثوا) بتذاكر حديث المدة؟ قلت:كأنهم قالوا:ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم"[2].

فهناك أحداث محذوفة تفهم من سياق الحال،فهم قد بعثوا أحدهم–قصد المدينة–فدخلها متخفيا–وحين حاول شراء الطعام بالورق كُشف أمره وأمر أصحابه ثم تبعه أهل المدينة إلى الكهف......وهذا وارد بكثرة في القصص القرآني الذي يركّز على الرسالة أو المغزى ويبرزه بالاختصارات والحذف.يقول صبحي الفقي في هذا المعنى:"إن القصص يتميز بحذف عناصر كثيرة،يقول الله تعالى في الآية(20): ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾ ﴾وفي الآية(21): ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ . . ﴿21﴾ ﴾فبين هاتين المرحلتين محذوفات تقديرها:فذهب أحد أهل الكهف ليحضر لهم طعاما،فشعر به

[1] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص52-53
[2] -الزمخشري-الكشاف-ج02-ص476

الناس،ثم اتبعوه إلى الكهف ثم عثروا على أصحابه..لكن هذه الجمل المحذوفة يمكن للمتلقي إدراكها من خلال تعاقب الأحداث في سياق القصة.وهذا في ضوء التحليل النصي يبرز الأثر القوي للمتلقي في تقدير المحذوف،ومن ثم العثور على المعنى الكلي للنص بتفاصيله كلها"[1].

ومن هنا نستنتج بأن الحذف الجملي أو حذف التراكيب يؤثر تأثيرا بارزا في تحقيق تماسك النص وتلاحم أجزائه المتباعدة خاصة في القصص.وقال الحق سبحانه: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ. . . . ﴿ 22 ﴾ ﴾"كأنه قيل سيقولون إذا قصصت قصة أصحاب الكهف أو إذا سئلوا عن عدتهم هم: { ثلاثة}أي ثلاثة أشخاص..."[2]

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿ 70 ﴾ ﴾ثم بعد ذلك يقول مباشرة: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿ 71 ﴾ ﴾أي:"فقبل موسى عليه السلام هذا الشرط،ثم اتبع الرجل الصالح،فانطلقا...فلا شك أن السياق له أهمية في ملئ هذه الفراغات وهذا السياق من بين أنماط الكفاءة التي يجب أن تتوافر لدى المتلقي للنص"[3].

ووقع حذف تراكيب في قوله تعالى أيضا: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿ 45 ﴾ ﴾بمعنى أن النبات

[1]-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-ج02-ص236
[2] -الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4212
[3] -صبحي إبراهيم الفقي-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-ج02-ص236

اخضر ونما ثم أثمر ثم نضج ثمره فييس فتحول إلى هشيم تذروه الرياح...وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿85﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴿86﴾ ﴾توجد عبارة محذوفة"والتقدير فأراد بلوغ المغرب فأتبع سببا يوصله إليه."[1]وقال الله تعالى: ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿96﴾ ﴾فالحذف يتعلق بتلقي القوم للأمر(آتوني) والتقدير"فأتوه إياها فأخذ يبني شيئا فشيئا حتى إذا جعل مابين جانبي الجبلين من البنيان مساويا لهما في العلو"[2].وفي قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿97﴾ ﴾حذف عبارة "والتقدير قبل قوله(فما اسطاعوا)ففعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر،فأفرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء يأجوج ومأجوج وقصدوا أن يعلوه أوينقبوه فما اسطاعوا وقد دل المذكور من أمر ذي القرنين لهم على المحذوف"[3].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿98﴾ ﴾حذف عبارة وهي الواقعة بعد قوله(جعله دكاء)"ثم إن في الكلام حذفا وهو يستمر إلى آخر الزمان فإذا جاء وعد ربي.."[4].فقد أفاد تماسكا دلاليا عن طريق الإحالة البعدية ذات المدى القريب.

1-2-3-الربط (Conjunction):

(أ)-مفهوم الربط:

[1] -الألوسي-روح المعاني-مج09-ج(16-17)-ص4373
[2] -المرجع نفسه-ص4384
[3] -فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص107
[4] -الألوسي-روح المعاني-مج09-ج(16-17)-ص4387

يتجلى مفهوم الربط النحوي في بيان غايته المتمثلة في تحقيق التماسك والاستمرارية على مستوى سطح النص الظاهر،ولديه وجوه عديدة أهمها:الوصل أو أدوات الربط،والإحالة،والحذف،والاستبدال.وتعتبر أدوات الربط من وسائل بناء النص وتوظّف أثناء التحليل لتفسير علاقة الوحدات الجملية أو النصية بما سبقها في النص.ونشير إلى أن الربط بالأداة يتمايز عن وجوه الربط الأخرى في كونه لا يمثل علاقة إحالية.فالربط بالأداة"يعبر عن معان معينة تفترض وجود مكونات أخرى في الخطاب،فتستخدم بعض الكلمات والعبارات لتحدّد ربطا خاصا بين الأجزاء المختلفة للنص،يُطلق على مثل هذه الكلمات والعبارات روابط مثل:لكن-بالرغم من-على الرغم من..الخ"[1].يعتبر الربط_من منظور أنموذج هاليداي ورقية حسن_العنصر الخامس من العناصر الكفيلة بصنع التماسك النصي،فالربط عندهما"يتمثل في الطريقة التي يرتبط بها اللاحق بالسابق بشكل منظم،وأن النص يتمثل في جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا،ولكي تدرك بوصفها وحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة بينها."[2]وتستخدم(Jeane Fahnestock)(1983)مصطلحا آخر هو الانتقال(Transition) بدلًا من مصطلح الربط(Conjunction) المستخدم عند هاليداي ورقية حسن(1976)[3]

(ب)-أنواع الربط:

قسّم هاليداي ورقية حسن الربط إلى أربعة أنواع،وهي:

أ-الربط الإضافي(Additive):ويربط بين الأجزاء التي لها نفس الحالة،فكل منها صحيح في عالم النص،ويستدل عليه في الغالب بالأدوات:الواو-أيضا-كذلك-أو-أم."..والاختيار من بين هذه الأدوات في النص هو اختيار بلاغي،فالواو تفيد معنى الاشتراك و(أو)تعطي معنى البديل وعادة ما تستخدم مع السؤال والطلب والوعد

[1]-عزة شبل محمد-علم لغة النص(النظرية والتطبيق)-ص110

[2]- Halliday and Rugaiya Hasan-cohesion in English-Longman-London-1976-p227-

[3]-نقلا عن: عزة شبل محمد-علم لغة النص(النظرية والتطبيق)-ص110

والخبر"[1].ويقول محمد خطابي في هذا النوع من الربط:"يتم الربط بالوصل الإضافي بالأداتين(و)و(أو)،وتندرج ضمن هذه المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل:التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع:بالمثل...،وعلاقة الشرح،وتتم بتعابير مثل:أعني،بتعبير آخر،وعلاقة التماثل المتجسدة في تعابير مثل:مثلا،نحو.."[2].

ب-الربط الاستدراكي(Adversative):وهو يربط بين الأجزاء المتنافرة أو المتعارضة في عالم النص،ويعني(على عكس ما هو متوقع)ويتم بأدوات مثل(but,yet)وغيرها وبتعابيرمثل(Nevertheless,however)ويستخدم (دي بوجراند ودرسلر) للدلالة عليه مصطلح وصل النقيض(Contrajunction)ويستدل عليه في العربية بأدوات من قبيل:لكن-مع ذلك-على الرغم من-على أية حال-من ناحية أخرى-في حين...حيث يكون هناك جمع غير محتمل بين الأحداث والسياقات"ويستخدم(Rafael Salkie)(1995)مصطلحا آخر هو روابط التضاد(Opposition connectives)فالمعنى الأساسي لعلاقة الاستدراك هو عكس التوقع"[3].

ج-الربط السببي(Causal):وهو نوع من الربط يمكّننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر وتُوظّف كلمات في سبيل التعبير عنه مثل(Therefore,hence,thus,so)،إذا فالشكل البسيط للعلاقة السببية هو"التعبير عنها من خلال الكلمات(لهذا-بهذا-لذلك-لأن)وعدد من التعبيرات مثل(نتيجة لـــــــ-سبب لـــــــ)...ويقع تحت العلاقة السببية الرئيسية علاقات خاصة مثل:النتيجة-السبب-الغرض-الشرط"[4].

---

[1]- Halliday and Rugaiya Hasan-cohesion in English-p246-

[2]-محمد خطابي-لسانيات النص-ص23-24

[3]-نقلا عن:عزة شبل محمد-علم لغة النص(النظرية والتطبيق)-ص112

[4]-المرجع نفسه-ص112

وتجدر الإشارة إلى أن (دي بوجراند ودرسلر) يستعملان مصطلحا آخر أعم وهو التبعية(Subordination)حيث يعتمد عنصر على وجود عنصر آخر،وتضم التبعية علاقة السبب والنتيجة والعلاقة الزمنية والعلاقة الشرطية.

د-الربط الزمني(Temporal):ويجسّد هذا النوع من الربط العلاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا:وأبسط تعبير عن هذه العلاقة يتم بواسطة استخدام كلمة(Then)"فالربط الزمني من الأدوات التي تؤدي إلى تماسك النص كما في:أضاء النور،ثم أدخل المفتاح في القفل.وتربط العلاقة الزمنية بين الأحداث من خلال الأداة(ثم-بعد)وعدد من التعبيرات مثل(وبعد ذلك-على نحو تال).وقد تشير العلاقة الزمنية إلى ما يحدث في ذات الوقت مثل(في ذات الوقت-حالا-في هذه اللحظة)أو تشير إلى السابق مثل(مبكرا-قبل هذا-سابقا).كما يمكن أن تتحد الجملة مع مجموعة من الجمل لأنها تعدّ نهاية لمجموعة من العمليات أو سلاسل من العمليات فيُطلق عليها جملا استنتاجية وتسبقها التعبيرات(أخيرا-في الختام-في النهاية)"[1].

والجدير بالذكر أن نشير إلى أن مصطلح(Conjunction)قد اتسع عند دي بوجراند فقد شمل الانسجام(Coherence)،وإن أبقى على الفرق بينهما"..وإذا كانت علاقتا العلية والزمانية مهمتين جدا للالتحام فينبغي بالطبع أن يفصّلا في توسيع التنشيط والاستدلال سواء أكانت هناك علامة ربط سطحية مستعملة أم لا."[2]ويقول تمام حسان في قراءته لفكرة الربط عند دي بوجراند:"..وفي رأي المؤلف أنه إذا كانت إعادة اللفظ والاشتراك في الإحالة والحذف تحافظ على بقاء مساحات المعلومات فإن الربط يشير إلى العلاقات بين المساحات أوبين الأشياء في هذه المساحات.وللربط صور مختلفة:فهناك مطلق الجمع وهو لربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين،وهناك الربط بالتخيير بين صورتين

---

[1]-المرجع نفسه-ص112
[2]-روبرت دي بوجراند-النص والخطاب والإجراء-ت:تمام حسان-ص350

أوأكثر من صور المعلومات إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين.وإذا كانت المحتويات جميعا صادقة عند مطلق الجمع في عالم النص فإن الصدق في حالة التخيير لا يتناول إلا محتوى واحدا."[1]....

ولما كانت سورة الكهف مشبعة بالقصص،فإننا سنركّز في التحليل النصي لمضامينها على نوعين عامين من أنواع الربط وهما:الربط الخطي المتصل،والربط الخطي المنفصل.أما الربط الخطي الأول فيعني:"التتابع في الزمان،وهو ربط بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزمن،حيث يوافق سرد الأحداث في النص تتاليها الكرونولوجي في الزمن الحقيقي أو الفيزيائي."[2] وأما عن الربط الخطي الثاني فهو"ربط بين عنصرين أو أكثر متباعدين في فضاء النص ويشتمل هذا الرابط على مختلف العلاقات كالتعاقب والسببية وغيرها"[3].

(ج)-التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الربط:

أ-في قصة أصحاب الكهف:

أ-1-الربط الخطي المتصل:تضمنت قصة أصحاب الكهف جملة من الأحداث الخاضعة للتتابع الزمني،والتي تمظهرت في الأفعال التي وُظّفت في السرد القصصي،وقد وردت هذه الأحداث في صورتين:

صورة مجملة وصورة مفصّلة.أما الصورة المجملة فتنحلّ إلى أربعة أفعال متتالية تبسط الخطوط العريضة للقصة القرآنية،ويمكن أن نبيّنها بالشكل الآتي:

1-﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ. . . ﴾﴿10﴾ 2-﴿ . . .فَقَالُوا رَبَّنَا . . ﴾﴿10﴾

3-﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ. . . ﴾﴿11﴾ 4-﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ . . . ﴾﴿ 12﴾

1-المرجع نفسه-ص35

2-الأزهر الزناد-نسيج النص-ص46

3-المرجع نفسه-ص49

تجسّد الأفعال الواردة في الآيات عرض أحداث القصة في صورتها المجملة،فقد أوى الفتية إلى الكهف،ثم دعوا ربهم أن يخلّصهم من الذين لا يؤمنون بالله،فضرب الله على آذانهم في الكهف،ثم بعثهم ليكونوا آية"وهي أحداث مرتبة ترتيبا زمنيا،موافقا لما حدث في الواقع،إذن فبين هذه الأحداث ترابط يتمثل في التتابع الزمني المتصل،وقد عبرت عنه أداة العطف(الفاء)،فأفادت الترتيب مع التعقيب في الربط بين الأحداث الثلاثة الأولى،و(ثم)التي أفادت الترتيب مع التراخي،في الربط بين الحدث الرابع والذي سبقه في مجمل القصة،ولم تصرّح الآيات بالمسافة الزمنية الفاصلة بين الحدث الرابع وما سبقه في مجمل القصة،لكنها صرحت بهذه المدة الزمنية في تفصيل القصة،وذكرت أنها309من السنين،في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿25﴾ ﴾"[1]

وتتكون الصورة المفصّلة من جملة الأحداث التالية:1-آمنوا (الآية13) 2-وزدناهم(الآية13) 3-وربطنا على قلوبهم(الآية14) 4-إذ قاموا(الآية14) 5-فقالوا(الآية14) 6-اتخذوا من دونه آلهة(الآية15) 7-وإذ اعتزلتموهم(الآية16) 8-فأووا إلى الكهف(الآية16) 9-ينشر لكم ربكم من رحمته(الآية16) 10-ويهيء لكم(الآية16) 11-وترى الشمس(الآية17) 12-إذا طلعت(الآية17) 13-تزاور عن كهفهم(الآية17) 14-وإذا غربت(الآية17) 15-تقرضهم ذات الشمال(الآية17) 16-وتحسبهم أيقاظا وهم رقود(الآية18) 17- ونقلّبهم(الآية18) 18-لو اطلعت عليهم(الآية18) 19-لوليت منهم(الآية18) 20-ولملئت(الآية18) 21-وكذلك بعثناهم(الآية19) 22-ليتساءلوا (الآية19) 23-قال قائل (الآية19) 24-قالوا(الآية19) 25-قالوا(الآية19) 26-فابعثوا(الآية19) 27-فلينظر(الآية19) 28-فليأتكم(الآية19) 29-

[1] - فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص56

وليتلطف(الآية19) 30-ولا يشعرنّ بكم(الآية19) 31-إن يظهروا عليكم(الآية20) 32-يرجموكم(الآية20) 33-أو يعيدوكم(الآية20) 34-ولن تفلحوا(الآية20) 35-أعثرنا عليهم ليعلموا(الآية21) 36-إذ يتنازعون بينهم(الآية21) 37-فقالوا(الآية21) 38-قال الذين غلبوا(الآية21) 39-لنتخذنّ عليهم(الآية21) 40-سيقولون ثلاثة(الآية22) 41-ويقولون خمسة(الآية22) 42-ويقولون سبعة(الآية22) 43-قل ربي أعلم(الآية22) 44-ما يعلمهم إلا قليل(الآية22) 45-فلا تمار(الآية22) 46-ولا تستفت فيهم(الآية22) 47-ولا تقولن(الآية23) 48-واذكر ربك إذا نسيت(الآية23) 49-وقل عسى... (الآية24) 50-قل الله أعلم بما لبثوا(الآية26).

من خلال إحصاء الأفعال التي تبني زمن تفصيل القصة نجد أن هناك أحداثا أساسية وثيقة الصلة بتطور الإخبار ،وفي ثناياها توجد أحداث فرعية(وصف أحوال أصحاب الكهف-موقف أهل الكتاب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم-توجيه الحق سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم).وبيان ذلك أن الأحداث الرئيسية التي تشكّل خطا زمنيا متتابعا هي:(آمنوا-زدناهم-ربطنا) والرابط بين هذه الأحداث الثلاثة هو الواو الذي يفيد مطلق الجمع كما أن سياق الحال يعزّز الترابط الزمني بينها."فالفتية آمنوا وزادهم الله هدى وربط على قلوبهم،كما يفهم من هذا الربط دلالة السببية،حيث كان إيمانهم سببا لزيادة الهدى والربط على قلوبهم"[1].(إذ قاموا)وهو من الأحداث الرئيسية وتم الربط بينه وبين الحدث السابق عن طريق(إذ) التي أفادت تزامن الحدثين:ربط على قلوبهم،وقاموا.(فقالوا)وتم في هذا الربط توظيف الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب.ثم الربط بالواو بين قالوا و(اعتزلتموهم) وبين(ينشر لكم)و(يهيء لكم)لتفيد مجرد الجمع بينهما"ويأتي الربط بالواو بين الحدث الرئيسي(وكذلك بعثناهم) وبين حدث محذوف مفهوم من السياق،والتقدير وكما أرقدناهم بعثناهم،والربط بالواو

[1] - فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص57

يفيد هنا الجمع بين الحدثين مع الترتيب الزمني والتراخي،وقد سبقت الدلالة عليه في مجمل القصة في قوله تعالى: ﴿ثم بعثناهم﴾ (الآية12) "[1].وربطت لام التعليل بين الحدثين(بعثناهم)و(يتساءلوا).ويُقدّر الربط بين الأحداث(قال قائل)و(قالوا)و(قالوا) بفاء محذوفة تفيد الترتيب والتعقيب دلّ على ذلك سياق الحال(فقد كانوا في حوار والحوار يستدعي السؤال والجواب والتعقيب).وربطت الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب بين الأحداث(قالوا)و(فابعثوا)و(فلينظر)و(فليأتكم).وورد الربط بـــــــــ(إذ) بين(أعثرنا)عليهم ليعلموا و(إذ يتنازعون بينهم) للدلالة على تزامن الحدثين.وعطفت الفاء في (فقالوا)على معطوف محذوف والتقدير:فتوفاهم فقالوا ويستمر العطف بها في(قال الذين غلبوا)و(لنتخذنّ)و(سيقولون) للدلالة على الترتيب والتعقيب مع دلالة الاستقبال"..ثم يأتي الحدث(قال الذين غلبوا) ليتم أحداث القصة بقول فريق المؤمنين وبنائهم المسجد على باب الكهف"[2].

أما الأحداث(من 11إلى20)فهي أحداث فرعية تعبر عن مدة لبث أصحاب الكهف في كهفهم،فالأفعال فيها تعطينا صورة واصفة لأصحاب الكهف..والأحداث(من31إلى34)تقدم وصفا لتخوّفهم مما يتوقعون حدوثه"وقد ترابط الحدث(إن يظهروا) بالحدث(يرجموكم) ارتباط فعل الشرط بجوابه،وترابط الحدثان(يرجموكم)و(أويعيدوكم)بـــــ(أو)التي تفيد التخيير،ثم ترابط الحدث(أو يعيدوكم) بالحدث(ولن تفلحوا)بالواو التي تفيد الجمع بين الشيئين"[3].وإن الأحداث الواقعة (من39إلى41أحداث فرعية أيضا،لأنها توضّح موقف أهل الكتاب والمؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من عدد أصحاب الكهف،وقد ربط الواو الذي يفيد مطلق الجمع بين هذه الأحداث جميعا...ثم إن الأحداث الواقعة(من42إلى50)فرعية أيضا لأنها تتضمن

[1]-المرجع نفسه-ص58
[2]-الزمخشري-الكشاف-ج02-ص277
[3]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص60

توجيها من الله عزّوجلّ لنبيه صلى الله عليه وسلم وقام ترابطها أيضا بالواو الدال على الجمع بين الشيئين من دون قيد.

أ-2-الربط الخطي المنفصل:وقد قلنا بأنه ربط قوامه الجمع بين عنصرين أو عدة عناصر وقد يتضمن علاقات مثل السببية أو التعاقب أو الحجاج أو غيره.ففي قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿11﴾ بيان لحدث رئيسي من أحداث القصة،وهو ضرب الله عزّوجلّ على آذان الفتية في الكهف،ثم بعد مسافة بعيدة(54جملة)،يقول الحق سبحانه: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿25﴾وهذه الآية تقرّر حقيقة واقعة تتعلق بأصحاب الكهف،وهي ذات صلة وثيقة بالضرب على الآذان،لأنها حدّدت مدة الضرب.لكن الذي تكفّل بالربط بين الحدثين المتباعدين في فضاء النص(ضربنا،لبثوا) هو حرف الواو الذي ربط ربطا خطيا منفصلا فيه معنى التعاقب،وذلك اعتمادا على أساسين:"1-الترديد أو التذكير وهو أمر يجري عادة بين متباعدين.2-إضافة عنصر إخباري جديد،وذلك أن الضرب على الآذان واللبث ذُكرا من قبل،لكن اللبث كُرّر بعد هذا الفاصل الكبير بالنسبة لفضاء نص القصة التي تستغرق تسع عشرة آية،ويأتي التكرير مع عنصر إخباري جديد كان المتلقي يتشوق إلى معرفته."[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ . . . . ﴿19﴾ ،وفي معناها يقول الألوسي:"..أي كما أنمناهم هذه الإنامة الطويلة وهي المفهومة مما مر ،أيقظناهم:فالمشبه الإيقاظ والمشبه به الإنامة المشار إليها،ووجه الشبه كون كل منهما آية دالة على كمال قدرته الباهرة عزّوجلّ"[2].فقد ربطت كاف التشبيه ربطا

---

[1]-المرجع نفسه-ص61
[2]-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4199

خطيا منفصلا ما بين المشبه به المتمثل في (أنمناهم) والذي تعبر عنه الآية﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴿11﴾وبين المشبه المتمثل في (بعثناهم)،على ما بينهما من مسافة بعيدة(27جملة).ومن نماذج الربط بالكاف أيضا قول الله عزّوجلّ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ .... ﴿21﴾،"أي كما أنمناهم وبعثناهم"[1] فالمشبه هو أعثرنا عليهم والمشبه به هو الحدثان الإنامة والبعث المذكوران فيما سبق بمسافة بعيدة عن المشبة(الأول بـــــــــ28جملة والثاني بـــــــــ10جمل)والذي حقّق التماسك بين الأحداث الثلاثة على ما بينهم من مسافة هو الربط الخطي المنفصل الذي وظّف كاف التشبيه.

ب-في قصة ذي القرنين:

ب-1-الربط الخطي المتصل:لقد وردت أحداث القصة مترابطة ترابطا خطيا متصلا،ينسجم وترتيبها الزمني الموافق لحدوثها الفعلي في الواقع.ولنتابع الأفعال كما وردت في الآيات:

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿84﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿85﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿86﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿87﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿88﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿89﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿90﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿91﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا

[1]-المرجع نفسه-ص4203

﴿92/18﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿93/18﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿94﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿96﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿97﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿98﴾ ﴾

ويعلّق فريد عوض حيدر على ترابط الأحداث وترتيبها في هذه الآيات بقوله:

-مكنا له وآتيناه،والربط بينهما جاء بالواو التي تفيد الجمع بين الشيئين.

-فأتبع،وقد عطف على الحدث السابق بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب.

-حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها،والعطف بحتى يفيد استغراق وقت بين الحدثين(أتبع وبلغ)،أما العلاقة الزمنية بين الشرط وجوابه فهي تفيد الترتيب والتعقيب بينهما،وعطف وجد على نظيره بالواو أفاد الجمع بين الحدثين.

-(قلنا قال)الأولى من الله سبحانه والثانية من ذي القرنين،والعطف هنا بدون أداة ظاهرة،لكنها مقدّرة بالفاء لأنها في حوار،فأفادت الترتيب والتعقيب.

-(ثم أتبع سببا)العطف على أتبع الذي قبله،ولا شك أن بين الحدثين أحداث محذوفة،أخذت زمنا لم يذكر في نص القصة،وكان العطف ب(ثم) مفيدا للترتيب مع التراخي.

-(حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها)،والعطف ب(حتى) يفيد استغراق وقت بين الحدثين أتبع وبلغ،واجتماع الحدثين بين الشرط والجواب يفيد الترتيب والتعقيب بينهما.

-(ثم أتبع سببا)(حتى إذا بلغ بين السدين وجد...)(قالوا)(قال مامكني...فأعينوني)،وهذا الفعل بعده محذوف معطوف بالفاء والتقدير فأعانوه ومثله آتوني والتقدير فآتوه.

-(حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا) والعطف ب(حتى) يفيد التراخي،كما أن فعل الشرط ساوى وجوابه قال بينهما ترتيب وتعقيبنوهنا حدث محذوف دلّ عليه المذكور والتقدير فنفخوا ومثله آتوني فآتوه.

-(حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ) (فآتوه قطرا فأفرغه فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا) (قال)[1]

ب-2-الربط الخطي المنفصل:

وقد تجلى الربط الخطي المنفصل في قول الله عزّوجل: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿91﴾ ﴾فكاف التشبيه الأداة الجوهرية في تحقيق الربط تنفتح على دلالات متعددة"أمره فيهم(أي في أهل المشرق)كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار...وجوّز أن يكون(كذلك)صفة مصدر محذوف لـــــ(وجد)أي وجدها تطلع وجدانا كوجدانها تغرب في عين حمئة...أو صفة قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليه الشمس في الكفر والحكم،أو معمول بلغ أي(بلغ)مغربها كما بلغ مطلعها.وعلى الأول تربط الكاف بين الجمل(أما من ظلم فسوف نعذبه)إلى الجملة (وسنقول له من أمرنا يسرا)والجملة(كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا)أي مع وجود بعد يقدر بجملتين.وعلى الاحتمال الثاني والثالث تقوم الكاف بالربط بين(وجدها تغرب) و (وجدها تطلع) والمسافة بينهما معتبرة تقدر بعشر جمل.وهذا الربط يقوم مقام الإحالة على البعيد.وعلى الاحتمال الرابع تقوم الكاف بالربط بين(بلغ)الموجودة في الآية(86)و(بلغ)الموجودة في الآية(90)والمسافة بينهما تسع جمل."[2]

[1]-ينظر: اتساق النص في سورة الكهف-ص110-111

[2]-نقلا عن المرجع نفسه-ص111-112

والملاحظ أن (ثم) قد ربطت بين الرحلات الثلاث ربطا خطيا منفصلا،وأفادت معنى الترتيب والتراخي،فكل رحلة استغرقت وقتا،وإن الزمن الفاصل مابينها لم يصرح به في النص لكن ورود(ثم)تكفل بالإبانة عنه.

وخلاصة القول:إنّ كمّ الجمل التي تكوّن نصا ما،لا يمكن إلا أن تكون مترابطة ترابطا وثيقا،وهذا الأمر هو الذي يجعلها قابلة للفهم والتأويل،وعليه فعلماء لسانيات النص ينطلقون من معطى جاهز،لكنّهم يبحثون في ما يكون به النص قابلا للقراءة والفهم،أي أنهم يفتشون في النص عن مواطن الترابط(التماسك والانسجام) وكيفياته ووسائله،ومن شأن هذا الكشف أن يمدّنا بمعطيات دلالية متعددة يُخفيها النص خلف بنيته المتماسكة والمنسجمة.وقد عرضت لإشكالية مصطلح التماسك وتلقيها في الدرس العربي الحديث،لكن محتوى المصطلح تمّ الاتفاق حوله،وهو الترابط الرصفي القائم على النحو والمعجم في البنية السطحية للنص،أي أنه ينقسم إلى قسمين، وهما التماسك النحوي(تصنعه أدوات النحو من إحالة وحذف وربط وغيرها)،والتماسك المعجمي (ممثلاً في التكرار والمصاحبة المعجمية).ثمّ بيّنا الوسائل الأساسية الكفيلة بتحقيق التماسك في النص عامة وفي سورة الكهف خاصة،واكتشفت أن الإحالة بأنواعها المختلفة،قد أسهمت بشكل فعّال في تحقيق التماسك المحكم بين الجمل المكوّنة للآية الواحدة،وبين آيات السورة الكاملة،فقد تستدعي الجملة جملة سابقة(عن طريق الإحالة بالعودة)،أو جملة لاحقة(عن طريق الإحالة البعدية).وقد تُحدث الإحالة تماسك جملتين قريبتين في النص(إحالة ذات مدى قريب)،أو العديد من الجمل المتباعدة(إحالة ذات مدى بعيد).وقد تكون الإحالة معجمية،وقد تكون نصية،والثانية وإن كان ورودها قليل في النصوص إلا أن وقعها التماسكي فعّال وقوي جدا.

ومن وسائل التماسك النحوي أيضًا،الحذف،ويتجلى ذلك بوضوح في النصوص ذات الطابع السردي،خاصة في القصص القرآني.ويتنوّع الحذف من اسمي أو فعلي أو في التراكيب.وقد لاحظت من خلال

الدراسة التطبيقية حول السورة أنها اشتملت على الحذف بأنواعه الثلاثة،وكان لها دورٌ فعّال في نسج خيوط السورة،خاصة وأنها ضمّت العديد من القصص.

وقد ساهم الربط بنوعيه:المتصل والمنفصل في تحقيق التماسك بين مفاصل السورة الكريمة،حيث اكتشفت توظيف أدوات العطف:الواو،ثم،بكثرة (الربط الخطي المتصل)،وكاف التشبيه أيضا(الربط الخطي المنفصل).وإني لأتوسّم في هذا المنهج أن يكون سبيلًا ممهّدا للبحث في إعجاز القرآن من حيث إحكام النص ككل،والقدرة العجيبة على توظيف الأدوات والوسائل الكفيلة بتحقيق التماسك النحوي والمعجمي على أكمل صورة.

انسجام النـــص في ســـورة الكهـــــــــف

1-مفهوم انسجام النص وعلاقته الدلالية:

غني عن البيان أن الموضوع الجوهري للسانيات النص أو نحو النص،هو البحث عن تجليات الترابط النصي في النصوص و علاقته القوية بفهم المقاصد و تأويلها،هذا الترابط الذي ينحلّ إلى نمطين أساسيين و هما:

أ-الترابط الرصفي (التماسك) و ب-الترابط المفهومي (الانسجام)

فالترابط الرصفي يخصّ سطح النص و ظاهره،و يرتبط بالدلالة النحوية التي تلقي الضوء على تلقي المتلقي،وكيفية انتفاعه بالتتابعات الشكلية،و أنماط الاطّراد في استعمال المعنى و المعرفة،و كيفية نقلها و تذكّرها.أما الترابط المفهومي فيتعلّق بتلك الروابط الدلالية التضمنية التي يشير إليها(جون كوهين) بقوله:"إن كل ربط يستلزم وحدة إلى حدّما،وحدة في المعنى بين الأجزاء التي يربط بينها،مما يؤدي إلى الاتساق الدلالي الذي يبدأ من استخدام الكلمات."[325].

وتتطلب هذه الدراسة النحوية للنص-في نظر دي بوجراند-ثالوثا من الاتجاهات و هي:

"النحو:الترابط الرصفي

الدلالة:الترابط المفهومي

التداولية:(أعمال-خطط-أغراض)"[326]

وقد أشار (دي بوجراند) إلى أن نظرية استعمال اللغة،يتوجب عليها أن تقوم على أساس مفهوم الترابط،حيث اعتبره من دواعي الكفاءة النصية أو المعيار الأهم في نصية النص كما قال بذلك هو و زميله(درسلر)،حين حدّدا المعايير التي تميّز النص من اللانص.و يؤكّد (دي بوجراند) أيضا بأن ما يعرف بنحو النص،ليس هو النحو المعهود إلينا(=نحو الجملة)،بل هو نحو هجين يتعايش فيه وعيان لغويان مختلفان، و هو نحو تتضافر فيه الدلالة النحوية

[325]-بناء لغة الشعر-ت:أحمد درويش-زهراء الشرق-القاهرة-مصر-ط 01-1985 -ص190
[326]-النص و الخطاب و الإجراء-ت:تمام حسان-ص85

والنحو الدلالي عن طريق العلاقات التداولية.و إذا كنا قد بسطنا الحديث،في الفصل السابق من هذه الدراسة،عن الترابط الرصفي أو التماسك النصي،فإننا في هذا الفصل سنعالج الترابط المفهومي أو الانسجام الدلالي في النص باعتباره مكمّلا له،و سنبدأ بمفهومه اللغوي ثم الاصطلاحي،ثمّ نبيّن فائدته في تحليل النصوص و إنتاجها.

1-1-مفهوم الانسجام:

أ-لغة:

أورد (ابن منظور) في لسان العرب(مادة سجم):"سجمت العين الدمع و السحابة الماء تسجمه سجما وسجوما و سجمانا:و هو قطران الدمع و سجمانه،قليلا كان أو كثيرا...و العرب تقول دمع ساجم،و دمع مسجوم:سجمته العين سجما...و كذا عين سجوم،و انسجم الماء و الدمع،فهو منسجم،إذا انسجم أي انصب،وسجّمت السحابة مطرها تسجيما و تسجاما إذا صبّته...و سجم العين و الدمع الماء يسجم سجوما إذا سال و انسجم،و أسجمت السحابة دام مطرها."[327]

فمدلولات مادة(سجم) تتمحور حول معنى الانصباب و السيلان و استمرار المطر و دوامه،و يمكن أن نقول إن هناك صلة-و إن كان فيها تكلّف-بالمفهوم الاصطلاحي،و بيان ذلك أن سيلان الماء يتم في انسجام قطراته التي تكوّنه في كلّ متناغم،شبيه بانسجام النص،حيث تتناغم فيه الأفكار و تتشابك بطرق كثيرة تجعل الآخر يستدعي الأول.

ب-اصطلاحا:

الانسجام هو المقابل العربي لمصطلح(Coherence) الإنجليزي،و قد تعدّدت الترجمات العربية لهذا المصطلح،فنجد سعد مصلوح يترجمه إلى (الحبك)و تبعه في ذلك جميل عبد المجيد،و ترجمه سعيد حسن بحيرى إلى(التماسك) و محمد خطابي إلى(الانسجام) و تمام حسان إلى(الالتحام)و(الحبك)و(الترابط المفهومي)و الباحثين

---

[327]-ج02 –ص1762-1763

محمد لطفي الزليطي و منير التريكي إلى(التماسك المعنوي)و عادل منّاع إلى(التماسك الدلالي)...لكن و إن تعدّدت المقابلات العربية لمصطلح(Coherence) فإن مدلوله واحد،يتلخّص في كونه العلاقات الخطية الموجودة بين المعاني و المفاهيم و الأفكار في باطن النص،حيث إننا قد نجد ظاهر النص و كأنه خال من أي رابط يربط بين أجزائه،فيستحيل-بفضل فعالية علاقات الانسجام-إلى نص متماسك،متلاحم الأجزاء،و يرى (فان ديك)أن الانسجام أو التماسك الدلالي"عبارة عن خاصية سيمانطيقية للخطاب قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى."[328].

و إن كان (هاليداي و رقية حسنHalliday & Ruqaiya Hasan) قد صرحا بأن:"التماسك مفهوم دلالي يشير إلى العلاقات الدلالية التي توجد ضمن النص و تعرّفه بأنه نص"[329] في كتابهما(التماسك في الإنجليزية Cohesion in English) إلا أنهما-في نظر جمعان بن عبد الكريم-"وقفا في دراستهما عند حدود أدوات التماسك الشكلية في الغالب،و التي لا شك لها علاقة قوية بالدلالة،و لكنها لا تصف بنية النص الدلالية،و الروابط الدلالية بين قضاياه،بل تصف العلاقة الشكلية الدلالية في مستوى سطح النص."[330]

والجدير بالذكر أن(فان ديكVan Dijk) نفسه قد وصف طريقة تعامل (هاليداي و رقية حسن)مع مفهوم التماسك بأنها ظلت محدودة سطح النص،حيث ركّزا على البنى الشكلية المنظمة لظاهر النص،و قد بيّن بأن تعامله مع المفهوم مختلف،لأنه ركّز على الجانب المفهومي أو الدلالي،إن الانسجام عنده هو"مجموعة الشروط التي تحدّد العلاقات أزواجا،أي ضروب التعلق و التبعية بين الأحداث كما تعبّر عنها الجمل المؤلفة و ما تركب منها،و لها صلة بعالم ممكن،و بموضوع تحاور ممكن."[331]و يقول (جميل عبد المجيد):"الحبك يختص برصد الترابط و

---

[328]-فان ديك-النص و السياق-ت:عبد القادر قنيني-دار إفريقيا الشرق-الدار البيضاء-المغرب-ط01 - 2000-ص137

[329]-Halliday & Ruqaiya Hasan-Cohesion in English-p04

[330]-إشكالات النص-ص179

[331]-فان ديك-النص و السياق-ص179

الاستمرارية في عالم النص معيار الحبك و هو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة،لإيجاد الترابط المفهومي(Coherence)واسترجاعه أو هو بعبارة أكثر تفصيلا يُعنى بالطرق التي تكون بها مكونات العالم النصي(هيئة المفاهيم و العلاقات التي تحت سطح النص)مبنية بعضها على بعض و مترابطة"[332]

ج-القارئ و بناء الانسجام النصي:

إن حصول الترابط النصي أثناء تحليل النص لا يتوقف عند اكتشاف آليات التماسك،بل إن الأمر يتجاوز ذلك إلى أدوات و وسائل أخرى يتحقق الترابط النصي من خلالها،فينتقل الإجراء من المستوى الصوتي والنحوي و المعجمي إلى مستويات باطنية أكثر تعقيدا كالمستوى الدلالي و التداولي أو ما يسميه(دي بوجراند ودرسلر)ب(Coherence)،أي الانسجام النصي،الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمتلقي أو القاريء"حيث ينسجم النص عندما يمكن للقاريء أن يتحرك بسهولة من جملة إلى أخرى،و يقرأ النص كوحدة واحدة و ليس مجموعة من الجمل المنفصلة،فالانسجام هو الكيفية التي تمكّن القاريء من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص،و معها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة."[333]إذًا،فالانسجام يتولّد من خلال تفاعل القارئ مع النص،و الكاتب غالبا ما يبسط في نصه إشارات و إيحاءات تعين القارئ على الفهم و التأويل...إن المتلقين هم الذين يركّبون ما بين المفاهيم المتفرقةو المتنافرة في جسد النص،في ضوء العلاقات التي تربط بينها،ثم إن خلفية القارئ المعرفية و أفكاره المسبقة حول جنس النص،و توقعاته هي التي من شأنها أن تبني فهمه المستمر للنص أثناء القراءة"فالانسجام لا يحفر في النص،ولكن يظهر في جهود القراء لبناء المعنى،و توحيد التفاصيل في النص داخل كلّ متماسك،و النص ليس

[332]-علم النص(أسسه المعرفية و تجلياته النقدية) –ص148

[333]-عزة شبل محمد-علم لغة النص (النظرية و التطبيق)-ص184

إنتاجا فقط،بل عملية تفاعل بين القارئ و النص أو إنه عملية إثارة و تحقيق للميول. "[334] و يقول(رولان بارت)في (درس السيميولوجيا):"النص تعددي.لا يعني هذا فحسب أنه ينطوي على معان عدة،وإنما أنه يحقق تعدد المعنى ذاته.إنه تعدد لا يؤول إلى أية وحدة.ليس النص تواجدا لمعان،و إنما هو مجاز و انتقال.بناء على ذلك فلا يمكن أن يخضع لتأويل..و إنما لتفجير و تشتيت.ذلك أن تعددية النص لا تعود لالتباس محتوياته،و إنما لما يمكن أن نطلق عليه التعدد المتناغم للدلائل التي يتكون منها:إن قاريء النص شبيه بذات مرتبكة(تعطل فيها عمل المخيلة)،هذه الذات الفارغة تتجول قرب واد ينحدر في أسفله نهر،ما يدركه متعددٌ يصدر عن مواد و مستويات متنوعة من أضواء و ألوان وخضرة وحرارة و هواء و ضجيج و زقيق و أصوات أطفال و حركات و ملابس.كل هذه الحوادث تكاد تدرك على حدة:إنها تخضع لقواعد معروفة.بيد أن المزج بينها متفرد.و هو ما يحدد النزهة في اختلافها الذي لا يمكن أن يتكرر إلا كاختلاف"[335]

ومعنى هذا أن قراءة النص تُفرز لدى القاريء شهوات متوالية تدفعه لاستكمال القراءة،و بالتالي فهو يهندس معالم الانسجام ليصبح النص مفجّرا و منجزا لرغبات القاريء،و من هنا تتحوّل القراءة إلى تفسير و تفاعل في الوقت نفسه.و ترى (عزة شبل محمد) أن قاريء النص لا يحتاج أن يحدّد علاقات الانسجام الموجودة في النص لكي يفهمه،إلا أن هذه العلاقات تكتسي قيمة ضرورية إذ تعتبر أدوات تحليلية توظّف لوصف بنية النص،فالقاريءعندما يعالج النص،يبني تمثيلا للمعلومات التي يحتويها النص،و يمتاز هذا التمثيل المعرفي في أنه يدمج القضايا المفردة المعبر عنها في النص في كلّ أكبر،و هذا جزء هام من عملية فهم النص.[336].

أما(بول ريكورP.Ricoeur) فقد عرض في نظريته التأويلية تحليلا للاستعارة معتبرا أنها عبارة عن توتر أو شدّ،حيث إنه يرى أن"في صميم الاستعارة يقبع عنصر إثبات و عنصر نفي:يشير العنصر الأول إلى الناقل

---

[334]-المرجع نفسه-ص184

[335]-درس السيميولوجيا-ت:عبد السلام بنعبد العالي-دار توبقال-الدار البيضاء-المغرب-ط02 - 1986-ص(62-63)

[336]-ينظر: عزة شبل محمد-علم لغة النص (النظرية و التطبيق)-ص 185

الحرفي المستخدم لتوصيل الاستعارة،بينما يدل الأخير على أن المشار إليه في الاستعارة لا ينبغي أن يُلتمس في الألفاظ الحرفية.من شأن هذا التوتر أن يُسقط"عالما أمام النص"،هذا العالم المسقَط هو المُشار إليه الحقيقي للاستعارة.و يرى ريكور أن معنى الاستعارة و إشارتها هما شيء في انتظار أن يتملّكه القارئ الراهن من خلال عملية إضفاء القرينة أوالسياق الذي يضطلع بها من جديد كل قارئ للنص(...)يريد(ريكور)أن يحافظ على التوتر،غير أنه في الواقع الفعلي ينفرج التوتر في النهاية لصالح"المعنى الجديد"المتولد في الأفق الحادث بين القارئ و النص،و يصير الأمر،بشكل لا مرد له،إلى اضطراب و تقلقل في رسالة النص مصحوب بنسبية تلك الرسالة."[337]

وخلاصة القول:إذا كان معيار التماسك يتتبع تحقّق الاستمراريّة في سطح النص،فإن معيار الانسجام يرصد تحقق الاستمرارية على صعيد أعلى هو عالم النص،هذه الاستمرارية الدلالية-التي يصنع معالمها تفاعل القاريء مع مضامين النص-تبرز من خلال منظومة الأفكار الموجودة في النص و العلاقات الرابطة بينها.

د-قيمة الانسجام النصي:

يعدّ الانسجام من أهم معايير النصية التي اشترطها اللغويون لوصف النص بالترابط و التلاحم،فهو الذي يتكفل بتهيئة العلاقات المنطقية و التصورية التي تجعل من الملفوظ نصا مترابط الأفكار و المواضيع،و إن كان خاليا من أدوات التماسك(النحوي و المعجمي)،و يرتكز الانسجام على علاقات داخلية و عناصر مقامية متعالقة يتمّ من خلالها فهم النص[338] .إن للانسجام دورا فعّالا في فهم النص و تأويله"فلا يكون الكلام مفيدا إذا كان مجتمعا بعضه مع البعض الآخر دون ترابط"[339] و النظام اللغوي-كما يرى الأستاذ حماسة عبد اللطيف-وفّر عددا من

[337]- عادل مصطفى-فهم الفهم(مدخل إلى الهرمنيوطيقا)-دار النهضة العربية-بيروت-لبنان-ط01 - 2003-ص(338-339)
[338]-ينظر:دي بوجراند-النص و الخطاب و الإجراء-ص103 –و فولفجانج هاينه مان،ديتر-مدخل إلى علم لغة النص-ص93
[339]-بناء الجملة العربية-دار غريب-القاهرة-مصر-2003 -ص87

أدوات الترابط في النص،يعتمد بعضها على الفهم و الإدراك الخفي للعلاقات،و يعتمد بعضها الآخر على وسائل لغوية محسوسة،ثم إن تتبع وسائل الترابط يقتضي تتبع أنماط أبنية الجمل،و الوقوف على أسرار تماسكها.[340]

لقد توسّع العلماء في دراسة موضوع الانسجام في الدرس اللساني الحديث،بصورة أدق و أعمق وأعم،خاصة في الجانب الدلالي و انعكاسات العلاقات ما بين القضايا المشكلة للنص،لذا فإن الأبنية المعقدة التي تتصف بالتلاحم التركيبي و الدلالي بين مكونات الجمل تستعصي على الدراسة من خلال تفتيتها إلى أجزاء و تحليل كل جزء على حدة معزولا عن بقية الأجزاء التي ترتبط به و تضفي عليه دلالة خاصة داخل التركيب،لذلك تشغل وسائل الانسجام مكانة هامة في تلقي النص و إنتاجه بصورة سليمة،تراعي كليته و تناغمه،سواء على الصعيد الداخلي أو المقامي.

والجدير بالذكر أن المفسرين القدماء قد اهتموا في دراستهم للقرآن الكريم بالعلاقات الدلالية الرابطة بين أجزاء النص القرآني،و تدبروا آياته و أسرار إعجازه بالنظر في أوجه نظمه و بنائه و دلالته و معناه،فالآيات في القرآن الكريم مرتبطة بعضها ببعض،و هذا الارتباط"إما أن يظهر بينهما لتعلّق الكلام بعضه ببعض،و عدم تمامه بالأولى فهو واضح،وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد و التفسير،أو الاعتراض و التشديد..."[341]،و إما ألّا يظهر الارتباط بحيث تكون الجملة مستقلة عن الأخرى،فتكون الثانية معطوفة عن الأولى بحرف عطف "و إن لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام،و هي قرائن معنوية تؤذن بالربط"[342].

إن التعامل مع النص القرآني باعتباره نصا لغويا،يجعلنا نسلّم بأن النحو من أهم الأبنية التي يتوجب علينا الارتكاز عليها في سبيل تفسير النص،يقول حماسة عبد اللطيف:"العلاقات النحوية في النص على مستواه الأفقي تختلف أبنيتها التصويرية والرمزية،و على مستواه الرأسي هي توجد توازيه و أنماط التكرار فيه و تحكم

---

[340]-انظر:المرجع نفسه-ص87

[341]-بدر الدين محمد الزركشي-البرهان في علوم القرآن-دار الفكر-بيروت-لبنان-2001 -ج01 –ص66-67

[342]-السيوطي-معترك الأقران في إعجاز القرآن-تح:علي محمد البجاوي-مكتبة الدراسات القرآنية-دار الفكر العربي-بيروت-لبنان(د.ت)-ج01-ص58

تماسكه واتساقه"[343] ثم إن العلاقات بين الجمل المركبة و التتابعات هي بوجه خاص-في نظر فان ديك-"ذات طبيعة دلالية،وتكون العلاقات النحوية تابعة لها أحيانا،فالأمر يتعلق في المقام الأول بوصف العلاقات بين معاني الجمل وتحديد معنى التتابعات الجزئية للجمل."[344]،وهناك من اعتمد على النموذج الدلالي في وصف النص و تحليله،حيث يتحول الحديث من الجمل إلى القضايا"و ليست الأنماط و المضامين المختلفة للقضايا-في نظر رواد هذا النموذج-وحدها مهمة للوصف الدلالي للنصوص،بل أشكال الربط القضوي أيضا بوجه خاص،فهي تشكّل الأساس لدمج قضايا بقضايا أشمل."[345] إن العلاقات بين الجمل و القضايا أو المقاطع أو الفقرات تتنوّع في ظل التقنين اللساني النصي:من سببية و إجمال/تفصيل و سؤال/جواب و تعليل و شرط.....الخ.

2-علاقات الانسجام الدلالي في النص:

لقد تحدث علماء علوم القرآن-في باب المناسبة-عن مظاهر كثيرة من ترابط النص سواء من الناحية الشكلية أو الدلالية"و المناسبة في اللغة:المقاربة،و فلان يناسب فلانا،أي يقرب منه و يشاكله...و كذلك المناسبة في فواتح الآي و خواتمها،و مرجعها-و الله أعلم-إلى معنى ما رابط بينهما:عام أو خاص،عقلي أو حسي أو خيالي،وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني:كالسبب و المسبّب،و العلة و المعلول،و النظيرين و الضدين ونحوه،أوالتلازم الخارجي،كالمرتب على ترتيب وجود الواقع في باب الخير."[346].

إن العلاقات التي تحقّق الانسجام الدلالي في النصوص هي التي تقرن و تدمج أجزاء النص بعضها ببعض في غياب أو من دون النظر إلى الأدوات الشكلية السطحية التي تعنى ببناء التماسك الظاهر،يقول محمد خطابي:"ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متوالياته(أو بعضها) دون بدوّ وسائل شكلية

---

[343]-الإبداع الموازي-دار غريب-القاهرة-مصر-ط 01- 2003-ص10
[344]-فان ديك-علم النص:مدخل متداخل الاختصاصات-ت:سعيد بحيرى-دار القاهرة-القاهرة-مصر-ط02 - 2005-ص48
[345]-فولفجانج هاينه مان و ديتر-مدخل إلى علم لغة النص-ص39
[346]-الزركشي-البرهان في علوم القرآن-ج 01-ص61-62

تعتمد في ذلك عادة.ينظر إليها على أنها علاقات دلالية،مثال ذلك علاقات:العموم/الخصوص،السبب/المسبب،المجمل/المفصل... "[347]

إذًا، فهذه العلاقات تهندس ربطا خطيا منطقيا لشبكة النص الدلالية،و المقصود بالمنطقي هنا هو"الربط الذي يعتمد نوع العلاقة في الجمع بين العنصرين المتتابعين"[348]. وتكمن الفائدة من هذا الربط على مستوى النص في "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض،فيقوى بذلك الارتباط،ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم،المتلائم الأجزاء.[349]

و في فصل(معرفة المناسبات بين الآيات)وباب(أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض) يقسّم الزركشي(ت) الربط الدلالي إلى نمطين:النمط الأول:يكون فيه الارتباط بيّن ظاهر بين الآيتين"لتعلّق الكلام بعضه ببعض و عدم تمامه بالأولى(=الآية الأولى)،و كذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد و التفسير،أو الاعتراض و التشديد،و هذا القسم لا كلام فيه."[350]أما النمط الثاني فيكون الارتباط فيه غير ظاهر حيث تبدو كل جملة مستقلة عن الأخرى و"أنها خلاف النوع المبدوء به(النمط الأول) فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أو لا."[351] وهو يتفرّع إلى قسمين:الأول أن يكون بين الآيتين عطف أو مضادة،و الثاني ألا تكون معطوفة على ما قبلها"فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام،و هي قرائن معنوية مؤذنة بالربط،و الاول مزج لفظي،و هذا مزج معنوي،تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني."[352] و يرى (فريد

[347]-لسانيات النص-ص268-269
[348]-الأزهر الزناد-نسيج النص-ص48
[349]-الزركشي-البرهان في علوم القرآن-ج01-ص62
[350]-المرجع نفسه-ج01 -ص66-67
[351]-المرجع نفسه-ج01 -ص67
[352]-المرجع نفسه-ج 01-ص74

عوض حيدر) بأن البيان هو أساس الروابط في كلّ ملفوظ"و له عدد من الوسائل منها التفصيل بعد الإبهام،و أن يتوسط حرف التفسير(أي) بين الجملتين،ويكون بالاستفهام من المتكلم،عندما لا يقصد إلى الاستخبار"[353]

2-1-علاقة التفصيل بعد الإجمال:

وهي أن يذكر الكلام مجملا ثم يعرض بيانه بعد ذلك مفصّلا من دون وسيلة شكلية بين التفصيل و ما سبقه من إجمال إلا الرابط المعنوي الذي يجمعها"فالعلاقة بين المجمل و ما فصّله علاقة معنوية تحقّق التماسك بين جمل النص،وهذه العلاقة مسوّغة للفصل بين الجمل".[354]

قال الله سبحانه و تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿9﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿11﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿12﴾ ﴾ .

لقد تضمّنت هذه الآيات إجمالا لقصة أصحاب الكهف في أحداثها الرئيسية الأربعة (أ-أنهم أووا إلى الكهف.ب-دعاء الله عزّوجلّ.ج-فضرب الله على آذانهم فأنامهم.د-بعثهم الله سبحانه و تعالى ليتساءلوا)،و بعد ذلك قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿13﴾ ﴾ .فهذا "شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف،أي نحن نخبرك بتفصيل خبرهم الذي له شأن و خطر"[355].فالإجمال و التفصيل متعالقان تعالقا شديدا،ألا ترى أن التفصيل يشرح المجمل و يزيل استغلاقه،فقد أورد الحق سبحانه القصة مجملة،ثم أورد تفاصيل أحداثها،الأمر الذي جعل الآيات منسجمة دلاليا.

---

[353]-اتساق النص في سورة الكهف-ص64

[354]-عادل منّاع-نحو النص(اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية)-ص241

[355]-الألوسي-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني-مج 08-ج(14،15) -ص4184

قال الله عزّوجلّ: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ ﴾،فقوله سبحانه: ﴿لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ.... ﴿19﴾ ﴾ إجمال تفصيله ورد بعد ذلك في الحوار الذي دار بين الفتية-بعدما بعثوا-عقب هذه الجملة في الآية نفسها ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ..... ﴿19﴾ ﴾ وهو"استئناف لبيان تساؤلهم"[356] حتى قول الله عزّوجلّ: ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ... ﴿19﴾ ﴾(سورة الكهف)

قال الله عزّوجلّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿30﴾ ﴾فقوله سبحانه و تعالى: ﴿ ... أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾قول مجمل لفضل الذين يؤمنون و يعملون الصالحات(ومنهم أصحاب الكهف)،و في الآية التي تعقبها تفصيل لمضمون هذا الأجر،يقول الحق سبحانه: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿31﴾}..."فالآيات معطوفة على سابقاتها و

[356]-المرجع نفسه-ص4199

استمرار لها وتعقيب عليها...فمن شاء فليؤمن فينفع نفسه ومن شاء فليكفر فلا يضر إلا نفسه،لأن الله قد أعدّ لكلّ من الفريقين ما يتناسب اختياره من شديد العقاب و هائله و من عظيم النعيم و وسائله."[357]

قال الحق سبحانه: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿32﴾ ﴾،ففيها إجمال للقصة كمثل يُعتبر به،و بقية الآيات من(الآية33)إلى (الآية44)تفصّل لأحداث قصة صاحب الجنتين"فقد جاءت هذه الآيات تسرد حادثا واقعا معروفا لهم لتدعم به ما جاء في الآيات السابقة من تقرير كون الفضل و أحسن العاقبة للإيمان و العمل الصالح و أن اعتداد الكفار بمالهم وقوّتهم لن يغني عنهم من الله شيئا...و جمهور المفسرين يقولون إن المثل مضروب للكفار الأغنياء الذين أظهروا الاعتداد بمالهم و قوتهم و الاشمئزاز من فقراء المؤمنين."[358]

و كذلك في قول الله عزّوجلّ: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . . ﴿45﴾ ﴾إجمال جاء تفصيله في الآية نفسها في **قوله تعالى:** ﴿ . . .كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿45﴾ ﴾ .فقد أمر الله نبيه أن يضرب مثلا آخر عن الحياة الدنيا التي تشبه الزرع الذي ينميه مطر السماء،ثمّ لا يلبث أن يجفّ بعد قليل و تدفعه الرياح و تذروه،و بأن بنذرهم بأن الله مقتدر على كل شيء.

---
[357]-محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-ج 06–ص20
[358]-المرجع نفسه-ص23

قال الله عزّوجلّ: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿67﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴿ 68﴾ ﴾،حيث إن الآيتين تتضمنان مضمونا مجملا يتمثل في عدم الصبر على ما لم يحط موسى عليه السلام به خبرا،و هو الأمر الذي تمّ تفصيل الحديث فيه في الآيات التي تلتهما و هي أحداث قصة موسى عليه السلام والخضر الرجل الصالح عليه السلام،و بيان ذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿78﴾ ﴾ .

ثمّ يأتي البيان و التفصيل في الآيات التي تقع من الآية(79)إلى الآية(82)"..و ما عبارة عن الأفعال الصادرة من الخضر عليه السلام و هي خرق السفينة و قتل الغلام و إقامة الجدار و مآلها خلاص السفينة من اليد الغاصبة و خلاص أبوي الغلام من شرّه مع الفوز بالبدل الأحسن و استخراج اليتيمين للكتر،و في جعل الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر.."[359].

و في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿83﴾ ﴾،هذه الآية إجمال للقصة كلها ثم ما جاء ما بعدها من أول قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿84﴾ ﴾ . "فهذا شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود"[360]

[359]-الألوسي-روح المعاني-مج08 –ج(14-15) –ص4347
[360]-المرجع نفسه-ص4372

2-2-علاقة الإجابة بالسؤال:

جاء على لسان(محمد خطابي) أن من دواعي فصل كلام عن كلام آخر سابق"وجود سؤال مقدّر غير متجل في سطح الخطاب،و الذي يدعو إلى تقدير هذا السؤال هو بناء الخطاب على شكل زوج مكوّن من سؤال مقدّر/جواب ظاهر."[361] ،و الذي يقصد من كلمة مقدر أن السؤال ليس ذو طابع كتابي،بل يفهم من السياق،و يمكن أن نسميه التفسير لأن الجملة الثانية غالبا ما تفسّر ما جاء في الاولى"و الاصل في الجواب أن يكون مطابقا للسؤال،وإذا كان السؤال متوجها،و قد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيها على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك،وقد يجيء الجواب أعمّ من السؤال للحاجة إليه في السؤال،و قد يجيء أنقص لاقتضاء الحال."[362].

وقد تعرّض (تمام حسان) لعلاقات الربط المعنوي في كتابه المعنون ب:البيان في روائع القرآن،و الذي أجملها في علاقات كالسببية،والتفسيرية،والنقض/الإبكال،والعلاقة الشرطية،والترتيب و التعقيب،والملابسة،و الإلزام،و التعليل وغيرها، وفي بيان علاقة الإجابة بالسؤال يعرض الآية القرآنية الكريمة كتمثيل و هي قول الله عزّوجلّ:و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فكأن سائلا سأل:ما معنى هذا القرب؟ فكان الجواب:معناه إمكان إجابة الدعوة.[363]

وقد وردت في سورة الكهف بعض العلاقات من هذا النوع،و قد كان لها دور فعّال في تعالق الدلالات الجزئية للآيات القرآنية ، ففي **قول الله تعالى:** ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿12﴾﴾،سؤال جاءت الإجابة عنه **في قوله تعالى:** ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا

[361]-لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)-ص109
[362]-السيوطي-الإتقان في علوم القرآن-ج02 –ص227
[363]-ينظـر:ج01 –ص(407-418)

﴿ 25 ﴾ ،". .و قد عرفنا أن التساؤل ورد في مجمل القصة،و جاء الجواب في نهاية القصة فهذا يشبه ما أسماه علماء البلاغة رد العجز على الصدر،و هو من طرق اتساق النص."[364]

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ . . . .إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿ 13 ﴾ ﴾ جواب لسؤال ضمني يفهم من السياق العقلي للسورة،فكأن المخاطب سأل بعد قوله:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ . . . ﴿ 13 ﴾ ﴾ فقال: ما نبأهم؟فجاءت الإجابة: ﴿ . . . .إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿ 13 ﴾ ﴾إلى آخر القصة،فهذا الجواب "استئناف مبني على السؤال من قبل المخاطب و تقدم الكلام آنفا في الفتية ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾"[365]

قال الله عزّوجلّ: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿ 63 ﴾ ﴾ هذه الآية هي جواب لسؤال مضمر(أين الغذاء(الحوت)؟) المعبر عنه في الآية التي تسبقها ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿ 62 ﴾ ﴾"و هو – غداءنا–الطعام الذي يؤكل،أول النهار،و المراد به الحوت على ما ينبئ عنه ظاهر الجواب"[366]

[364]- فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص66
[365]-الألوسي-روح المعاني-مج 08–ج(14-15) –ص4186
[366]-المرجع نفسه-ص4299

وقال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿68﴾ ﴾،و جاء الجواب في الآية الموالية مباشرة ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿69﴾ ﴾

وفي الآيات التي تضمنت قصة (ذي القرنين) ورد قوله سبحانه و تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ .....﴿83﴾ ﴾ و هو سؤال تمهيدي لعرض أحداث القصة،حيث جاء جوابه في الجملة التي يلي الجملة الأولى مباشرة في الآية نفسها ﴿ . . .قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿83﴾ ﴾

وفي الآية(103)سؤال صريح،حيث يقول الحق سبحانه و تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿103﴾ ﴾و ورد الجواب مباشرة في الآية التي تعقبها﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿104﴾ ﴾ .يقول الزمخشري:"...فإن قلت(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ)في أي محلّ هو؟قلت:الأوجه أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضلّ سعيهم لأنه جواب عن السؤال."[367]

وصفوة القول إن العلاقة:سؤال/جواب،ذات فعالية ديناميكية تعمل على تحقيق استمرارية الدلالة في النص،و تندرج ضمن الوسائل التي تسعى إلى تحقيق الترابط المفهومي أو الانسجام في النص،حيث إن المسافة ما بين السؤال و جوابه قد تكون كبيرة،و بالتالي تكثر حزم الجمل التي تدخل في دائرة دلالية واحدة بفضل هذه العلاقة الدلالية.

[367]-الكشاف-ج 02–ص500

2-3-علاقة التعليل:

وهي من أهم علاقات الانسجام النصي،حيث تعنى بالربط المعنوي،و تتداخل في حقيقتها مع العلاقة السببية،وتكمن فائدتها في التقرير و الإبلاغ"فإن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة،بخلاف غيرها،و غالب التعليل في القرآن الكريم فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى،و هو سؤال عن العلة"[368]،و قد توظف حروف و أدوات تدل عليه مثل:اللام،و إن،وأن،وإذ،و الباء،و كي،و من،و لعل،و قد سمّاها (جميل عبد المجيد)ب"التعليل الشدي"،و مردّ ذلك في نظره أنها لا تبسط علة حقيقية،بل تقدم علة تخيلية،و يحدث ذلك في الغالب في فن الشعر[369].

قال الله عزّوجلّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴿1﴾﴾فكأن السامع لهذه الآية يسأل: لم أنزل الله على عبده الكتاب؟و لمّا كان التعليل جواب سؤال ضمني عن علة الأمر،فقد جاءت الآية الثانية تعليلا للأولى في قول الله سبحانه و تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴿2﴾مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿3﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿4﴾﴾فالآيات مترابطة ترابط علة،الأمر الذي حقّق الاستمرارية الدلالية بينها،إلى جانب لام التعليل التي دعّمت الانسجام بصنعها للتماسك على مستوى سطح النص الظاهر." متعلق بأنزل و اللام للتعليل."[370].

[368]-الزركشي-البرهان في علوم القرآن-ج 03–ص104

[369]-ينظـــر : -البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية-ص166

[370]-الألوسي-روح المعاني-مج08 –ج(14-15) –ص4168

وقال الحق سبحانه و تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿6﴾ ﴾ففي هذه الآية جملتان مترابطتان برباط التعليل،حيث إن عدم إيمان القوم جعل الرسول-صلى الله عليه وسلم-يحزن ويهلك نفسه أسفا"و قرئ"أن لم يؤمنوا"بفتح همزة أن على تقدير الجار أي لأن،و هو متعلق بباخع على أنه علة له."[371].

و في قصة أصحاب الكهف يقول الحق سبحانه: ﴿ . . . إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾ ﴾ و هي تتضمن تعليلا للأمر و النهي الوارد في الآية السابقة عليها،إذ يقول الله عزّوجلّ: ﴿ . . . فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ ﴾،فالرابط بين الآيتين هو التعليل و هو هنا"جواب سؤال عن علة الأمر و النهي الوارد في الآيات خاصة الأمر بالتلطف،فكأن السامع سأل فقال:لماذا التلطف؟"[372]

و في قوله عزّوجلّ: ﴿ . . .إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿13﴾ ﴾ناحية بلاغية و هي الالتفات الذي يسهم إسهاما فعّالا و مباشرا في التعليل للوصف بالربوبية،و لمقالة الفتية،حيث وقع الالتفات من التكلم إلى الغيبة"و أوثر للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم و لما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكي عنهم"[373] في قول الحق سبحانه: ﴿ . . .فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا

---

[371]-المرجع نفسه-ص4170

[372]- فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص67

[373]-الألوسي-روح المعاني-مج 08-ج(14-15) -ص4186

﴿ 14 ﴾ ،فهذه الناحية البلاغية قد"أسهمت في اتساق النص حيث ربطت بين الجملة(إنهم فتية آمنوا بربهم)و الجمل(فقالوا ربنا رب السموات و الأرض)،(لن ندعو من دونه إلها)و(لقد قلنا إذا شططا)،على ما بين الأولى و هذه الجمل من مسافة ثلاث إلى خمس جمل،فقامت مقام الإحالة بالعودة على السابق البعيد."[374]

و قوله تعالى أيضا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿ 21 ﴾فعلّة الإعثار على أصحاب الكهف تكمن في العلم بحقيقة و يقينية البعث بعد الموت،و أن الساعة آتية لا ريب فيها،وسياق الحال يعضد هذا التعليل،فقوم الفتية كانوا في أيامهم مختلفين في "حقيقة البعث،فكان بعضهم يقول:تبعث الأرواح دون الأجساد،و بعضهم يقول:تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف و ليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت"[375]

قال الله عزّوجلّ: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿ 42 ﴾هذه الآية الكريمة تتضمن سؤال علة ضمني،فكأن السامع لها يتساءل:لماذا هذا المصير؟و الإجابة عن هذا التساؤل سابقة في السورة في قول الحق سبحانه: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿ 35 ﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا

---

[374]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص67
[375]-الزمخشري-الكشاف-ج02 –ص477

مُنقَلَبًا ﴿36﴾ ﴾ .فأنت ترى أن علة عقاب الله عزّوجلّ لصاحب الجنتين أنه اعتزّ بماله و قوته و أنكر فضل الله عليه،وهذه العلاقة المنطقية(التعليل)قد صنعت جسرا دلاليا ربط العديد من الآيات(من الآية 35إلى الآية42)،جاء في الكشاف:"...(يا ليتني) تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه و طغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه"[376]

و قال الحق سبحانه: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿56﴾ ﴾ ،فعلة إرسال المرسلين هي التبشير و الإنذار.

وفي قصة موسى عليه السلام و الخضر الرجل الصالح عليه السلام ذكر الله عزّوجلّ الأحداث(خرق السفينة)في قوله: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿71﴾ ﴾وذكر (قتل الغلام)في قوله سبحانه: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿74﴾ ﴾و(إقامة الجدار)في قوله عزّوجلّ: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿77﴾ ﴾ ،ثم وردت العلل التي تؤوّل تلك الأحداث،و تعلّم سيدنا موسى عليه السلام العلم الباطن اللدنيّ،حيث يقول الله عزّوجلّ على لسان الرجل الصالح عليه السلام: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي

---

[376]-المرجع نفسه-ج02 –ص485

الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿79﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿80﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿81﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿82﴾ ﴾ .إن غياب أو تأجيل العلل أضفى على القصة القرآنية تشويقا وأفق انتظار،كما أنه مع ذكرها في نهاية القصة بدت كتلة واحدة منسجمة انسجاما دلاليا،لأن لها علاقة وثيقة بالبنية النصية الكبرى للقصة.

وفي قصة(ذي القرنين)يقول الله عزّوجلّ: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿97﴾ ﴾وعلة ذلك متضمنة في الآيات السابقة التي تصوّر الإعداد المحكم لبناء السد﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿96﴾ ﴾

وفي خاتمة السورة يبيّن الله عزّوجلّ عاقبة المؤمنين و الكافرين في قوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿105﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿106﴾ ﴾،فما علة إحباط أعمالهم و أن الله لا يقيم لهم يوم القيامة وزنا؟علة ذلك أنهم كفروا

بآيات ربهم.في حين يقول الله سبحانه و تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿107﴾ ﴾،و لا ينال هذا الجزاء إلا المؤمنون الذين يعملون الصالحات.

2-4-علاقة التدرج:

وهي من العلاقات الدلالية التي تبني انسجام النص و ترابط أجزائه،و يقصد بها"تدرج الانتقال في النص من مستوى إلى مستوى آخر أو مرتبة أعلى و العكس،أو تدرج المعنى الدلالي للجمل داخل فضاء النص من حال إلى حال أو من زمن أو مكان إلى زمن أو مكان آخر،و لا شك فالتدرج يؤدي إلى التماسك الدلالي في النص."[377]

قال الله عزّوجلّ: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطًا ﴿14﴾ ﴾،فقد أشار الفتية إلى توحيد الربوبية في الجملة الأولى ﴿..فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. ﴾و إلى توحيد الألوهية في الجملة الثانية﴿ ... لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا .. ﴾و هما أمران متمايزان،يقول الألوسي:"و قد يقال:إنهم أشاروا بالجملة الأولى إلى توحيد الربوبية،و بالجملة الثانية إلى توحيد الألوهية و هما أمران متغايران و عبدة الأوثان لا يقولون بهذا،و يقولون بالأول ﴿ **و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقُولنّ الله**﴿25﴾ ﴾**(سورة لقمان)**،و حكى عنهم سبحانه أنهم يقولون ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله**﴿03﴾ ﴾**(سورة الزمر)**و صحّ أنهم يقولون أيضا:لبيك لا شريك لك،إلا شريكا هو لك تملكه و ما

---

[377]- عادل منّاع-نحو النص(اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية)-ص277

ملك،وجاءوا بالجملة الأولى مع أن ظاهر القصة كونهم بصدد ما تشير إليه الجملة الثانية من توحيد الألوهية،لأن الظاهر أن قومهم إنما أشركوا فيها و هم إنما دعوا لذلك الإشراك دلالة على على كمال الإيمان،و ابتدأوا بما يشير إلى توحيد الربوبية،لأنه أول مراتب التوحيد،و التوحيد الذي أقرت به الأرواح في عالم الذر يوم **قال لها سبحانه** ﴿ **ألست بربكم**﴾ ﴿ 172 ﴾ ؟**(سورة الأعراف)** .و في ذكر ذلك أولا و ذكر الآخر بعده تدرج في المخالفة،فإن توحيد الربوبية يشير إلى توحيدالألوهية بناء على أن اختصاص الربوبية عزّوجلّ علة لاختصاص الألوهية و استحقاق المعبودية به سبحانه و تعالى."[378]

-**قال الحق سبحانه و تعالى:** ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ ﴿ 21 ﴾ **ففي قوله عزّوجلّ** ﴿ . . .أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ. . . . ﴾ **تعميمٌ و في قوله:** ﴿ . . . أَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا . . . ﴾ **تخصيصٌ**،فالتدرج حصل بالانتقال من رتبة العام إلى رتبة الخاص،"...إن الظاهر أن يفسر **قوله تعالى:** ﴿ . . .أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ. . . . ﴾ بأنّ كلّ ما وعده سبحانه متحقق و يجعل **قوله تعالى:** ﴿ . . . أَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا . . . ﴾ تخصيصا بعد تعميم على معنى لا ريب في تحققها و هو وجه في الآية"[379]

[378]- الألــوسي-روح المعاني-مج08 –ج(14-15)-ص4187
[379]-المرجع نفسه-ص4204

قال الله عزّوجلّ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿35﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿36﴾﴾ففي هذه الآية تدرج في بيان درجة كفر صاحب الجنتين بنعمة الله ،و جحوده،فبدأ بإنكاره لزوال النعمة،ثم انتقل بعد ذلك إلى إنكار الساعة،ثم يقول بأنه حتى و إن ردّ إلى ربه فإنه سيجد نفس المصير.

و قال تعالى أيضا: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿37﴾﴾فقد وقع التدرج في عرض خلق الله عزّ و جلّ للإنسان،و كفر صاحب الجنتين بذلك،حيث أنكر خلق الله له من تراب في الدرجة الأولى،ثم من نطفة في الدرجة الثانية،ثم بعد أن استوى رجلا في الدرجة الثالثة.

وفي قصة(ذي القرنين)وردت علاقة التدرج في قول الحق سبحانه و تعالى: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿97﴾﴾فالصعود على السدّ أخفّ و أسهل من نقبه،فقدوقع التدرج من الأيسر إلى الأصعب،و حذف التاء في الجملة الأولى ناسب اليسر،و ذكرها في الجملة الثانية ناسب الصعوبة"قال:(فما اسطاعوا أن يظهروه)أي:يصعدوا عليه،فحذف التاء،و الأصل:(استطاعوا)،ثم قال:(و ما استطاعوا له نقبا)بإبقاء التاء،و ذلك أنه لّما كان صعود السد الذي هو سبيكة من قطع الحديد و النحاس أيسر من نقبه و أخف

عملا،خفّف الفعل للعمل الخفيف،فحذف التاء،فقال:(فما اسطاعوا أن يظهروه)،و طوّل الفعل فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل فقال:(و ما استطاعوا له نقبا)فحذف التاء في الصعود،و جاء بها في النقب."[380]

2-5-علاقة التأكيـــــــــد:

والتأكيد نوع من أنواع الفصل بين الجمل،و قد أشار عبد القاهر الجرجاني(ت)إلى مواضع الفصل بين الجمل"أو عدم الإتيان بحرف عطف،و ذلك إذا كانت الجملة مؤكّدة للتي قبلها مثل **قوله تعالى:** ﴿**ذلك الكتاب لا ريب فيه**﴿02﴾﴾(**سورة البقرة**)"[381].و يمثل (عادل منّاع)لهذه العلاقة بالآية القرآنية الكريمة حيث **يقول الله عزّوجلّ:** ﴿**ألا حين يستغشون ثيابهم......إنه عليم بذات الصدور**﴿05﴾﴾(سورة)"فجملة(**يعلم ما يسرون و ما يعلنون**)إنما هي تأكيد لها دليل على أنهم مهما بالغوا في الاستخفاء فإن الله يعلم ما يسرونه و ما يعلنونه والجملة(إنه عليم بذات الصدور)منفصلة عن الجملة التي قبلها جملة(يعلم...)،و إنما هي توكيد لها على قصْر العلم على ذات الله وحده،و ربطت(حين)بين الجمل و هو ربط شكلي."[382]

قال الله عزّوجلّ: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا** ﴿16﴾﴾(**سورة الكهف**)فالجملة الاعتراضية(**وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**)بين إذ و جوابه(**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ**)تربط عن طريق التأكيد بين إذ و جوابه"...و وجْه الاعتراض على ما في الكشف أن **قوله تعالى**﴿**وَإِذِ**

[380]-فاضل السامرائي-التعبير القرآني-دار عمار-عمان-الأردن-ط 06- 2009-ص(77-78)
[381]-عبد القاهر الجرجاني-دلائل الإعجاز-تح:محمود محمد شاكر-ص224
[382]-عادل مناع-نحـو النـص-ص237

اعْتَزَلْتُمُوهُمْ. . ﴾فأووا معناه:و إذا اجتنبتم عنهم و عما يعبدون فأخلصوا له العبادة في موضع تتمكنون منه،فدلّ الاعتراض على أنهم كانوا صادقين و أنهم أقاموا بما وصى به بعضهم بعضا،فهو يؤكّد مضمون الجملة."[383]

وقال الحق سبحانه: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿14﴾ ﴾فبين الجملتين:(فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)و(لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا)علاقة منطقية بيّنة"فالجملة الأولى لكونها مشيرة إلى توحيد الربوبية،فهي أيضا مشيرة إلى توحيد الألوهية،قيل إن في الجملة الثانية تأكيدا لها،لأنه توحيد ذكر بعد توحيد"[384].

وقال الله عزّوجلّ: ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿31﴾ ﴾فكل هذه الجمل التي تضمنتها الآية،تأكيدٌ بأن الله عزّوجلّ لا يضيع أجر المحسنين،و بيان هذا الأمر في الآ ية السابقة حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿30﴾ ﴾وجاء في الكشّاف:"(أولئك)خبر إن و(إنّا لا نضيع) اعتراض،و لك أن تجعل(إنا لانضيع،و،أولئك)خبرين معا أو تجعل(أولئك) كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم"[385]

---

[383] - الألــوسي-روح المعاني-مج08 –ج(14-15)-ص4189
[384]-فريــد عوض حيــدر-اتســاق النص في سورة الكهـــف-ص69
[385]-الزمخشـــري-ج02 –ص483

قال الله تعالى في بداية قصة صاحب الجنتين: ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿33﴾ ﴾فالجملة الثانية (ولم تظلم منه شيئًا)في هذه الآية ،وردت كتأكيد لمضمون الجملة الأولى (كلتا الجنتين آتت أكلها)و هذا ما عزّز الربط المعنوي بينهما،أما الجملة الثالثة فتوسّع في وصف ما بين الجنتين "(و لم تظلم منه)أي لم تنقص من أكلها(شيئًا)من النقص على خلاف ما يعهد في سائر البساتين،فإن البساتين غالبا تكثر في عام و تقل في عام."[386]

و في قوله سبحانه و تعالى: ﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿38﴾ ﴾جملتان انسجمتا بفعل رابط منطقي هو التوكيد حيث في الأولى إقرارٌ بالربوبية،و في الثانية تأكيدٌ لوحدانية الله عزّوجلّ،كلّ ذلك في مقابل صاحب الجنتين."...هذا وقوله(و لا أشرك بربي أحدًا)عطف على إحدى الجملتين،و الاستدراك على(أكفرت)وملخص المعنى لمكان الاستفهام الذي هو للتقرير على سبيل الإنكار،أنت كافر بالله تعالى لكنّي مؤمن موحدٌ"[387].

و قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿42﴾ ﴾ففي جملة القول(يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدً)تأكيدٌ على حجم الندم الذي

---

[386] - الألـوسي-روح المعاني-مج08 –ج(14-15)-ص4251

[387] -المرجع نفسه-ص4256

أصاب صاحب الجنتين،و قد عبّرت عنه الجملة السابقة عليه بالكناية التي تجسّد هيئته بعدما أحيط بثمره(فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) .

وفي قوله تعالى على صاحب الجنتين: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿ 43 ﴾ ﴾فالجملة الثانية(وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا)تؤكّد عدم انتصاره في نفسه بعدما قرّرت الجملة الأولى عدم قدرته على الانتصار باللجوء إلى فئة من دون الله ،فالله وحده القادر على نصرته"...و حاصله لا يقدرون على نصره إلا الله تعالى القدير،و(ماكان)في نفسه(منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه"[388]

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ 54 ﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿ 55 ﴾ ﴾فالآية الثانية تبيّن جانبا من جدل الإنسان،فهي مؤكّدةٌ لقوله عزّوجلّ: ﴿ . . وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ 54 ﴾ ﴾

وفي قصة سيّدنا موسى عليه السلام و الرجل الصالح(الخضر)عليه السلام يقول الحقّ سبحانه و تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿ 67 ﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿ 68 ﴾ ﴾فالآية الثانية تأكيد لمضمون الآية الأولى،و هو إقرار الرجل الصالح(الخضر) بعدم استطاعة موسى عليه السلام الصبر على ما لم يحط به

[388]- الألــوسي-روح المعاني-مج08 –ج(14-15)-ص4263

خبرًا،و يستمر التأكيد على هذا الأمر في **قول الله عزّوجلّ** على لسان الخضر عليه السلام: ﴿ **قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا** ﴿70﴾ ﴾ثمّ في تكرار الإقرار في الآيات(72)و(75)و(78).

وفي قصة ذي القرنين **يقول الحقّ** سبحانه و تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴿84﴾ ﴾فالجملة الثانية في هذه الآية(**وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**)تؤكّد مضمون الجملة الأولى(**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ**)"لأن الإيتاء المذكور تمكين"[389].

وقوله تعالى أيضا: ﴿ . . .**وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** ﴿98﴾ ﴾،". . .و هذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية و تأكيدٌ لمضمونها و هو آخر ما حكى من قصته"[390] وفي ختام السورة **يقول الله عزّوجلّ**: ﴿**ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا** ﴿106﴾ ﴾و هي تأكيدٌ لمضمون الآية(102)التي يقول فيها **الحقّ** سبحانه: ﴿ **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا** ﴿102﴾ ﴾و قد ساهم التكرار اللفظي للفظة(جهنم) في تعزيز هذا التأكيد و هو مصير الكافرين و هو ملائم لختام السورة.

6-2-علاقة السببية:

[389]- فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص113

[390]- الألوسي-روح المعاني-مج09 –ج(16-17)-ص4387

وهي علاقة تُعنى بالربط المنطقي بين المعاني و المفاهيم"و يقتضي سياق المتكلم أن يلجأ -أحيانا-إلى هذه العلاقات لتكون معينا له على بيان سبب وقوع الحدث"[391]و يضيف (ابن يعيش):"فلا بدّ من مفعول له،سواء ذكرته أو لم تذكره،إذ العاقل لا يفعل فعلا إلّا لغرض أو علة"[392].

و يورد(تمام حسان) الآية الكريمة الآتية كمثال لعلاقة السببيةنو هي قول الحق سبحانه و تعالى:و لو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم إن الله على كل شيء قدير "..أي لأن الله على كل شيء قدير فالذهاب بالسمع والأبصار لا يتحقق إلا مع القدرة على ذلك."[393].و يرى الدكتور(عادل منّا ع) بأن هذه العلاقة(السببية) هي الأساس المعوّل عليه -خاصة في الخطاب السردي-في تحقيق التماسك و الانسجام،يقول:"و الربط السببي-و الروابط الدلالية جميعا-تقوم مقام الإحالة على السابق البعيد و أرى أن تماسك النص السردي و انسجامه-كما يُرى في القصص القرآن الكريم-يتوقف على الترابطات السببية داخل جمل النص،فتُذكر قضية في النص ثم يُذكر بعدها الشيء المتسبب فيها فتكون علاقة السببية هي الرابطة بين هذين المعنيين(القضية-سببها)."[394]

قال الله عزّوجلّ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴿1﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿2﴾ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿3﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿4﴾ ﴾ ،فإنزال الله للكتاب سبب يوجب حمده،و سببٌ في إنذار الرسول صلى الله عليه وسلّم للذين قالوا اتخذ الله ولدا،و سببٌ في تبشير الرسول صلى الله عليه و سلّم المؤمنين بأن لهم أجرا حسنا.

---

[391]-مصطفى حميدة-نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية-لونجمان-القاهرة-مصر-ط 01- 1997-ص(176-177)
[392]-ابن يعيش-شرح المفصل-مكتبة المتنبي-القاهرة-مصر-ج02 -ص53
[393]-البيان في روائع القرآن-ج01 -ص174
[394]-نحو النص(اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية)-ص255

و قال الحقّ سبحانه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿6﴾ ﴾والمعنى المقصود من(باخعٌ نفسك)هو مهلكٌ نفسك،و كلمة أسفا راجعةٌ إلى هذه الجملة،و قد تأخرت عنها لحفظ الوزن،وهي بمعنى حزنا أو غضبا أو غمّا.و المعنى العام للآية هو:فلعلك مهلكٌ نفسك من الحزن و الغم بسبب عدم إيمانهم بكلام الله عزّوجلّ،فانظر كيف أحكمت العلاقة السببية بين الجملتين المكوّنتين للآية الكريمة.

ثمّ انظر لقول الله عزّوجلّ في الآية السابعة: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿7﴾ ﴾فالله سبحانه وتعالى قد جعل ما على الأرض من الزينة(السبب) ليبلو الناس أيّهم أحسن عملا(النتيجة) "و ينطوي في جملة (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) تقرير كون الله عزّوجلّ قد أودع في الناس قابلية الاختيار و الكسب وبيّن لهم طريق الخير و العمل الحسن و العكس،و حمّلهم مسؤولية اختيارهم و أعمالهم."[395]

و في قصة أصحاب الكهف،يقول الحقّ سبحانه: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿10﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿11﴾ ﴾فالضرب على آذان أصحاب الكهف في الجملة (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) نتيجة لدعائهم في الجملتين:(رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ج(03))و(وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ج(04)) .بل إن الربط السببي قد امتدّ لأكثر من

[395]-محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-ج 06–ص08

ذلك"...فإن الضرب المذكور يترتب عليه من التقليب ذات اليمين و ذات الشمال،و البعث و غير ذلك من آثار استجابة دعائهم السابق."[396]

وعليه"فالربط قد امتدّ بين السبب(الدعاء في الجملتين: (رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ج(03))و(وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ج(04))و الجمل:(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ج(05) -وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ج(30)- وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا ج(33))بمسافة جملة واحدة للجملة رقم(05)،و(25)جملة للجملة رقم(30)،و(28)جملة للجملة رقم(33)،و هذه الروابط السببية جميعها تقوم مقام الإحالة على السابق البعيد."[397]

و قال الله تعالى في نفس القصة: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَدًا ﴿20﴾ ﴾فإن عدم فلاحهم الأبدي نتيجة لسبب يكمن في:إعادتهم إلى ملة قومهم الكافرين.يقول شهاب الدين الألوسي:" ﴿ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَدًا ﴾أي إن دخلتم فيها حقيقة و لو بالكره أو الإلجاء لن تفوزوا بخير لا في الدنيا ولا في الآخرة،و وجه الارتباط على هذا أن الإكراه على الكفر قد يكون سببا لاستدراج الشيطان إلى استحسانه والاستمرار عليه"[398] و جاء في الكشّاف:" ﴿ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَدًا ﴾إذ دخلتم في

[396]-الألوسي-روح المعاني-مج08 –ج(14-15) –ص4179
[397]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص70
[398]-روح المعاني- مج08 –ج(14-15) –ص4202

دينهم"[399]. . .و يستدل من استخدام الشرط في كلام الألوسي و استخدام (إذ) في كلام الزمخشري أن الجملة(لن تفلحوا إذا أبدا)تعليلٌ لسابقتها،و أن ما قبلها سببٌ لحدوث ما فيها.

و في قصة صاحب الجنتين يقول الحقّ سبحانه: ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿40﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿41﴾ ﴾بالإضافة إلى الموقف الإنكاري الجاحد الذي اتخذه صاحب الجنتين إزاء نعمة الله عزّوجلّ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿35﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿36﴾ ﴾ .كلّ ذلك كان سببا في تسليط العقوبة عليه من قبل الله عزّوجلّ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿42﴾ ﴾،يقول (أبو حيان الأندلسي في قوله تعالى: ﴿أَوْيُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا ﴾ أي: "لا تستطيع طلب غيره بدلا منه،و بلّغ الله المؤمن ما ترجاه من هلاك ما بيد صاحبه الكافر وإبادته على خلاف ما ظن في قوله﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿35﴾ ﴾فأخبره تعالى أنه﴿ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾و هو عبارة عن الإهلاك."[400]

---

[399]-الزمخشري-ج02 –ص477

[400]-أبو حيان الأندلسي الغرناطي-البحر المحيط في التفسير-ج07 –ص181

و قال الحقّ سبحانه و تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿49﴾ ﴾فترى المجرمين مشفقين خائفين،و قولهم:يا ويلتنا...كلّ ذلك نتيجة تسبب فيها وضع كتاب أعمالهم يوم القيامة،"...و قد جاءت هذه الآيات منذرة بالقيامة و هولها،و كيف يجاء بهم مجردين مما كانوا يتفاخرون به و كيف يعرضون على النار ويواجهون بكتب أعمالهم التي أحصت كل شيء عليهم."[401]

و قال الله عزّوجلّ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿57﴾ ﴾فقد جعل الله سبحانه و تعالى على قلوب الظالمين أكنّة أن يفقهوا آياته و في آذانهم وقرا،بسبب أنهم يُذكرون بآيات الله فيعرضون عنها وينسون ما قدمت أيديهم.

و قال الله تعالى أيضا: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿59﴾ ﴾،و في هذه الآية حديث عن شأن الأمم السابقة(التي يتوجب أن نعتبر منها)فقد ظلمت و انحرفت فأهلكها الله بسبب ما اقترفته،و في الموعد الذي عيّنه لها،فقد وقع_بفعل هذه العلاقة (السببية)_ ترابط وانسجام بين الجمل الثلاث داخل الآية الكريمة.

[401] -محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-ج 06–ص26

و في قصة موسى عليه السلام و فتاه يقول الحقّ سبحانه و تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿63﴾ ﴾ففي هذه الآية الكريمة تقريرٌ بأن سبب نسيان الفتى الحوت،إنما هو من عمل الشيطان،و قد جاءت الهاء مضمومة في "أنسانيهُ"على لغة أهل الحجاز و هو ما يؤكّد سبب النسيان العجيب.."و الظاهر من سياق الآيات أنه(أي الحوت)كان مشويا بدليل قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام،مخاطبا فتاه: ﴿ ..آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿62﴾ ﴾فهذا يدلّ على أن الحوت كان جاهزا لأن يؤكل،غير أن الحوت المملّح المشويّ المأكول منه،سرت فيه الحياة و اتخذ سبيله في البحر،و الفتى ينظر إليه،و كان عند جريه ينعقد فوقه الماء فيكون كالنفق و الحوت يجري في داخله(....)و هذا المشهد لا ينسى على مرّ الأزمان،فكيف يُنسى بعد لحظات،فإن هذا من أقوى مواطن النسيان و أغربها وأعجبها،فعدل في التعبير من الكسر إلى أقوى الحركات و هي الضمّة للإشارة إلى ندرة مثل هذا النسيان وقوّته،فناسب بين قوة النسيان و قوة التعبير،و ندرة مثل هذا النسيان و ندرة مثل هذا التعبير."[402]وجاء في (روح المعاني):"و ضمّ حفصٌ الهاء في (أنسانيهُ)و هو قليل في مثل هذا التركيب قلة النسيان في مثل هذه الواقعة...و في إيثار أن و الفعل على المصدر نوع مبالغة لا تخفى."[403]

[402] -فاضل السامرائي-بلاغة الكلمة في التعبير القرآني-دار عمار-عمان-الأردن-ط 05- 2008-ص(117-118)
[403] -الألوسي-روح المعاني- مج08 –ج(14-15) –ص(4301-4302)

و قال الله تعالى في ختام السورة: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿102﴾ ﴾،فجملة (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا)هي نتيجة اتخاذ الكفّار عباد الله أولياء من دونه عزّوجلّ،فالعلاقة السببية هي التي جعلت الجمل متراصّة و منسجمة.

2-7-العلاقة بين الكلام في الحوار:

وهي التي تشخّص الانسجام الحاصل بين طرفي الحوار أو المتحاورين،حيث إن الحوار يتجلى في غالب الأحيان متّسقا ومنسجما،فالفهم هو الذي يحرّك الحوار ويعطيه استمراريته،ولا يكون الفهم إلا إذا كانت العلاقة بين الكلام في الحوار تحكمها ضوابط الاتساق والانسجام،"و هي علاقة قريبة من العلاقة بين السؤال و الجواب،بل هي أعمّ منها،فالحوار قد يحتوي على السؤال و الجواب."[404] و قد وقعت هذه العلاقة في قصة أصحاب الكهف على النحو الآتي:

أ–حوار دار بين الفتية حين بعثهم الله عزّوجلّ و أيقظهم،حيث يقول الحقّ سبحانه و تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾ ﴾فقد شاء الله تعالى أن يستيقظ أصحاب الكهف،فأخذوا يتساءلون عن المدة التي قضوها نائمين،و ظنّ أحدهم أنّها يوم أو بعض يوم لأنها أقصى مدة يمكن أن ينامها الإنسان ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ثم أوكلوا ذلك إلى الله العليم القدير ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ

[404] - فريـــد عوض حيـــدر-اتســـاق النص في سورة الكهـــف-ص114

أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ثم أرسلوا أحدهم بعملة فضية إلى المدينة ليجلب لهم الطعام الطيّب و وصّوه بالتحفظ لئلا يكتشف قومهم مخبأهم فيرغموهم على الرجوع إلى دينهم أو يزهقوا أرواحهم رجما...فأنت ترى أن العلاقة بين الكلام في الحوار أظهرت الموضوع و عرضت الأحداث بشكل متسلسل متجانس.

ب-حوارٌ دار بين قومهم لما أعثر الله على أصحاب الكهف:حيث يقول الحقّ سبحانه و تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22﴾﴾فقد شاء الله أن يكشف القومُ أمر الفتية،فهرعوا إلى الكهف ليروا آية الله تعالى فيهم،و يتيقنوا من الحق في وعد الله بالساعة،ثم يأتي حوارهم فيما يفعلونه إزاءهم،و يقرّر أصحاب السلطان أن يبنوا عليهم مسجدا ﴿...قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾﴾و يستمر الحوار في شأن تقدير السامعين للقصة لعدتهم فيقول فريقٌ إنهم ثلاثة رابعهم كلبهم،و يقول فريقٌ آخر إنهم خمسةٌ سادسهم كلبهم و فريقٌ يقول إنهم سبعة و ثامنهم كلبهم﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22﴾﴾و في ختام الحوار "أمرٌ للنبي بتفويض أمر العلم

بهم إلى الله تعالى،و بالقول إنه لا يعلمهم إلا قليل من الناس و بألّا يجادل أو يشك في أمرهم أو يهتم بأمرهم اهتماما كبيرا،و بألا يسأل عنهم أحدا من السامعين ثم الإخبار بأنهم قد لبثوا في كهفهم ثلاثمائة و تسع سنين،و أمرٌ آخر للنبي بأن يقول إن الله هو أعلم بما لبثوا و هو العالم بما خفي من امور السموات و الأرض و هو الشديد السمع و البصر لا شريك له في حكمه و ليس لأحد وليّ حقيقيّ دونه"[405].

و في قصة صاحب الجنتين ساهم الحوار في بناء أحداث القصة و عرضها،حيث يقول الله تعالى:

﴿ . . .فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿34﴾ ﴾ثم ردّ عليه و هو ظالم لنفسه ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿35﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿36﴾ ﴾ثم تستمر أحداث القصة من خلال حوار الرجل المؤمن﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿37﴾ ﴾ثم يعقبه بالدعاء عليه﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿40﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿41﴾ ﴾ . . ."ثم لم يلبث أن حلّ بلاء الله في الجنة و رأى الكافر مصداق إنذار المؤمن فأظهر الحسرة على ماله الذي ذهب هباء و الندم على ما بدا منه في جانب الله و إشراكه معه الشركاء،و لكن ذلك لم يغنه فلم يستطع أحدٌ أن ينصره في موقفه من الله تعالى و جاءت الآية الأخيرة لتنبّه على أن في مثل هذه المواقف يظهر البرهان الساطع على أن النصر الحق هو نصر الله و أن ما عنده هو الأفضل ثوابا و عاقبة."[406]

---

[405]-محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-ج 06–ص11
[406]-المرجع نفســـه-ص22

وقد شغلت علاقة الكلام في الحوار مساحة كبيرة في قصة موسى عليه السلام و الرجل الصالح،حيث بدأ الحوار ما بين سيدنا موسى عليه السلام و فتاه.يقول الحق سبحانه و تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿60﴾ ﴾ثم طالب فتاه بالغذاء بعدما تمكّن منهما التعب ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿62﴾ ﴾لكنّ الفتى يردّ عليه و يقول بأنه نسي الغذاء و هو الحوت الذي تزوّده سيدنا موسى و فتاه،و هما يبحثان عن الرجل الصالح"فقد أمر الله موسى أن يتزوّد حوتا مالحا،فحيث يفقده،فهناك يجد الرجل"[407]،و هذا الحوت على ما جاء في صحيح مسلم حوت مملّح[408] .و جاء في (فتح القدير):" ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾أي:قال فتى موسى لموسى،و معنى الاستفهام،تعجبٌ لموسى ممّا وقع له من النسيان هناك مع كون ذلك الأمر مما لا ينسى لأنه قد شاهد أمرا عظيما من قدرة الله الباهرة...و التقدير:أرأيت ما دهاني أو نابني في ذلك الوقت و المكان... ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾و موضع العجب أن يحيا حوت قد مات و أُكل شقه ثم يثب إلى البحر و يبقى أثر جريته في الماء،لا يمحو أثرها جريان الماء"[409].ثم قال موسى عليه السلام لفتاه﴿ .ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿64﴾ ﴾و جاء في (روح المعاني):" ﴿ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾أي الذي كنّا نطلبه من حيث إنه أمارة للفوز بما هو المطلوب بالذات"[410].و في ورود كلمة نبغ بحذف الياء يقول فاضل صالح السامرائي:"و نسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة،و

---

[407]-فاضل السامرائي-بلاغة الكلمة في التعبير القرآني-ص117

[408]-ينظر:صحيح مسلم-مكتبة و مطبعة محمد علي صبيح و أولاده-القاهرة-مصر-ج07 –ص105

[409]-محمد بن علي الشوكاني-فتح القدير-مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده-مصر-1349ه -ج 03–ص288

[410]-الألوسي- مج08 –ج(14-15) –ص4302

إنما يبغي الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه(...)فلمّا كان ما في سورة الكهف ليس هو ما يبغون حذف من الحدث إشارة إلى عدم إرادة هذا الحدث على وجه التمام،و إنما هو علامة على الموضع الذي يجدون فيه بغيتهم(=الرجل الصالح)"[411]

ثم تنتقل أحداث القصة بانتقال الحوار من موسى و فتاه إلى موسى و الرجل الصالح،حيث يبدأ سيدنا موسى عليه السلام بمحاورة الرجل الصالح﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿66﴾** ﴾فيرد عليه الرجل الصالح﴿ **قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿67﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿68﴾** ﴾و يكشف استمرار الحوار على إلحاح موسى عليه السلام-في تأدب-في طلب العلم من الرجل الصالح الذي يقول فيه الحق سبحانه: ﴿ **فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿65﴾** ﴾ثم تتعالق أحداث القصة القرآنية برباط العلاقات الحوارية ما بين موسى عليه السلام و الرجل الصالح "ونحن في صدد القصص القرآنية عامة على اعتقاد أنها أوردت لتدعيم الدعوة النبوية و من أجل ما احتوته من مواضع العبرة و الموعظة والتمثيل و التذكير(...)و قد نبّه بعض المفسرين على مواضع كثيرة من عبرها و مواعظها وتلقيناتها.وقد أورد المفسّر القاسمي طائفة من ذلك نقلا عن مصادر عديدة:منها استحباب الرحلة في طلب العلم وتجشّم المشاق في ذلك،و استزادة العالم من العلم،و تواضع المتعلّم لمن يتعلم منه و لو كان دونه في المرتبة،و التحذير من عجب المرء بعلمه..."[412].

---

[411] -بلاغة الكلمة في التعبير القرآني-ص24

[412] -محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-ج 06—ص(37-38)

أمّا في قصة ذي القرنين فقد ورد الحوار في موضعين[413]:

أ-في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿86﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿87﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿88﴾ ﴾،فقد جعل الله له الخيرة في شأهم"و الذي عليه الجمهور أنّهم كانوا كفّارا فخيّره الله تعالى بين أن يعذّهم بالقتل و أن يدعوهم إلى الإيمان،وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ ﴾بالقتل من أول الأمر﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾أي أمرا ذا حسن على حذف المضاف(...)و اختار ذو القرنين الشقّ الأخير من شقي التخيير حسبما أرشد إليه."[414]

ب-الحوار بين ذي القرنين و القوم بين السدين:حيث يقول الحقّ سبحانه و تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿94﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿96﴾ ﴾ . ."و في الحوار سؤالٌ منهم و جوابٌ بالرفض

---

[413]-ينظـــر: فريد عوض حيـــدر-اتســاق النص في ســورة الكهــف-ص(114-115)

[414] -الألوسي-روح المعاني- مج09 –ج(16-17) –ص(4376-4377)

من ذي القرنين لما عرضوا عليه من خرج،و تكليفٌ منه بأن يعينوه بقوة،و توجيهٌ منه لهم بكيفية استخدام هذه القوة في البناء"[415].

8-2-العلاقة الحجاجية:

وهي علاقة منطقية تقضي باحتواء جملة أو أكثر على حجة أو سلسلة من الحجج،تعقبها جملة أو أكثر تتضمن نتيجة أو مجموعة من النتائج،وبالتالي يحصل الانسجام بين جملتين أو أكثر،فالغاية هي التأثير العقلي واستمالة الوجدان أيضا. و يقدم " بيرلمان"(Chaïm perelman) بطاقة تعريفية لنظرية الحجاج من خلال تحديد موضوعها بقوله:" موضوع نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية الهادفة إلى حث النفوس على التسليم بالأطروحات المعروضة عليها، أو تقوية ذلك التسليم، كما تفحص أيضا الشروط التي تسمح بانطلاق الحجاج و نموه، و كذا الآثار المترتبة عنه"[416].

فالحجاج بهذا المعنى هو عملية اتصالية قوامها الحجة المنطقية و غايتها إقـــناع الآخر و التأثير في حياته السلوكية. و يعتبر هذا التحديد امتدادا لمفهوم الخطابية (الريطورية) عند (أرسطو) الذي يعرفها بقوله:" الريطورية قوة تتكلف الإقناع في كل واحد من الأمور المفردة[417].يقول الحق سبحانه وتعالى في بداية قصة أصحاب الكهف في السورة الكريمة: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿9﴾ ﴾

وقد سبقت هذه الأية آيات المقدمة التي تضمنت بعض الآيات الكلية التي تجعل نبأ أصحاب الكهف آية من الآيات العجيبة التي تدل على قدرة الله عزّ وجلّ،وهي ليست معيارا لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم،كل ذلك بدليل أن الآية بدأت بـــــــــــــــ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾يقول الزمخشري:"...ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق

---

[415]- فريد عوض حيـــدر-اتســاق النص في ســورة الكهــف-ص115
[416]- محمد العمري-البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول-ص27
[417]-أرسطو-الخطابة-تح:عبد الرحمن بدوي-وزارة الثقافة- 1959-ص09

فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن،ثم قال﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة."[418].ويقول شهاب الدين الألوسي:"...والمعنى أن قصتهم(أصحاب الكهف) وإن كانت خارقة للعادة ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات التي من جملتها ما تقدم،ومن هنا يعلم وجه الربط...وفي الكشف أنه تعالى ذكر من الآيات الكلية وإن كان لتسليته صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينبغي أن يبخع نفسه على آثارهم،فالمسترشد يكفيه أدنى إشارة والزائغ لا تجدي فيه آيات النذارة والبشارة ما يشتمل على أمهات العجائب،وعقبه سبحانه بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾يعني أن ذلك أعظم من هذا فمن لا يتعجب من ذاك لا ينبغي أن يتعجب من هذا."[419] وجاء في البحر المحيط أن"الظاهر في﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم.فقال مجاهد: لم يَنهه عن التعجب وإنما أراد كل آياتنا كذلك.وقال قتادة:لا يُتعجب منها فالعجائب في خلق السماوات و الأرض أكثر.وقال ابن عباس:سألوك عن ذلك ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك،وسائر آيات القرآن أبلغ وأعجب وأدل على صدقك."[420].وتحضرنا بهذا الصدد قراءة المفكر الإسلامي "محمد أركون"الذي يرى بأن سورة الكهف"تستهل بوحدة نصية مؤلفة من ثماني آيات،ولكن لا يمكن اعتبارها بمثابة مقدمة،لماذا؟لأنها تتحدث عن بواعث مختلفة لطالما تكررت في القرآن في مواضع أخرى متعددة.وعلى هذا الصعيد،فإنها تقوّي وحدة النص الكلي للقرآن أكثر مما تتمفصل مع النص الجزئي الذي هو سورتنا(سورة الكهف)."[421]

---

[418]- الزمخشري-الكشّـاف-ج02 –ص473
[419]--روح المعاني- مج08 –ج(14-15) –ص4175
[420] - أبو حيان الأندلسي الغرناطي-البحر المحيط في التفسير-ج07 –ص141
[421]-القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني-ت:هاشم صالح-دار الطليعة-بيروت-لبنان-ط01-2001-ص147

ولعل حجته في ذلك مراعاة التسلسل الزمني،فهذه الآيات تنتمي إلى الفترة المدنية،في حين أن مجمل السورة مُلحق بنهاية الفترة المكية...ويعقّب المترجم على هذه الفكرة بقوله:"نلاحظ أن أركون يفرز سورة الكهف إلى عدة أجزاء متماسكة،وكل جزء يتحدث عن موضوع معين وتربطه بالتالي وحدة معنوية،فالآيات الثماني الأولى تعتبر مقدمة عامة،ولكن لا علاقة لها بقصة أصحاب الكهف."[422]وفي الحقيقة نحن لا نوافق على هذا الرأي،ليس لأننا نؤمن بالعرضة الأخيرة فحسب،بل لأن الحجة التي أقامها المفسرون القدماء حجة مقنعة،ولماذا تبدأ القصة ب"أم حسبت؟"التي تحيل العقل إلى المقارنة وهي الدلالة الحدسية الأولى،والله أعلم.

وقال الله عزّوجلّ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿50﴾ ﴾فقد كان إبليس من الجن وفاسقا عن أمر ربه،فكيف تتخذونه وذريته أولياء من دون الله؟ "...في الآية إشارة خاطفة إلى قصة إبليس وعصيانه لأمر الله بالسجود لآدم،وسؤال استنكاري وتنديدي موجه للكفار لاتخاذهم إيّاه وذريته أولياء من دون الله وهم أعداؤهم الألداء(...)و الإشارة هي أقصر إشارة إلى قصة إبليس في القرآن.والمتبادر أن الآية هي في صدد ما احتواه الشق الثاني من التقريع أكثر منها في صدد القصة.والحجة فيها قوية ملزمة والتقريع لاذع محكم."[423]

وقال الحق سبحانه: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿67﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿68﴾ ﴾ .تعبر الآيتان عن رد سيدنا الخضر -عليه السلام- على طلب سيدنا-موسى عليه السلام-في اتباعه من أجل التعلم منه﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿66﴾ ﴾فردّ عليه

[422]-المرجع نفسه-ص149
[423]-محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-ج 06-ص27

بالنتيجة وهي أنه لا يستطيع معه صبرا،ثم أعقب ذلك ذكر حجة عدم الاستطاعة،وهي أن الإنسان لا يصبر على ما لم يحط به خبرا لعدم امتلاكه العلم الباطن أو العلم اللدني." ﴿ قَالَ ﴾أي الخضر لموسى- عليهما السلام- ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾نفي لأن يصبر معه على أبلغ وجه حيث جيء بأن المفيدة للتأكيد وبلن ونفيها آكد من نفي غيرها،وعدل عن لن تصبر إلى ﴿ لَن تَسْتَطِيعَ ﴾المفيد لنفي الصبر بطريق برهاني،لأن الاستطاعة مما يتوقف عليه الفعل فيلزم من نفيه نفيه،ونكّر﴿ صَبْرًا ﴾في سياق النفي وذلك يفيد العموم أي لا تصبر معي أصلا شيئا من الصبر،وعلّل ذلك بقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾إيذانا بأنه عليه السلام يتولى أمورا خفية المراد منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك أن يشمئز عند مشاهدتها..."[424]

2-9-علاقة المقارنة:

قال الحقّ سبحانه: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴿29﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿30﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿31﴾ ﴾ففي هذه الآيات الكريمة انسجام بيّن حققته علاقة المقارنة بين حال أهل الكفر

---

[424] - الألوسي-روح المعاني- مج08 –ج(14-15) –ص4320

وحال أهل الإيمان،وكذا مصيرهما.ورد في البحر المحيط:"لما ذكر تعالى حال أهل الكفر وما أعدّ لهم في النار ذكر حال أهل الإيمان وما أعدّ لهم في الجنة(...)ولما ذكر مكان أهل الكفر وهو النار.ذكر مكان أهل الإيمان وهي﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ولما ذكر هناك ما يغاثون به وهو الماء كالمهل ذكر هنا ما خصّ به أهل الجنة من كون الأنهار تجري من تحتهم،ثم ذكر ما أنعم عليهم من التحلية واللباس اللذين هما زينة ظاهرة"[425]

ويورد فريد عوض حيدر علاقة مقارنة في قصة ذي القرنين وذلك في قول الله عزّوجلّ: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾ ﴾فيقول:"فهذه مقارنة بأفعل التفضيل(خير الذي أصله أخير وحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال)،والمقارنة هنا بين ما عرض عليه القوم من الجُعل نظير ما اقترحوه عليه من بناء السد،وما أعطاه الله تعالى من التمكين في الأرض والأسباب."[426]

وفي نهاية السورة وصفٌ للكافرين والمؤمنين،ومقارنةٌ بينهما من حيث المصير يوم القيامة،هذه المقارنة التي تمثل الخيط الأساسي الرابط بين الآيات من الآية(102)إلى الآية(108).حيث يقول الحق سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿102﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿103﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿104﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿105﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا

[425] - أبو حيان الأندلسي الغرناطي-البحر المحيط في التفسير-ج07 –ص170
[426] -اتساق النص في سورة الكهف-ص113

وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿ 106 ﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿ 107/18 ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿ 108 ﴾ ﴾ .

10-2-علاقة التقابل:

قال الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿ 37 ﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿ 38 ﴾ ﴾فقد وردت الآيتان منسجمتين عن طريق التقابل الحاصل بين معنى الكفر ومعنى التوحيد،وبالتالي دخلت كل الجمل في دائرة المعنى الواحد المترابط."هذا وقوله: ﴿ وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾عطف على إحدى الجملتين والاستدراك على ﴿أَكَفَرْتَ﴾وملخص المعنى لمكان الاستفهام الذي هو للتقرير على سبيل الإنكار،أنت كافر بالله تعالى لكني مؤمن موحد.وللتغاير الظاهر بين الجملتين وقعت لكن موقعها فقد قالوا:أنها تقع بين كلامين متغايرين...وذكر في الكشف أن فيه إشارة إلى أن الكفر بالله تعالى يقابله الإيمان و التوحيد،فجاز أن يستدرك بكل منهما وبهما معا،أي كما هنا فإن الإيمان مفاد أنا هو الله ربي والتوحيد مفاد﴿ وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾و أنت تعلم أيضا أن الشرك كثيرا ما يطلق على مطلق الكفر."[427]

[427] - الألوسي-روح المعاني- مج08 –ج(14-15) –ص4256

قال الله عزّوجلّ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿50﴾ ﴾فإن المضمون الجوهري في هذه الآية قوامه المقابلة بين تلقي الملائكة لقول الله عزّوجلّ وتلقي إبليس(من الجن)،فأداة الاستثناء"إلا" تتضمن في دلالتها مغايرة.قال الزمخشري:" ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلا قال:ما له لم يسجد؟فقيل:كان من الجن﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه،يعني إنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون."[428]

وفي قصة ذي القرنين يقول الحقّ سبحانه: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿86﴾ ﴾فالجملة الأخيرة في الآية ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾تنسجم مع الجملة التي قبلها ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾بحكم التقابل الحاصل بينهما من حيث المضمون.

وفي القصة نفسها يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿87﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿88﴾ ﴾ .وغني عن البيان أن بين الآيتين انسجام تحقق بفضل علاقة التقابل الحاصلة بين فريقين من الناس من حيث العملُ و المصيرُ.

[428] -الكشّـاف-ج02 –ص487

قال الله عزّوجلّ: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿ 86 ﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿ 87 ﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿ 88 ﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿ 89 ﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿ 90 ﴾ ﴾ .يقول فريد عوض حيدر في هذه الآيات:" قوله تعالى:(بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ)،وقوله تعالى:(بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ)الجملتان متقابلتان،وهذا التقابل الذي بينهما على ما بينهما من مسافة تسع جمل،يجعل الواحدة تستدعي الأخرى وخاصة عند وصول المتلقي للجملة الثانية."[429]

وقال الحقّ سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿ 102 ﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿ 103 ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ 104 ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿ 105 ﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿ 106 ﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿ 107 ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿ 108 ﴾ ﴾.إن التقابل الحاصل بين الأخسرين أعمالا ومصيرهم وحالهم يوم القيامة،والمؤمنون الفائزون ونعيم الفردوس الذي

[429] -فريد عوض حيــدر-اتســاق النص في ســورة الكهــف-ص115

سيخلدون فيه هو عنوان الآيات ونواهّا."لما ذكر تعالى ما أعدّ للكافرين ذكر ما أعدّ للمؤمنين."[430] وجاء في التفسير الحديث:"عبارة الآيات واضحة.وهي تتمة أو استمرار للحملة التي بدئت من آخر الفصل السابق وجعلت قصة ذي القرنين وسيلة لها.وفيها تنديد وتسفيه وإنذار للكافرين المشركين وبيان لمصيرهم الأخروي واستطراد إلى بيان مصير المؤمنين الذين يعملون الصالحات مقابلة لمصير الكافرين جريا على الأسلوب القرآني."[431]

3-انسجـام موضوعـات النص:

تتطلب عملية الإحاطة بموضوع الخطاب تقسيمه إلى سلسلة من الوحدات الصغرى،التي تستقل عن بعضها بعض بموضوعها الخاص،ويتمّ وصف الانتقال في الموضوع عن طريق الاهتداء بنقاط معينة تتموقع بين مقطعين خطابيين متجاورين نستنتج من خلالها أن لهما موضوعين مختلفين استنتاجا حدسيا "ويحاول "براون ويول(1983)توصيف علامات الانتقال الموضوعي،ففي المحادثة هناك علامات تدل على الانتقال الموضوعي مثل الفقرات النغمية،حيث يستعمل المتكلم بشكل مميز عبارة استهلالية يعلن بها بالتحديد ما ينوي التحدث بشأنه،ويجعل المتكلم هذه العبارة الاستهلالية بارزة من الناحية الفونولوجية.وهناك علامات أخرى أكثر خفاء تدل على الانتقال الموضوعي يشير إليها الدارسون للخطاب الحواري من مثل تحديق المتكلم،وحركات الجسم واستعمال أنواع كثيرة من الاستجابات مثل:أجل والهمهمة والتأوه وغيرها مما له علاقة بالانتقال الموضوعي."[432]

وبتعبير آخر نستطيع أن نقول بأن موضوع الخطاب أو النص،هو الإجابة عن السؤال المحوري التالي:عن أي شيء يتحدث هذا الخطاب؟أو ماذا يعالج من حيث المضمون الفكري هذا المقطع من هذا الخطاب؟أوفيم تتمثل الفكرة الرئيسية العامة التي يدور حولها هذا الخطاب أو هذا المقطع منه؟..."وهذا يقتضي من

[430] - أبو حيان الأندلسي الغرناطي-البحر المحيط في التفسير-ج07 –ص232
[431] -محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-ج 06–ص51
[432] -عزة شبل محمد-علم لغة النص(النظرية والتطبيق)-ص194

محلل النص أن يقسّمه إلى مقاطع،وكان فاينرش هو صاحب اتجاه تحليل النص عن طريق تجزئته إلى أجزاء متماسكة،يحتوي كل جزء منها على عدد من الجمل المترابطة،التي ينتقل الترابط بينها من الترابط بين الجمل،إلى الترابط في مستوى النص...تلك الأجزاء أو المقاطع النصية يتكون كل واحد منها بطبيعة الحال من عدد من الجمل المتسقة اتساقا دلاليا،من حيث كونها تعبر عن جزء ضمن الدلالة الكلية للنص."[433]

معنى هذا أن كل جملة من جزء ما من النص تعمل على صنع فكرة محددة تتضافر مع الأفكار الجزئية الأخرى المنتمية للنص نفسه أو الخطاب،في سبيل هندسة البنية النصية الكبرى للنص(=المغزى أو المعنى الكلي).ويعبر سعيد حسن بحيرى عن مفهوم انسجام المقطع داخل النص بقوله:"يتجلى مفهوم الاتساق بين الجمل في مقطع من النص في أن كل جملة تُسهم في فهم ما تليها،كما تسهم المتقدمة في فهم المتأخرة،بحيث لا يتحقق المعنى من خلال معنى الأجزاء فحسب،بل من خلال معاني الأجزاء وتآزرها في بنية كلية كبرى."[434].

ويقدم الجابري قراءة موضوعاتية لسورة الكهف،حيث قام بتقسيمها إلى ست فقرات،وهي:مقدمة،قصة أهل الكهف،والنهي عن الاستجابة لمطالب قريش وضرب الأمثال لهم،قصة موسى والخضر،قصة ذي القرنين،ثم الخاتمة،ونجده يتساءل بعد هذا التوزيع البنيوي لموضوعات السورة..."فكيف نفهم هذه الفقرات كعناصر في سياق واحد تبرز من خلاله وحدة السورة؟"[435]وفي بداية التحليل يتحدث الجابري عن الوضع السياقي الذي تشغله السورة ككل،فهي " تقع ضمن المحور الذي تحدثت فيه السور الثلاث السابقة(الذاريات والغاشية والإنسان)، محور المعاد،وبالتحديد الوعيد لمشركي قريش،وبالتالي فسياق هذه السورة يقع على مستوى الدعوة المحمدية في إطار الظروف الصعبة التي عاناها النبي- صلى الله عليه وسلم-،بسبب ممانعة قريش وألحقت به أشد الأذى.وبما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يلجأ،في الرد على هذا الأذى،إلى

[433] - فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص81
[434] -علم لغة النص(المفاهيم والاتجاهات)-ص163
[435] -فهم القرآن-ج02-ص216

استعمال أي نوع من أنواع العنف المادي،والقرآن يدعوه باستمرار إلى الصبر،فقد كان من المناسب تماما أن يركّز الخطاب القرآني هنا على جانب الوعيد الذي يتمثل في التأكيد على أن البعث واقع لا محالة،وأن جزاء الظالمين،وهم الملأ من قريش،هو جهنم خالدين فيها أبدا...في هذا الإطار إذن يجب أن نقرأ فقرات السورة بما فيها قصة أصحاب الكهف وقصة الخضر وقصة ذي القرنين.أما الفقرة الثالثة فهي تخاطب قريشا مباشرة بلغة الوعيد:بصيغة التهديد وضرب المثل."[436].

فخلاصة هذه البداية في قراءة الجابري لسورة الكهف أنه يرسم الإطار العام الذي وردت فيه السورة بالمقارنة مع السور السابقة عليها،وهو إطار هام من شأنه أن يوجهنا إلى تبيان البنية النصية الكبرى للسورة.وبعد رسم هذا الإطار يتحدث عن المقدمة فيقول بأنها"تبدأ بتأكيد المهمة التي كلّف الله بها رسوله،فالقرآن الكريم الذي لا اعوجاج فيه ولا التواء صريح في التعبير عن هذه المهمة:لقد اختاره الله﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ينزل بالمشركين،وإذن فلا موجب لأن يهلك الرسول نفسه أسفا على كونهم لم يؤمنوا بهذا القرآن،وعلى انهماكهم في متع الدنيا ذلك لأن زينة الأرض إنما وضعها الله اختبارا لخلقه ويوم القيامة تتحول إلى خواء،وحينها يجزى كلٌ بعمله،فالذين عملوا صالحا في الجنة والظالمون في النار."[437].

ويربط الجابري بين مضمون المقدمة ومقاصد الفقرة الثانية(قصة أصحاب الكهف)التي تعتبر جوابا عن أسئلة التحدي التي طرحتها عليه قريش،فالقصة تؤكد البعث،وفي مستهلها تأكيد على أنها لا تعدو أن تكون آية واحدة من آيات الله العجيبة اللامتناهية،وهكذا"فالقصة التي أراد منها مشركو قريش أن تظهر"كذب"محمد قد أقامت لهم الدليل الملموس على صدق الوعد بالبعث،فكما بعث الله أولئك الفتية سيبعث الناس وسيرى منكرو

[436]-ينظر:المرجع نفسه-ص216
[437]-المرجع نفسه-ص217

البعث والحساب ذلك بأنفسهم يوم القيامة...بعد هذا تضرب السورة أمثلة لقريش تبين لهم من خلالها أن لا شيء يدوم في الدنيا على حاله،وتدعوهم إلى تأمل حال رجلين لكل منهما مزرعة،كانتا في البداية على حال واحدة من الخصب..غير أن أحدهما غلبه الزهو بمزرعته والاعتداد بنفسه،فصار يمدح فيها ويرفع من شأنها مستصغرا مزرعة صاحبه مستعليا عليه(...)فأصبحت خاوية على عروشها فندم صاحبها و لم يجد معينا ينقذه من المصيبة التي حلّت به فتمنى لو أنه لم يشرك بالله ولكن بعد فوات الأوان..ثم تنبه السورة قريشا إلى أن زينة الحياة الدنيا التي يتمتعون بها هي كزينة هذه المزرعة(...)ثم تتوجه السورة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتذكره بأنباء أهل القرى الذين قصّ القرآن مصائرهم لقد أهلكوا جميعا لأنهم اختاروا الضلالة على الهدى،وأصروا على ذلك حتى صار طبعا فيهم فلم يكن لهم من مصير آخر"[438].

فنرى أن فقرات السورة-من خلال تحليل الجابري-تصب في وحدة دلالية واحدة منسجمة وهي تأكيد البعث وتقديم حقيقة الدنيا باعتبارها مرحلة امتحان واختبار للناس،لأنها مؤقتة ونهائية.ثم يتم الانتقال إلى الفقرة التالية وفيها قصة موسى والخضر،يقول الجابري:"تنتقل السورة إلى قصة موسى والخضر،لتبين للأول أنه ليس أعلم الناس بل هناك من هو أعلم...وإذا كان ظاهر آيات القصة يفيد فعلا ان المسألة المطروحة هي مسألة العلم،فإن وراء هذا الظاهر مغزى عميقا يطرح لا العلم بكيفية عامة بل يطرح مشكلة المعرفة على مستوى الخير والشر:أيهما خير وأيهما شر؟هل ما نعتبره خيرا،أو شرا هو كذلك بالفعل دائما؟تنص الآيات السابقة وآيات أخرى في غير هذه السورة،على أن ما يتمتع به المشركون في الدنيا من زينة الحياة هو شيء مؤقت،وأنهم سيحاسبون عليه في يوم القيامة(...)هذا ولا تخرج قصة ذي القرنين عن السياق العام للسورة.لقد منحه الله حرية التصرف في أقوام غزاهم في جهة غروب الشمس،فخيّره بين أن يبيدهم وبين أن يبقي عليهم أحياءنوكذلك الشأن في أقوام غزاهم في جهة

[438]-ينظر: المرجع نفسه(بتصرف)-ص218

شروقها،فكان جواب ذي القرنين: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿ 87 ﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿ 88 ﴾ ﴾ذلك يعني أن عقاب الظالم في الدنيا عقاب مؤقت وليس نهائيا،بل سيبقى متبوعا بعقاب الآخرة،وكذلك ثواب المحسن في الدنيا ثواب مؤقت والثواب الدائم الكامل في الآخرة.هذا جانب من القصة.أما الجانب الآخر فهو اتجاه ذي القرنين شمالا ليطلب منه سكان إحدى المناطق أن يجعل حدّا لقوم مفسدين بجوارهم يعتدون عليهم،فشيّد بين هؤلاء وأولئك سدّا عظيما لا يستطيع المعتدون اختراقه،ولكنه لا يحميهم يوم تقوم الساعة،بل سيدكّ دكّا وسيخرجون متدافعين ليوم الحساب وسيعرض الكافرون على النار عرضا(...)وتأتي الخاتمة لتؤكّد لقريش أن محاولتهم إحراج النبي بأسئلة وإثارة موضوعات كهذه لن تفيدهم في شيء،ذلك لأن الوحي يأتيه من خبير عليم لا حدود لعلمه﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿ 109 ﴾ ﴾وأكّد لهم مرة أخرى[439] أن محمدا لا يأتي بالقرآن من عنده حتى يعجزوه﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿ 110 ﴾ ﴾

وإجمالا، إن الجابري قد رسم إطارا دلاليا(أو وحدة دلالية كبرى)في قراءته لسورة الكهف،وهو أن مضامينها أو بنياتها الجزئية التي تقع بينها علاقات دلالية(أي داخل كل فقرة تنشأ علاقات تركيبية دلالية)وهذا المستوى من التحليل نسميه المستوى الأفقي.هذه البنيات الصغرى تتضافر فيما بينها وفق علاقات أعلى هي العلاقات البنائية،لأنها تبني البنية النصية أو الدلالية الكبرى للنص التي تمثلت_حسب الجابري في التأكيد على أن البعث واقع

[439]-ينظر: المرجع نفسه-ص220-221

لا محالة وأن جزاء الظالمين هو الخلود في نار جهنم والعياذ بالله.بالإضافة إلى ذلك أشار الجابري إلى انسجام هذه البنية النصية لسورة الكهف مع بنيات المضامين في السور السابقة(الذاريات-الغاشية-الإنسان).فالسورة في القرآن الكريم ليست معجزة في بنياتها الجزئية فقط،بل في تحقيقها الدقيق من خلال التماسك والانسجام للبنية الدلالية الكبرى،والتي بدورها تفسّر موقع الأجزاء من الدلالة وتفسّر أيضا لماذا اجتمعت قصص معينة في سورة بعينها.

ويرتكز"سيد قطب"في ظلال القرآن[440] أثناء تفسيره لسورة الكهف على الرؤية الموضوعاتية،حيث يرى أن موضوعها الجوهري يتمحور حول التقويم و التصحيح :تصحيح العقيدة،وتصحيح منهج النظر والفكر،وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة.وتوزعت البنيات الموضوعية الجزئية بالشكل التالي:

1-(الحمد لله.......ملتحدا):تضمنت تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر.

2-(واصبر نفسك........خير أملا):تضمنت تقريرا للقيم في ميزان العقيدة.

3-(ويوم نسيّر.....لمهلككم موعدا):إذا كانت البنية السابقة(2)انتهت بالكلام عن الباقيات الصالحات فإن هذه البنية(3)تصف اليوم الذي يكون فيه للباقيات الصالحات وزن فيه وحساب.

4-(وإذ قال موسى.....لم نستطع عليه صبرا): لم تذكر هذه الأحداث من قصة موسى في القرآن كله إلا في هذا الموضع.

5-(ويسألونك....إلى آخر السورة):وتضمنت تأكيدا ووعيدا.

ويشير سيد قطب أيضا في أثناء تفسيره للسورة على أنها اعتمدت أساسا على القصص وذلك وفق الهيكل العام:

1-مقدمة

[440]-ينظر:-سيد قطب-في ظلال القرآن-دار الشروق-القاهرة-مصر-ط03-1977-ج04-ص(2256-2297)

2-قصة أصحاب الكهف+تعقيب

3-إشارة إلى قصة آدم وإبليس+تعقيب.

4-قصة موسى مع الخضر من دون إيراد تعقيب عليها.

5-قصة ذي القرنين+تعقيب.

6-خاتمة.

-أمّا "الرازي" في (التفسير الكبير) ،فيقسّم السورة بنيويا إلى ما يلي:

"1-(الحمد لله....جرزا):مقدمة

2-(أم حسبت....رشدا):قصة أصحاب الكهف(يوجد ارتباط بالمقام الخارجي،لأن القصة أجابت على سؤال).

3-(واتل....موئلا):رد على الأغنياء من المشركين(ارتباط بالمقام:اقتراح ترك المؤمنين الفقراء كشرط لإيمان الأغنياء).

4-(وإذ قال موسى.....صبرا):قصة موسى(ارتباط بالمقام:مقترح السؤال لم يكن صائبا).

5-(ويسألونك....جمعا):قصة ذي القرنين(ارتباط بالمقام:فالقصة جواب على سؤال).

6-(وعرضنا....أحدا):خاتمة."[441]

أما عن بنية السورة عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره"تفسير التحرير والتنوير"[442]يوضحها الباحث مفتاح بن عروس بالشكل التالي:

1-مقدمة:تمجيد على إنزال الكتاب على النبي-صلى الله عليه وسلم-.

2-قصة أصحاب الكهف+تذييل

---

[441]- ينظر:محمد فخر الدين الرازي-التفسير الكبير-ج11-ص82-83

[442]-ينظر-تفسير التحرير والتنوير-الدار التونسية للنشر-تونس-1984-ج15-ص359

3-تمهيد+قصة ذي القرنين+قصة موسى مع الخضر

4-خاتمة:تقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-."[443]

وبيان ذلك قول الطاهر بن عاشور:"...ولأن السورة نزلت بسبب ما سأل المشركون والذين أملوا عليهم من أهل الكتاب عن قصتين،قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وقد تقضى الجواب عن القصة الأولى وما ذيّلت به وأن ينتقل إلى الجواب عن القصة الثانية فتختم بذلك هذه السورة التي أنزلت لبيان القصتين قدمت لهذه القصة الثانية قصة لها شبه بها في أنها تطواف في الأرض لطلب نفع صالح وهي قصة سفر موسى عليه السلام لطلب لقاء من هو على علم لا يعلمه موسى وفي سوق هذه القصة تعريض بأهل الكتاب بأن الأولى لهم أن يدلوا الناس على أخبار إسرائيل وعلى سفر لأجل تحصيل العلم والحكمة لا سفر لأجل بسط الملك والسلطان."[444]

-من المناسب أن نبسط في هذا السياق رؤية(فاينرشH.weinrich) في كيفية التعامل مع موضوعات الخطاب،وذلك بتحليل النص من خلال تجزيئه وتقسيمه إلى مقاطع مترابطة فيما بينها عن طريق الانسجام الموضوعي،كل مقطع يضم عددا من الجمل المتماسكة يتم رصد آليات عملها على المستوى الأفقي،ثم يعمد المحلل إلى الانتقال من التماسك ما بين الجمل داخل المقطع الواحد إلى الانسجام ما بين المقاطع المكونة للخطاب ككل وذلك على المستوى العمودي للتحليل الموضوعاتي.وغني عن البيان أن كل مقطع تكوّنه جمل تحمل دلالات جزئية لها علاقة وطيدة بالدلالة الكلية للخطاب،وبتعبير آخر إن الدلالات الجزئية للمقاطع تتضافر في سبيل هندسة الدلالة الكلية للخطاب"فكل جملة من مقطع ما في النص لا تقدم إلا معلومة محددة تسهم مع المعلومات الأخرى في

[443]-مفتاح بن عروس-في علاقة النص بالمقام-ص303

[444]- الطاهر بن عاشور-تفسير التحرير والتنوير-الدار التونسية للنشر-تونس-1984-ج15-ص359

تشكيل كم من المعلومات التي تتضام بقوة في بنية واحدة(...)قد تكون موضوع النص(أو الخطاب)أو المعنى الكلي أوالمغزى"[445].فبناء على هذه الرؤية يمكن تقسيم قصة أصحاب الكهف إلى المقاطع الأساسية التالية:

1-المقطع الأول:

ويقع،من قوله تعالى:(أم حسبت أن...الآية09)إلى قوله تعالى:(لما لبثوا أمدا الىية12)ويقدم مضامين قصة أصحاب الكهف بصورة مجملة حيث نجد في تضاعيفه المعلومات أو الدلالات الجزئية التالية:

أ-إعلام الله عزّوجل الرسول صلى الله عليه وسلم بأن أصحاب الكهف آية من آيات قدرة الله عزّوجل،لكنها ليست الوحيدة فهناك من الآيات ما هو أعجب منها.

ب-لجوء الفتية إلى الكهف وتوجههم إلى الله بالدعاء.

ج-استجاب الله تعالى لدعائهم وتجلى ذلك في أنه تعالى أنامهم في الكهف عدد من السنين ثم قام ببعثهم ليكونوا آية للناس.

د-اختلاف الناس في إحصاء مدة لبثهم وهو أمر تابع للبعث

2-المقطع الثاني:

ويقع من قوله تعالى (نحن نقص عليك....الآية13)إلى قوله تعالى:(.......وثامنهم كلبهم الآية22)،وهذا المقطع محمّل بمضمون جوهري يتمثل في تفصيل ما جاء مجملا في المقطع الأول،لذلك ينحلّ إلى عدد من المضامين الجزئية:

2-1-إيمان الفتية:

ويقع هذا المضمون من قوله تعالى:(نحن نقصّ عليك...الآية 13)إلى قوله تعالى:(...من أمركم مرفقا الآية16) ويحتوي على الدلالات التالية:

[445]-سعيد بحيرى-علم لغة النص:المفاهيم والاتجاهات-ص163

أ-التصريح بأن نبأ أصحاب الكهف حق،فهم فتية آمنوا بربهم وأيدهم الله وزادهم هدى.

ب-استمروا في طريق الإيمان وتحدوا ملكهم الجبار وقد أمهلهم ليعودوا إلى الشرك إلا أنهم رفضوا.

ج-لجؤوا إلى الكهف واعتزلوا قومهم المشركين وكلهم إيمان بأن الله سينصرهم ويهيء لهم سبل الخير.

2-2-وصف تواجدهم في الكهف:

ويقع هذا المضمون من قوله تعالى:(وترى الشمس....الآية17)إلى قوله تعالى:(ولملئت منهم رعبا الآية 18)ويحتوي على الدلالات التالية:

أ-لا تؤذيهم الشمس أثناء نومهم،فهي تميل عنهم في الشروق وتعدل عنهم في الغروب بقدرة الله عزّ وجل.

ب-الله تعالى يثني على الفتية لأنهم ثبتوا على الحق.

ج-الإخبار بأن مظهرهم يوحي بأنهم أيقاظ في حين هم رقود.

د-أنهم كانوا يقلبون أثناء رقودهم حتى لا تأكلهم الأرض.

ه-وصف كلبهم بالباب وهو باسط ذراعيه.

ت-الإخبار بأن مظهرهم يدعو للخوف والرعب،فلا يقوى المطلع عليهم على رؤيتهم.

2-3-تحاورهم بعد بعثهم:

ويقع من قوله تعالى:(وكذلك بعثناهم الآية19) إلى قوله:(أبدا الآية 20) ويحتوي على الدلالات التالية:

أ-اختلافهم في المدة التي لبثوها في الكهف(بين اليوم وبعضه)،ثم تسليمهم بأن الله تعالى هو الذي يعلم مدة لبثهم.

ب-قاموا ببعث واحد منهم إلى المدينة ليأتيهم بالطعام،وأنهم حذروه من أن يكون سببا في كشف أمرهم فيكون مصيرهما الرجم بالحجارة أو يكرهون للعودة إلى الشرك.

2-4-الإعثار عليهم:

ويقع في قوله تعالى:(وكذلك أعثرنا الآية21) ويحتوي على الدلالات التالية:

أ-إعثار الله الناس(أهل المدينة) على الفتية،وقد كان الناس مختلفين في قضية البعث.

ب-التأكيد على أن البعث حق وبالتالي وعد الله حق .

ج-بناء المسجد من قبل فريق المؤمنين بعد تنازعه مع فريق آخر.

2-5-الاختلاف في عدد الفتية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم:

ويقع من قوله تعالى:(سيقولون ثلاثة)إلى قوله:(وثامنهم كلبهم الآية22) ويحتوي على الدلالات التالية:

أ-منهم من قال بأنهم ثلاثة ورابعهم كلبهمنومنهم من قال هم خمسة وسادسهم كلبهم رجما بالغيب.وفريق ثالث قال بأنهم سبعة وثامنهم كلبهم.

ب-الله وحده من يعلم عددهم،وقليل من الناس.

3-المقطع الثالث:

ويقع من قوله تعالى:(فلا تمار فيهم الآية22) إلى قوله تعالى:(ملتحدا الآية27)،ويتضمن الدلالات التالية:

أ-نهي الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم عن المراء في أصحاب الكهف.

ب-تعليم الله عزّوجل نبيه بأن ما أنزله في قصة أصحاب الكهف يكفيه ويغنيه عن طلب الفتوى من الخائضين في أمرهم.

ج-وقد ورد أيضا"نهيه عن أن يقول إني سأفعل شيئا في مقبل الأيام إلا أن يذكر معه مشيئة الله تعالى،ذلك لأن سبب النزول يدل على ذلك،وإذا نسي في حال القول،فليستدرك ذكرها عندما يذكر،وأمره بالدعاء بالتوفيق والرشاد وإعلامه تعالى نبيه بأن مدة لبثهم(309)من السنين و التأكيد على أن الغيب لله وحده لا شريك له وأمره

بلزوم قراءة آيات القرآن على أصحابه وأن يستغني به عما عداه وأنه لا يقدر على تبديل كلمات الله إلا هو،وليس له-صلى الله عليه وسلم-ملجأ غيره سبحانه عند إلمام الملمات."[446].

نستخلص من خلال هذا العرض لمقاطع القصة ،أنها تضمنت معطيات القصة من أحداث وأخبار وما بين هذه المقاطع انسجام دلالي توضحه علاقة التفصيل بعد الإجمال حيث ورد الإجمال في مقدمة القصة،ثم جاء تفصيل الأحداث بعد ذلك.

وإذا ما انتقلنا إلى قصة الرجلين،نجدها أيضا تنحل إلى مقاطع ،في كل واحد منها جملة من المعلومات أوالدلالات الجزئية التي تتضافر لتبرز دلالة المقطع ككل،وكذلك المقاطع تتحد من خلال علاقات الانسجام لتشكّل الدلالة الكلية للنص،وتتوزع مقاطع القصة على النحو الآتي:

المقطع الأول:تقديم شخوص القصة

ويقع من قوله تعالى:(واضرب لهم الآية32)إلى قوله تعالى:(خلالهما نهرا الآية33)وفيه المعطيات التالية:

أ-أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يضرب للكفار مثلا

ب-المثل يبدأ بطرفيه وهما رجلان أحدهما كافر وثانيهما مؤمن.

ج-كان للكافر بستانان على أحسن حال من الزرع والغرس والماء والنمو.

المقطع الثاني:وفيه حوار الرجلين،وهذا الحوار هو الذي يحرك أحداث القصة.

ويقع من قوله تعالى:(فقال لصاحبه الآية34)إلى قوله تعالى:(...تستطيع له طلبا الآية41)وتضمن مقطعين وهما:

أ-قول الكافر للمؤمن ويقع من قوله تعالى:(فقال لصاحبه الآية34)إلى قوله تعالى:(..خيرا منها منقلبا الآية36):

1-داخل الزهو الكافر فأخذ يتبجح على المؤمن(أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا)

[446]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص86

2-ظلم الكافر لنفسه بظنه أن ما هو فيه لن يزول أبدا،وأنكر قيام الساعة.

ب-رد المؤمن على الكافر ويقع من قوله تعالى:(قال له صاحبه الآية37)إلى قوله تعالى:(تستطيع اه طلبا الآية41):

1-تأنيب المؤمن الكافر على زهوه وخيلائه وكفره بالله وإنكاره قدرته.

2-إخبار المؤمن الكافر أنه كان الأولى به أن يحمد الله على نعمته عليه حتى يضمن دوامها.

3-إعلان المؤمن عن تمسكه بإيمانه واعتماده على الله في تبديل حالته إلى خير من ثروته وجناته.

4-إنذار المؤمن الكافر بما يستطيع الله أن يفعله به من تسليط البلاء على جنته وتغوير مائها وجعلها أرضا يابسة.

المقطع الثالث:وفيه تسليط البلاء من الله عزّوجل على الكافر.

ويقع من قوله تعالى:(وأحيط بثمره الآية42)إلى قوله تعالى:(وما كان منتصرا الآية43) وتضمن:

1-حلّ البلاء على الكافر، ورأى مصداق إنذار الرجل المؤمن.

2-حسرة الكافر وندمه على ما بدر منه من الشرك بالله وإنكار الساعة.

3- لم يغنه الندم على ما فعل،فلم يستطع أحد أن ينصره من الله تعالى.

المقطع الرابع:وفيه المغزى من القصة

ويقع في الآية الأخيرة.قال الله تعالى(هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا).يقول(محمد عزة):"وجاءت الآية الأخيرة لتنبه على أن في مثل هذه المواقف يظهر البرهان الساطع على أن النصر الحق هو نصر الله وأن ما عنده هو الأفضل ثوابا وعاقبة"[447].

[447]-التفسير الحديث-ج06-ص22

بعد هذا تضرب السورة مثلا آخر لقريش،وذلك في قول الله عزّوجل: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿45﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿46﴾ ﴾

وقد تضمن دلالتين جزئيتين لهما علاقة بنائية بقصة صاحب الجنتينن وهما:

1-في الآية الأولى:أ-أمر للنبي أن يضرب لهم مثلا آخر عن الحياة الدنيا(كنبات الأرض ينمو بمطر السماء ثم لا يلبث أن يجف ويتكسر وتذروه الرياح.ب-إنذارهم بأن الله مقتدر على كل شيء.

2-في الآية الثانية:"تقرير بأن المال والبنين هما زينة الحياة الدنيا التي مثلت في المثل والتي لن تلبث أن تزول وأن الأعمال الصالحة هي وحدها الباقية التي تحوز رضاء الله وتكون مناط الأمل وحسن الثواب عنده..وقد جاءت الآية الثانية تعقيبية على الأولى وكنتيجة لها،والآيتان متصلتان بما سبقهما كذلك ومستهدفتان نفس هدف المثل الأول."[448]

وإذا ما انتقلنا الآن إلى قصة ذي القرنين والتي تمتد من الآية83إلى الآية98نجد أن"موضوع الخطاب الرئيسي هو قصة ذي القرنين،وهذا الخطاب ينقسم إلى عدد من المقاطع النصية المتسقة،وهي:

المقطع الأول:السؤال عن ذي القرنين ووعد الله تعالى بالإجابة،من قوله تعالى:(ويسألونك الآية83)حتى قوله تعالى:(سببا الآية84)،وفيها القضايا الآتية:

أ-خطاب من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم،بشأن سؤال قريش(بتحريض من اليهود) عن ذي القرنين.

ب-توجيه الله تعالى لرسوله بأن يخبرهم بالجواب،عما سألوا عنه وأنه سيتلو عليهم من أنباء ذي القرنين قرآنا.

---

[448]-المرجع نفسه-ص24

ج-تمكين الله له في الأرض وهو الإقدار وتمهيد الأسباب.

د-أن الله تعالى أعطاه من كل شيء أراده من مهمات ملكه ومقاصده المعلقة بسلطانه،أي طريقا يوصله إليه من علم و قدرة أو آلة.

المقطع الثاني:قصة بلوغه منتهى الأرض من جهة المغرب:

من قوله تعالى:(فأتبع سببا84)(85إلى قوله تعالى:(من أمرنا يسرا88)،وفيه القضايا الآتية:

أ-أراد ذو القرنين بلوغ المغرب فسلك طريقا يوصله إليه.

ب-إنه وجد الشمس تغرب في عين ذات حمئة.

ج-أنه وجد عندها قوما،وكانوا كافرين،فخيّره الله تعالى فيهم بين القتل والتعذيب على كفرهم، أو الدعوة بالحسنى أو لا،فاختار الثانية وتوعد العصاة بالعذاب في الدنيا على يديه وفي الآخرة عند الله.

المقطع الثالث:قصة بلوغه مشرق الأرض:

من قوله تعالى:(ثم أتبع سببا89)إلى قوله:خبرا91)،وفيه القضايا الآتية:

أ-توجه ذو القرنين من أقصى المغرب،إلى أقصى مكان تطلع عليه الشمس من جهة المشرق.

ب-وجد هناك أقواما ليس لهم أبنية ولا لباس يسترهم من الشمس،فكان أمره فيهم كأمره في أهل المغرب.

المقطع الرابع:قصته في شمال الأرض:

من قوله تعالى:(ثم أتبع سببا 92)إلى قوله تعالى:(وكان وعد ربي حقا98)،وفيه القضايا الآتية:

أ-اتجاه ذي القرنين إلى شمال الأرض،بين السدين(الجبلين) وهما بموضع من الأرض لا نعلمه،وأنه وجد من دونهما أمة من الناس لا يفهمون كلام غيرهم.

ب-قدمت هذه الأمة شكوى إلى ذي القرنين،من إفساد يأجوج ومأجوج في أرضهم بالقتل والتخريب وغيرهما،وعرضت عليه جُعلا من المال مقابل أن يبني بينهم وبيم مأجوج و يأجوج سدا.

ج-رفض ذو القرنين الجعل،وأمرهم أن يمدوه بقوة من الناس وقطع الحديد وغيرها.

د-استجابوا له وأمدوه بما أراد،واستمر البناء حتى ساوى السد ارتفاع الجبلين،فأمر العملة فنفخوا بالكيران حتى صار الحديد كالنار،فأمر بالنحاس المذاب،فأفرغ عليه حتى صار قويا أملس.

ه-عجزت يأجوج ومأجوج عن نقبه،أو الصعود فوقه،عند ذلك وصف ذو القرنين هذا البناء بأنه رحمة من الله تعالى لسائر الناس إلى أن يجيء وعده سبحانه فيسويه بالأرض."[449]

ومن خلال هذا العرض لمضامين المقاطع،نخلص إلى أن إنتاج الدلالة في النص يبدأ بالترابط الحاصل ما بين القضايا أو الجمل الدلالية المتسقة داخل المقطع الواحد(المستوى الأفقي)،ثم تتحرك الدلالة إلى المستوى الأكبر وهو وحدة الخطاب ككل(المستوى العمودي).فكل مقطع من المقاطع السابقة يساهم في بناء دلالة القصة الإجمالية عن طريق دلالته الجزئية،أضف إلى ذلك أن وحدة الموضوع(الإصلاح في الأرض) عامل أساس من العوامل التي حققت الانسجام الدلالي ما بين المقاطع الثلاثة.

-انسجــام النص في ضوء السياقات:

4-1-سبب النزول:

أورد الزمخشري في تفسيره لسورة الإسراء"بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح،فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي،وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي،فبيّن

لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة،فندموا على سؤالهم"[450].

[449]-ينظر:فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص124-125

ويتحدث"سيد قطب" في ظلال القرآن عن سبب نزول سورة الكهف فيقول:"وقد ورد في سبب نزولها ونزول قصة ذي القرنين أن اليهود أغروا أهل مكة بسؤال الرسول -صلى الله عليه وسلم- عنهما وعن الروح،أو أن أهل مكة طلبوا إلى اليهود أن يصوغوا لهم أسئلة يختبرون بها الرسول صلى الله عليه وسلم"[451].ونجد في تفسير التحرير والتنوير"أن مشركي قريش احتاروا في دعوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وازدياد المسلمين معه وتساؤل القبائل العربية،فبعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود لمعرفة حقيقة الأمر باعتبار معرفتهم علم الأنبياء فاقترح عليهم اليهود ثلاثة أسئلة،قالوا:سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقوّل.سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وسلوه عن الروح وما هي؟(...)فجاء جمع من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن هذه الثلاثة فقال لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:أخبركم بما سألتم عنه غدا(وهو ينتظر وقت نزول الوحي عليه بحسب عادة يعلمها) و لم يقل إن شاء الله.فمكث رسول الله -صلى الله عليه وسلم -ثلاثة أيام لا يوحى إليه،وقال ابن اسحاق خمسة عشر يوما فأرجف أهل مكة وقالوا:وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا اليوم عدة أيام لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه حتى أحزن ذلك رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وشق عليه ثم جاء جبريل عليه السلام بسورة الكهف."[452].

وفي قراءة الباحث"مفتاح بن عروس" لسورة الكهف حيث يربط بين نص السورة والمقام الذي يحتضنها،يستخلص بعد عرضه لأسباب نزولها الملاحظات التالية:

"هناك ثلاثة أسئلة وُجهت للنبي صلى الله عليه وسلم. —وعد النبي بالإجابة عن هذه الأسئلة. —تأخر الوحي.وحينما ننظر إلى هذه الرواية المتعلقة بسبب الترول في سياقها التاريخي نخرج بالخلاصة التالية:

[450]-الكشاف-ج02-ص464
[451]-في ظلال القرآن-ج04-ص2264
[452]- الطاهر بن عاشور-ج15-ص243

-هناك باحث عن سؤال ليتأكد من أمر. –مقترح لسؤال(أسئلة)مع سبق معرفته(بغض النظر عن نوعية هذه المعرفة)

-موجه له السؤال(النبي صلى الله عليه وسلم). وإذن فالمقام مقام امتحان"[453].

وما يمكن أن نخلص إليه هو أن المعاني والدلالات ليست متأصلة في الكلمات والجمل،فاللغة حينما تستعمل تتطلب منتجا ومتلقيا والسياقات(المقام)التي ساهمت في إنتاجها،ومن المعلوم أن العلاقة وثيقة ما بين انسجام الخطاب والقارئ،فهذا الأخير هو الذي يركب بين لغة النص(المعطيات اللسانية)وظروف إنتاجه كأسباب النزول مثلا(المعطيات خارج لسانية)في سبيل بناء فهم وتأويل أمثل للخطاب.وهذا الأمر يلزم عنه بناء المتلقي لاستراتيجية مؤداها اعتبار السورة تشكّل بنية جاب عن أسئلة.

4-قراءة في بعض سياقات السورة(باعتبارها جوابا):

أ-السياق الأول:قال الله عزّوجل:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿9﴾ ﴾ وقد سبقت هذه الأية آيات المقدمة (السياق اللغوي)التي تضمنت بعض الآيات الكلية التي تجعل نبأ أصحاب الكهف آية من الآيات العجيبة التي تدل على قدرة الله عزّ وجلّ،وهي ليست معيارا لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم،كل ذلك بدليل أن الآية بدأت بـــــــــ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾يقول الزمخشري:"...ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن،ثم قال﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة."[454].ويقول شهاب الدين الألوسي:"...والمعنى أن قصتهم(أصحاب

---

[453]-في علاقة النص بالمقام-ص300
[454]-الكشّـاف-ج02 –ص473

الكهف) وإن كانت خارقة للعادة ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات التي من جملتها ما تقدم،ومن هنا يعلم وجه الربط...وفي الكشف أنه تعالى ذكر من الآيات الكلية وإن كان لتسليته صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينبغي أن يبخع نفسه على آثارهم،فالمسترشد يكفيه أدنى إشارة والزائغ لا تجدي فيه آيات النذارة والبشارة ما يشتمل على أمهات العجائب،وعقبه سبحانه بقوله:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾يعني أن ذلك أعظم من هذا فمن لا يتعجب من ذاك لا ينبغي أن يتعجب من هذا."[455] وجاء في البحر المحيط أن"الظاهر في﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم.فقال مجاهد: لم يَنهه عن التعجب وإنما أراد كل آياتنا كذلك.وقال قتادة:لا يُتعجب منها فالعجائب في خلق السماوات و الأرض أكثر.وقال ابن عباس:سألوك عن ذلك ليجعلوا جوابك علامة لصدقك وكذبك،وسائر آيات القرآن أبلغ وأعجب وأدلّ على صدقك."[456]...أما الرازي فيقول:"اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان،فقال تعالى:أم حسبت أنهم كانوا عجبا من آياتنا فقط،فلا تحسبن ذلك،فإن آياتنا كلها عجب،فإن من كان قادرا على تخليق السماوات والأرض،ثم يزين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خالية من الكل كيف تستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم،هذا هو الوجه في تقرير النظم"[457].فالرازي يرى بأن آية أصحاب الكهف تتقاطع مع آيات الله الأخرى في خاصية العجب،والقرينة اللغوية الدالة على ذلك قوله:آياتنا كلها عجب،فالآية الكريمة تحيل إلى الآيات السابقة عليها وتتوجه إلى المخاطب وهو خارج النص(معطى خارج لساني).

ب-السياق الثاني:قال الله عزّوجل:

455- الألوسي-روح المعاني- مج08 –ج(14-15) –ص4175
456 - أبو حيان الأندلسي الغرناطي-البحر المحيط في التفسير-ج07 –ص141
457-التفسير الكبير-دار الكتب-بيروت-لبنان-1983-ج11-ص83

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿13﴾ ﴾،ويدل سياق هذه الآية على اختصاص الله وحده عالم الغيب بقصّ نبإ أصحاب الكهف بالحق،وإذا كانت اللغة لا تظهر أو لا تقول كل شيء،فإننا نفهم ضمنيا أن هناك في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم من كان يخوض في الحديث عن الفتية من دون علم"ولعل في التقييد "بالحق" إشارة إلى أن في عهده صلى الله عليه وسلم من يقص نبأهم لكن لا بالحق"[458].ومعنى هذه الآية يحيل إحالة سياقية بعدية لمضامين موجودة في آيات بعيدة عنها مما يجعل السياق ذا فاعلية في تحقيق الانسجام النص،ومن السياقات البعدية التي تعزّز هذا المعنى قول الله عزّوجل: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22﴾ ﴾.فاختلافهم في عددهم يؤكّد ما ترمي إليه الآية(13).ويفترض هذا السياق ـــفي قراءة مفتاح بن عروس ـــمايلي:

"أ-اهتمام بما ليس له أهمية(اهتمام بعدد الفتية)وترك ما له أهمية(سبب انتقال الفتية إلى الكهف وهو جوهر المسألة).

ب-حتى في الاهتمام بما ليس له أهمية لم يقع اتفاق بينهم.

(أما قوله عزّ وجل: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾)فيفترض أنهم ليسوا مصدرا للخبر اليقين بدليل اختلافهم في مسألة العدد.

[458]-الألوسي-روح المعاني-مج08-ج(14-15)-ص4184

(ويضيف سياقا آخر وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿25﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.... ﴾)ويستنتج منه"لايملك الخبر اليقين إلا الله-ليست وظيفة المتلقي الأول(الرسول صلى الله عليه وسلم)الذي يجسد عبر الفعل قل إلا التبليغ-تفويض الأمر إلى المتكلم"[459].

ج-السياق الثالث:قال الله عزّوجل:

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿95﴾ ﴾ويدل سياق هذه الآية ما على الملك من واجبات اتجاه الرعية،إن هذه الدلالة ليست مباشرة وإنما تستشف من سياق الحال،هذا الأخير يزوّدنا بمعطيات كثيرة لا تكشف عنها اللغة بمفرداتها المعجمية وجملها المترابطة"في الآية دليل على أن الملك فُرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم،وسدّ فرجتهم وإصلاح ثغورهم،من أموالهم التي تفيء عليهم،حقولهم التي تجمعها خزائنهم تحت يده ونظره حتى لو أكلتها الحقوق وأنفدتها المؤن لكن عليهم جبر ذلك من أموالهم وعليه حسن النظر لهم"[460].

ج-السياق الثالث:

قال الله عزّ وجل:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿45﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

[459]-ينظر:مفتاح بن عروس-في علاقة النص بالمقام-ص312
[460]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص127

أَمَلًا ﴿46﴾ ﴾.فسياق هاتين الآيتين يستدعي السياق اللغوي والدلالي للآيات السابقة(قصة الرجلين)،من الآية32إلى الآية44.لأن المحتوى الدلالي لهما يعزّز المحتوى الدلالي للآيات السابقة،فقراءة الآيتين باستحضار قصة الرجلين(أي بربطهما بالسياق اللغوي السابق) يكشف القناع عن الهدف الدلالي المنشود منهما.يقول عابد الجابري في هذا الصدد:"...بعد هذا تضرب السورة أمثلة لقريش تبين لهم من خلالها أن لا شيء يدوم في الدنيا على حاله،وتدعوهم إلى تأمل حال رجلين لكل منهما مزرعة(...)ثم تنبه السورة قريشا إلى أن زينة الحياة الدنيا التي يتمتعون بها هي كزينة هذه المزرعة،هي كماء أنزل من السماء،فأنبتت الأرض به نباتا مخضرا مثمرا،وقد تأتي صاعقة-وكأنها على موعد معها-لتحوّل كل شيء فيها إلى هشيم تذروه الرياح"[461].

وإجمالاً،استنتجت من عرض المعطيات المعرفية بأن الانسجام(أو الحبك) معيارٌ أساس من معايير النصية،ويتجلّى مفهومه في تلك العلاقات المنطقية التي تربط بين أفكار النص ومفاهيمه.وإذا كان التماسك معيارًا يختصّ بسطح النص وظاهره،فإن الانسجام يختص بباطن النص،فهو يرتكز على علاقات منطقية تُدرك بالعقل مثل العلاقة السببية،العلاقة التعليلية،علاقة المقارنة،علاقة الإجمال والتفصيل،علاقة السؤال بالجواب،العلاقة الحجاجية وغيرها.

ومن خلال البحث عن مواطن الانسجام في سورة الكهف،وجدت بأن الانسجام قد تحقّق بفعل تنوّع العلاقات وتوظيفها في السياق المناسب،خاصة علاقة التفصيل بعد الإجمال التي تناسب الغاية الأساسية من القصة القرآنية،والعلاقة الحجاجية التي تربط بين القضايا من جهة،وتبسط قيمة الإقناع من جهة أخرى،بالإضافة إلى علاقة المقارنة والعلاقة السببية والحوار وغيرها من العلاقات التي أسهمت في البناء المنسجم للدلالة الكلية للنص.

[461]-فهم القرآن-ج02-ص218

وقد اختبرت نظرية (فاينرشWeinrich)،وهي نظرية تقوم على منهج نحوي في تحليل النص (تجزئة النص)،حيث تتعالق الوحدات المكوّنة للنص تعالقًا هرميا،يبدأ على صعيد الجملة،ثم ينتقل ما بين الجمل،إلى أن يصل إلى مستوى ما بين المقاطع المكوّنة للنص ككل.فكل جزء وكل مقطع يساهم في بناء جانب من جوانب البنية النصية الكبرى أوالدلالة النصية الكبرى.

وفي الختام،حاولت ربط النص بالسياق الاتصالي أو العالم الخارجي،حيث تعاملت مع النص باعتباره جوابًا على مجموعة من الأسئلة(أسباب النزول).كما ألقيت الضوء على انسجام معاني سورة الكهف في ظل بعض السياقات التي تستدعي استحضار مقاطع سابقة من السورة،أو مقاطع لاحقة،وبالتالي فالقراءة السياقية للسورة تبرز الانسجام النصي القائم بين المقاطع النصية المتباعدة في النص.

5-انسجام النص في ضوء نظرية الأفعال الكلامية(البعد التداولي):

انبثقت نظرية الأفعال الكلامية من نقد (جون أوستينJohn Austin) لطرح فلسفي،يدّعي بأن قول شيء ما هو دومًا إثبات شيء ما،فدور اللغة من هذا المنظور ينحصر في الإخبار عن العالم الخارجي،والقضايا المعوّل عليها هي تلك القضايا التي تقبل الصدق والكذب.وإن المنطق في دراسته للقضايا،يتعامل مع اللغة من حيث هي وسيلة لتحقيق غاية ووظيفة أساسية،هي وصف العالم الكائن خارج كيان المؤسسة اللغوية"..فهي تصف حالة الأشياء وهي في وصفها قابلة لحكمين لا ثالث لهما،إما أن تأخذ قيمة الصدق،وإما أن تأخذ قيمة الكذب،ويتبع هذا الموقف شيئان:أن يكون الموصوف خارجًا عنها تابعًا لحالة الأشياء،وأن تكون وسيلة الوصف جملة خبرية قابلة للتصديق والتكذيب،خالية مما يشوب الخبرية فيها."[462]

[462]-صلاح الدين الشريف-تقديم عام للاتجاه البراجماتي-ضمن كتاب:أهم المدارس اللسانية-المعهد القومي لعلوم التربية-تونس-ط2-1990-ص102

لتفنيد هذا الطرح يعمد (أوستين) إلى تقديم نماذج من العبارات مصوغة صياغة إخبارية،إلا أنها لا تصف شيئا ولا تثبت حدثا أو واقعًا،بل يتمّ بها إنجاز فعل ما،وهذه العبارات من قبيل:

-أنت طالق.

-بعتُك سيارتي.

-أراهن بألف دينار أن الجزائر سوف تربح بكرة القدم.

-أنا أسمّي هذه الساحة"الأمير عبد القادر".

فهذه العبارات،لا يصف المتكلم من خلالها حال امرأته أو كونه يُراهن أو يُسمي،أو يُخبر عن بيعه لسيارته،لكن عند النطق بها_بتوفر شروط عرفية محددة_ينجز أفعال الطلاق والبيع والمراهنة والتسمية"مثل هذه العبارات يطلق عليها (أوستين)اسم:الإنشائيات(Performatives)،لأن بها يتمّ إنشاء أي ابتكار الأفعال.فالعبارات الإنشائية ليست أحكامًا تقبل الصدق أو الكذب،ولا هي خالية من المعنى،لكنها عبارات تتوخّى تحقيق فعل ما."[463].فإذا سمعنا القائل يقول:ألتمس منك شيئًا،أو أعدك بشيء،أو آمرك بفعل شيء،فهو ينجز أفعالًا بمجرد التلفظ اللغوي(وهي الالتماس والوعد والأمر)أي أن هذه الأفعال المنجزة تقع في دائرة اللغة وأنشأها القائل باللغة.وكذلك إذا سمعنا القاضي يقول:"فتحت الجلسة"فبمجرد تلفظ القاضي بهذه الجملة يولد فعل الفتح،فهو فعلٌ أُنجز باللغة بالقول،بالإضافة إلى أننا لا يمكن أن نكّذب القاضي في الجملة التي يقولها أثناء فتحه للجلسة(فتحت الجلسة)،فهي ليست قابلة للتصديق أو التكذيب،وكذلك ليست خالية من المعنى،بل تتوخّى تحقيق فعل ما وهو الفتح الفعلي للجلسة.وإذا قال القائل في ظروف خاصة محددة اجتماعيا:تزوجتُ،وبعتُ،واشتريتُ،يصبح بمجرد التلفظ اللغوي بهذه العبارات متزوّجا وبائعًا ومشتريًا.ويُنجز الطلاق الفعلي بمجرد قول المسلم لامرأته أنت طالق."فبعض الأفعال

[463]-عادل فاخوري-محاضرات في فلسفة اللغة-دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت لبنان-ط01-2013-ص105.

التي نقوم بها ليس لها وجود ألا داخل المؤسسة اللغوية،فليست اللغة مجرد وسيلة لنقل الأفكار،ولوصف الأشياء،وإنما هي ميدان نُنجز فيه أفعالًا لا تُنجز إلا في اللغة وباللغة(...)فهذه الأفعال إضافة إلى كونها أقوالًا يسيّرها العرف اللغوي،هي أفعالٌ يسيّرها عرفٌ لغويٌ اجتماعي أعمّ.فلولا العرف لما كان القاضي يفتح الجلسة،فأنت إذا صحت بفتح الجلسة،فالجلسة مغلقة ما لم تتوفر شروط معينة للاستعمال،أهمها التواضع على أنك من الذين يفتحون الجلسات،ومن الذين لهم أن يقولوا"آمر"،وليس لك أن تقول لزوجة جارك "أنت طالق" إلا إذا أعطاك المجتمع حق الطلاق"[464].

انطلاقًا ممّا سبق نستنتج بأن التداولية(La Pragmatique)لا تربط العلامات اللغوية بمستعمليها فحسب،بل تربطها بالمؤسسة اللغوية من حيث تعدّ مجالًا من مجالات التعامل الاجتماعي.وما يؤكّد الدور و الفعالية الاجتماعية للغة أيضًا،تقسيم(أوستين) لأفعال الكلام فهو"يُرجع أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع،فعل كلام،وقوة فعل الكلام،ولازم فعل الكلام.وإنما كان التقسيم مناسبا لأنه سيتغلب به على مسألة العلاقة بين إدراكنا لشيء ما كما هو في الواقع وكمعطى هناك،وبين ضروب الوصف التي نقوم بها إزاء ذلك الشيء،بين قولنا كلامًا حول شيء ما،وبين حركتنا وفعلنا إزاءه(...)وإذن يجب إعادة هذه العلاقة وذلك عن طريق قوة فعل الكلام،ولازم فعل الكلام،أي نخرج عن التلفظ والنطق إلى الفعل الخطابي وما يحتف بالسياق من دلالات ومعان على معنى أن هناك محيطًا إنسانيًا هو نسيجٌ متصل من العلاقات تتحدّد داخل مواقف كلية،تصبح فيها اللغة أفعال التواصل لا أقوال متراصة خالية من الدلالات والإحالات المرجعية،وإذا رجعت إلى اللغة هذه الحياة الجديدة،ألا تحجب الأشياء،أمكن حينئذ،إدراك علاقات جديدة،في الأشياء،وتطورت عملية التواصل التي ينتج عنها بالضرورة عادات وأعراف وعوائد."[465]إذن،فالمهمة الجوهرية للتداولية تتمثل في التحليل السليم للأفعال التي ننجزها باللغة وفي

[464]- صلاح الدين الشريف-تقديم عام للاتجاه البراجماتي-ص103

[465]-جون أوستين-نظرية أفعال الكلام العامة-ت:عبد القادر قنيني-إفريقيا الشرق-الدار البيضاء-المغرب-ط2-2008-ص(09-10)

اللغة،وهي مهمة اجتماعية في الأساس،لأنها لا تكون إلا في مجتمع أي خاضعة لضوابط أو قواعد استعمال لها علاقة وطيدة بالأعراف الاجتماعية والعوائد.يقول فريد عوض حيدر:"..والقرآن الكريم هو النص الذي يوجه حياة خير أمة أُخرجت للناس إلى يوم القيامة،في كل مناحي الحياة،وهو أعظم النصوص تأثيرًا في المؤمنين به،وأكثرها تفاعلًا واتساقًا مع مصلحة الخلق في المجتمع،ولذا فكل ما جاء فيه يصبّ في اتجاه الخير والنفع للبشرية جمعاء.فمن الناحية التداولية هو أنفع النصوص،بل أخلدها نفعًا إلى يوم الدين،وما جاء فيه من خطاب لسيد المرسلين(محمد-صلى الله عليه وسلم-)مرادٌ به أتباعه في كل زمان ومكان،وهو الذي كان يُنجز كل ما يؤمر به،وينتهي عما نُهي عنه حتى إنه يمثل النموذج الأسمى في الامتثال لتوجيهات هذا الخطاب العظيم"[466].

ولقد ميّز (جون أوستين) ثلاثة أنواع من الأفعال،وهي:

أ-الفعل القولي أو فعل التلفظ: وهو مجرد التلفظ بأصوات نطقية،وينقسم بدوره إلى ثلاثة أفعال صغرى،فالتلفظ هو بحدّ ذاته فعلٌ،وذلك من ثلاثة وجوه:إحداث أصوات(الفعل الصوتيActe Phonetique)-إصدار ألفاظ أي أشكال معينة من الأصوات تنتمي إلى معجم لغة ما،وتكون خاضعة لقواعد النحو والتركيب(الفعل الانتباهيActe Phatique)-استعمالٌ للفظ طبقًا لمرجع ما ولمعنى ما(الفعل الإحاليActe Rhetique).

ب-الفعل في القول أو فعل الخطاب أو فعل الكلام:وهو الفعل الذي يتمّ إنجازه في قول ما،ومن لوازمه أن تختص كل عبارة بقوة أو بقيمة داخلة في القول مثل الأمر أو الاستفهام أو التحذير أو الأمر أو النهي أو الوعد وغيرها"..ويقدّم(أوستين) ثلاثة مقاييس للتعرف على فعل الخطاب،وهي:

-إنه فعلٌ يُنجز في الكلام ذاته وليس نتيجة تُنتظر من الكلام.

-إنه فعلٌ قابلٌ للتفسير بواسطة صيغة إنجازية.

[466]-اتساق النص في سورة الكهف-ص89

-إن الفعل الخطابي دائمًا ذو طبيعة اصطلاحية تواضعية."[467]

ج-الفعل بالقول أو فعل التأثير في الخطاب أو لازم فعل الكلام:وهو الفعل الحاصل بالقول،فيمكن استعمال القول أو الخطاب أو الكلام لإحداث تأثيرات من مشاعر وأفكار وإقناع وغيرها.

ففي القرآن الكريم عامةً وفي سورة الكهف خاصةً أفعالٌ كثيرةٌ تهدف إلى التوجيه والإرشاد والنصح،أو الأمر والنهي،وهي كلّها أفعالٌ من النوع الثاني في تقسيم(أوستين)،أي أفعالٌ إنجازية بالنسبة للرسول –صلى الله عليه وسلم-.وإن الاستجابة لهذه الأفعال الإنجازية من المخاطب الرسول محمد-صلى الله عليه وسلم-ومن تبع سنته إلى يوم الدين،تندرج ضمن النوع الثالث أي: "لازم فعل الكلام".

يقول الله عزّوجلّ في مقدمة السورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴿1﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿2﴾ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿3﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿4﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿5﴾﴾

فالمتكلم هو الله عزّ وجلّ وقد بدأ بحمد نفسه والقصد هو إنجاز فعل الإخبار بوجوب حمده،فهو سبحانه الذي أنزل الكتاب الذي تضمن خلاص الدنيا والآخرة،وهذا أسلوب من أساليب النظم القرآني في مقدمات السور.وقد تمّ إنجاز فعل لغوي في الآيات الخمس الأولى تمثل في التقرير بكون الله عزّوجلّ له الحمد وحده"قد نزّل القرآن على عبده أي النبي مستقيما لا عوج فيه،لينذر الناس جميعًا ببأسه وقوته،ويبشّر المؤمنين الصالحين بالأجر

[467]-ينظر:علي آيت أوشان-السياق والنص الشعري(من البنية إلى القراءة)-دار الثقافة-الدار البيضاء-المغرب-ط1-2000-ص71

الحسن الذي يتمتعون به تمتعًا دائمًا خالدًا.وينذر الذين يعزون إليه اتخاذ الولد دون ما علم ولا بينة عندهم ولا عند آبائهم"[468].

وقال الله عزّوجلّ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿6﴾ ﴾والمراد بلعل هنا النهي عن الحزن عليهم(أي لا تبخع نفسك لعدم إيمانهم)،فقد تضمنت الآية فعلًا إنجازيًا تمثل في النهي.

وقصة أصحاب الكهف جزءٌ من السورة الكريمة"وفيها عددٌ من الآيات تحمل خبر أصحاب الكهف في أفعال أنجزوها كإيمانهم،وإيوائهم إلى الكهف،وأفعالٌ أُنجزت في حقهم كالضرب على آذانهم،وتقليبهم أثناء لبثهم،ثمّ بعثهم،كما تحمل خبر عبادة قومهم آلهةً من دون الله،واختلاف قومهم في البعث،واختلاف معاصري النبي-صلى الله عليه وسلم-في عددهم"[469].ثمّ إن الأفعال الناجمة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-استجابة للأفعال الإنجازية للمخاطب الله عزّوجلّ،تدخل في إطار لازم فعل الكلام(منها مثلا:نهي الله عزّوجلّ نبيه من استفتاء أحد من الناس في أصحاب الكهف).وهي أفعالٌ في الحقيقة قد أُنجزت،وقد دلّنا على ذلك سياق الحال وهو معرفتنا من أن النبي-صلى الله عليه وسلم-هو أصدق القائلين وهو القدوة الحسنة،فقد كان قرآنًا يمشي على الأرض.

ويقسّم (فريد عوض حيدر) الأفعال المُنجزة في قصة ذي القرنين إلى أقسام،وذلك على النحو الآتي:

"الأول:قسم الأفعال الداخلة في إنجاز لازم فعل الكلام،ومنها سؤال قريش بتحريض من اليهود عن ذي القرنين،ووعد الله تعالى بالإجابة،وقد أجاب،وتمكين الله تعالى له في الأرض،وبلوغه مغرب الشمس،ثم بلوغه مطلعها ودعوته إلى التوحيد في المجتمعين،قبل أن يوقع عذابًا على الظالمين فيهما،وأنه جازى المحسنين منهم بالحسنى،ثم رحلته إلى الشمال وتحقق فساد يأجوج ومأجوج،وبناؤه السد.وأمره لمن قدّموا له الشكوى،واقترحوا

---

[468]-محمد عزة دروزة-التفسير الحديث-ج06-ص(06-07)
[469]-فريد عوض حيدر-اتساق النص في سورة الكهف-ص90

عليه الخرج–ممن أصابهم ضرر هذا الفساد–أن يعينوه وأن ينفخوا ويصبوا القطر على البناء،إن إنجاز ذي القرنين لأمر الله تعالى في أهل المغرب وأهل المشرق،وبناءه السد في الشمالنواستجابة أهل الشمال له بإعانته بقوة ومنها زبر الحديد والنفخ بالكيران،وإفراغ القطر،كلّ هذا يعدّ من إنجاز لازم فعل الكلام،وهذه الأفعال المُنجزة كلّها قد أُنجزت في مجتمعات ثلاثة.

الثاني:قسم الأفعال التي لم تتعدّ حدود فعل القول،وهو قول القوم لذي القرنين(فهل نجعل لك خرجًا)،لأنه رفض قبول الخرج،وكذا الفعلان(فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا)،لأنهما قد سُلبا بالنفي.

الثالث:قسم الأفعال التي لم تُنجز بعد،لكنها سوف تُنجز عندما يأتي وقت ذلك،ومنها مجيء وعد الله،وجعل السدّ الذي بناه ذو القرنين مستويًا بالأرض."[470].

من خلال ماسبق بيانه ،اكتشفت بأن تحليل النص من خلال الانفتاح الإيجابي على نظرية الأفعال الكلامية،من شأنه أن يلقي الضوء على العلاقة المنسجمة الحاصلة بين النص والعالم الخارجي والمجتمع،لأن حصول ما يُعرف بلازم أفعال الكلام،يستدعي –في سبيل فهمه–استحضار حالة المجتمع والسياقات المحيطة بالنص،وسياق الحال.فقد احتوت السورة على أفعال إنجازية كثيرة(الأمر،النهي،الإنذار والتبشير والوعد والوعيد والإرشاد والتوجيه وغيرها)،وقد أثارت استجابات عديدة وجّهتها ملابسات اجتماعية،لأن أفعال الكلام هي أفعالٌ تُنجز في المجتمع نظرا للعلاقة الوثيقة بين اللغة والمجتمع.وبالتالي إن الاستعانة بنظرية أفعال الكلام تكشف القناع عن الانسجام الحاصل مابين النص والمجتمع(تحقق الأفعال الإنجازية ونجاحها من عدمه).

[470]-اتساق النص في سورة الكهف-ص126

الخاتمة

لقد كان الهدف الجوهري الذي تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقه هو اقتراح معالم منهج عملي لتحليل النص،يركّز المحلل فيه على الكشف عن الوسائل و الكيفيات التي ترتبط من خلالها جمل النص ومقاطعه على المستوى الأفقي أو السطحي(التماسك النصي)،والآليات التي تلتحم من خلالها أفكار النص ومفاهيمه على المستوى الرأسي أو الباطني(الانسجام النصي).

ولمّا كانت اللسانيات النصية هي المقاربة المنهجية التي أطّرت هذه الدراسة ،فقد كان الحديث منصبا على التنظير لمعطياتها وإجراءاتها،بالإضافة إلى اختبارها عمليا،وقد أفرز هذا التنظير النتائج التالية:

1-المقاربة اللسانية النصية تندرج ضمن الاتجاه التواصلي في دراسة اللغة،فلسانيات النص كانت محدودة في بداياتها بلغة النص من حيث التركيب(الصرف والنحو) والدلالة البنيوية،والمكون الصوتي،لكنها تطورت بعد ذلك لتشمل معطيات خارج لسانية،حيث تركّز منهجها على ثالوث من الاتجاهات هي:التركيب،والدلالة،والتداول.فهي إذن،تدرس لغة النص أثناء استعمالها من قبل الناس في المجتمع،أي أنها أصبحت تربط لغة النص بمستخدميها وبظروف إنتاجها.

2- التفريق ما بين الإشارات النصية أو الإرهاصات،والأنموذج العلمي الذي يبنى عن طريق فرضيات وإجراءات منطقية منظمة،تحدّد موضوعه ومنهجه،وغايته.فلسانيات النص اتجاه علمي حديث يعنى بدراسة النص في كليته مع مراعاة بعده الاتصالي،أي أن النص هو موضوعه،والتركيب هو منهجه،وتحقيق الاتصال غايته.ومع أن العناية بالنص ككل وجدت في التراث العربي والغربي،إلا أنها لم تتبلور في شكل نظرية منظمة لها أبعادها وتطبيقاتها.

3-أن النص مصطلح إشكالي،ومرد ذلك إلى تعدد مفاهيمه بتعدد مستوياته،فهناك من عرفه من زاوية نحوية بنيوية،وهناك من قاربه من زاوية دلالية،أو من زاوية تداولية،أومن ناحية سيميائية.لذلك بات من الضروري أن نحدّد تصوّرا واضحا لمفهوم النص باعتباره موضوع لسانيات النص،وقد خلصنا بعد

عرض كل الزوايا إلى تركيب تصور للنص يلقي الضوء على مستوياته المتعددة :التركيب والدلالة والاتصال.فالنص يمتاز بالخصائص التالية:

أ-كيان لغوي:فنحن لا نتصور النص خارج اللغة،ونقصد بها أساسا اللغة الطبيعية التي تحكمها مجموعة من القواعد النحوية والتركيبية،وبهذا فنحن نقصي من النصية جميع أشكال التواصل الاصطناعية كلغة الرياضيات أو المنطق أوالحواسيب....

ب-متوالية من الكلمات والجمل:وهذا يعني أن الكم اللغوي للنص،لا يمكن أن ينحصر في الكلمة وحدها أو الجملة وحدها،وإنما ينبغي أن يتكون من مجموعة من الكلمات والجمل.

ج-نسيج:ونعني بذلك أن يكون بين مجموع الكلمات والجمل علاقة ترابط وانسجام،ويمكن اعتبار هذه الخاصية جوهر البناء النصي،لارتباط كلمة نص بمعنى النسج من جهة،ولكون كثير من النظريات النصية اعتبرت الترابط والانسجام الذي هو من خصائص النسيج معيارا نصيا بامتياز من جهة ثانية.

د-مكتوب:وفي هذا إقصاء لكل مظاهر التواصل الشفوية والإشارية،وهذا ما أكّده بول ريكور حين قال:لنطلق كلمة نص على خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة.

ه-يتضمن رسالة:وبهذا لا يكون النص مجرد كلام يبث في الفراغ،وإنما يكون خطابا موجها من مرسل إلى متلق معين،أي تكون هناك قصدية من طرف المرسل في إنتاج هذا الخطاب وتبليغه،ولا شك في أن هذه القصدية يستدعيها سياق يساعد على تمتين التواصل بين طرفي الرسالة.

4- تقديم بطاقة نظرية تعريفية للسانيات النص(المفهوم والنشأة والأهمية)وفي سبيل تحقيق ذلك قمنا بمساءلة العلاقة القائمة مابين لسانيات الجملة ولسانيات النص،واكتشفنا أنها تمثل شبه قطيعة معها،وبيان ذلك أن لسانيات النص

تنطلق من لسانيات الجملة فالجملة هي الوحدة الأساسية في التعبير اللغوي،لكنهاتختلف عنها من حيث منهج الدراسة(تحليلي/تركيبي)،وموضوع الدراسة(الجملة/النص)،وغاية الدراسة(الوصف البنيوي/تحقيق الاتصال).

5-بيان مفهوم التماسك وإشكالية تلقي المصطلح في الدراسات اللغوية العربية الحديثة.فالتماسك هو ذلك الترابط الرصفي مابين الجمل والقائم على النحو والمعجم في مستوى سطح النص والمقصود بسطح النص الوحدات اللغوية الظاهرة التي ندركها بالحواس،ننطقها أو نكتبها.

6-التماسك نوعان:تماسك نحوي وهو التماسك الذي تبنيه معطيات نحوية،ومن أهم أدواته:الإحالة والاستبدال والحذف والربط.وتماسك معجمي وهو التماسك الذي يقوم على أساس ظاهرتين معجميتين وهما التكرار والمصاحبة المعجمية.

7-لقد وُظفت الإحالة بأنواعها المختلفة في سورة الكهف توظيفا فعّالا،بحيث أحكمت شبكة من العلاقات بين الآيات المتباعدة في سورة الكهف.وبالتالي فإن تتبع العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في النص من قبل المتلقي من شأنه أن يزوده بالهيكل الدلالي العام للسورة.بالإضافة إلى ذلك أظهر التطبيق قيمة الحذف في تماسك السورة،خاصة وأن القصص هو العنصر الغالب فيها.ثم إن الربط بنوعيه:المتصل والمنفصل قد ساهم بشكل لافت في ربط الآيات والوحدات(القصص)بعضها ببعض،وتجلى ذلك في توظيف أدوات العطف(الواو-ثم-والفاء)و كاف التشبيه في الربط المنفصل.

8-بيان مفهوم الانسجام،والذي يتمثل في ذلك الترابط القائم مابين أفكار النص ومفاهيمه في مستوى باطن النص،حيث وجدنا أن الانسجام تحكمه علاقات عديدة تجلت في التطبيق على السورة الكريمة،واستنتجنا أيضا أن الانسجام له ارتباط وثيق بالقارئ،لأن علاقات الانسجام يبنيها القارئ أثناء قراءته للنص.ومن أبرز العلاقات التي حققت الانسجام في سورة الكهف العلاقة السببية،علاقة التفصيل بعد الإجمال،علاقة الإجابة بالسؤال،علاقة

التعليل،وعلاقة التدرج،وعلاقة التأكيد،والعلاقة بين الكلام في الحوار،والعلاقة الحجاجية وعلاقة المقارنة أوالمفاضلة،وعلاقة التقابل.

9-استثمار نظرية "فاينرشWeinrich" في التحليل الدلالي للنص،والذي يقوم على أساس تجزيء النص إلى وحدات ومقاطع دلالية،تقوم بينها علاقات مختلفة(دلالية/بنائية)،كل مقطع من النص يساهم في بناء جزئية من الدلالة النصية.أي أن المقاطع النصية كلها تتضافر من أجل بناء الدلالة النصية الكبرى للنص.

10-قراءة بعض الآيات في ضوء السياقات المحيطة بالنص،فاللغة على صعيد الاستعمال التواصلي لا تعبر عن ذاتها لأن المعنى ليس متأصلا في كلماتها أو جملها،بل يتلبس بظروف إنتاجها،وعليه،إن ما يؤكّد عليه هذا المبحث أن الانسجام النصي يعتمد على معطيات لسانية(علاقات المنطقية بين القضايا أو المقاطع) وعلى معطيات خارج لسانية(أسباب النزول-أفعال الكلام.. ...)،وللقارئ أيضا نصيب وافر في بناء تأويله للنص وتحديده لمعالم الانسجام فيه.

لقد حاولت من خلال هذه الدراسة بالدرجة الأولى أن أدافع عن فكرة مفادها،أنّ عملية تحليل النص عملية معقدة متشعّبة تشعب الكلام نفسه،وعليه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نختزل التحليل النصي في مستوى واحد من مستويات اللغة،بل يتوجب على المحلّل أن يحيط بكافة المستويات اللسانية التي تنعكس فيها لغة النص:المستوى النحوي والدلالي والمعجمي والصوتي والتداولي...وقد سعيت جاهدا من خلال هذا العمل المتواضع،أن أكشف عن جانب بسيط وموجز من جوانب منهج نصي،يهدف إلى التعرف على معالم التماسك والانسجام في النصوص،وهو منهج يتطلب تضافر جهود باحثين كُثر ومن تخصّصات متعددة.لذلك أسأل الله عزّوجل أن يجعل هذه المحاولة سببًا في انطلاق بحوث ودراسات،تؤسّس وتنظّر لمنهج عربي متكامل لتحليل النصوص،تُدمج فيه مستويات اللغة المختلفة،وإنّ توظيف مثل هذا المنهج على النص القرآني الكريم من شأنه أن

يكشف عن وجوه جديدة من وجوه الإعجاز النصي،حيث إنّ تعالق الآيات وانسجام المعاني في السورة الواحدة،فيه من الدقة العجيبة ما يجعلنا نفكّر في تبني هذا المنهج النصي في وصف الخطاب وتحليله.

قائمة المصادر والمراجع

(أ)المراجع العربية:

-القرآن الكريم.

1- أبو خرمة (عمر)-نحو النص(نقد النظرية وبناء أخرى)-عالم الكتب الحديثة-إربد-الأردن ط 01-2004

2-أبو زنيد (عثمان)-نحو النص(إطار نظري ودراسات تطبيقية)-عالم الكتب الحديث-إربد-الأردن-ط01-2010.

3- أبو عفرة (محمد سالم)-السبك في العربية المعاصرة-مكتبة الآداب-القاهرة-مصر-ط 01- 2010-

4- ابن جني(أبو الفتح عثمان)-الخصائص-تح:محمد علي النجار-دار الكتاب العربي-بيروت-لبنان-1957
5-ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين)-لسان العرب-دار صادر-بيروت-لبنان-1956.
6- ابن هشام-مغني اللبيب-تح:محمد محي الدين عبد الحميد-المكتبة العصرية-مصر-ط01-1999.
7- ابن يعيش-شرح المفصل-مكتبة المتنبي-القاهرة-مصر-د.ط-د.ت
8--الأحمد(نهلة فيصل)-التفاعل النصي(التناصية النظرية و المنهج)-كتاب الرياض-الرياض-السعودية-ط01 – يوليو2002 .
9- الإستراباذي(رضي الدين)-شرح الرضي على كافية ابن الحاجب-تح:عبد العال-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ط01 – 2000.
10-الألوسي(شهاب الدين)-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني-دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان-د.ت-.
11-الأندلسي (أبو حيان)الغرناطي-البحر المحيط في التفسير-دار الفكر-بيروت-لبنان-2010.
12-أوشان(علي آيت)-السياق والنص الشعري(من البنية إلى القراءة)-دار الثقافة-الدار البيضاء-المغرب-ط1-2000
13-أوكان(عمر)-مدخل لدراسة النص و السلطة-إفريقيا الشرق-الدار البيضاء-المغرب-ط02 -1994.
14-بحيرى(سعيد حسن)-علم لغة النص:المفاهيم و الاتجاهات-مؤسسة المختار-القاهرة-مصر-ط02 – 2004.
15- بحيرى(سعيد حسن)- دراسات لغوية تطبيقيةفي العلاقة بين البنية و الدلالة-مكتبة الآداب-القاهرة-مصر-ط01 -2005 .
16-البطاشي(خليل بن ياسر)-الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب-دار جرير-عمان-الأردن-ط01 – 2009.
17-بن عاشور (الطاهر)-تفسير التحرير والتنوير-الدار التونسية للنشر-تونس-1984.
18-بن عبد الكريم (جمعان)-إشكالات النص:دراسة لسانية نصية-النادي الأدبي-الرياض-السعودية-ط01-2009.

19-الجابري(محمد عابد)-فهم القرآن الحكيم:التفسير الواضح حسب ترتيب الترول-مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-لبنان-ط01-2008.

20-الجرجاني(عبد القاهر)-دلائل الإعجاز-تح:محمود محمد شاكر-

21-جمال الدين(أحمد)-الجملة العربية:دراسة في المفهوم والتصنيف-كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية-جامعة القاهرة-مصر-فبراير-2005.

22-حسان (تمام)-البيان في روائع القرآن-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ط02-2000.

23- حسان (تمام)- مقالات في اللغة والأدب-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ط01-2006.

24- حميدة(مصطفى)-نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية-لونجمان-القاهرة-مصر-ط 01-1997.

25-حيدر(فريد عوض)-اتساق النص في سورة الكهف-مكتبة زهراء الشرق-القاهرة-مصر-ط01-2004.

26-خطابي (محمد)-لسانيات النص:مدخل إلى انسجام الخطاب-المركز الثقافي العربي الدار البيضاء-المغرب-ط02-2006.

27- دروزة (محمد عزة)-التفسير الحديث-دار إحياء الكتب العربية-1963.

28- الرازي (محمد فخر الدين)-التفسير الكبير-دار الكتب-بيروت-لبنان-1983.

29- الزبيدي (محمد مرتضى)-تاج العروس من جواهر القاموس-تح:عبد الستارأحمد فراج-مطبعة الكويت-الكويت-د,ط- دار الفكر-بيروت-لبنان-1977.

30- الزركشي-البرهان في علوم القرآن-تح:مصطفى عبد القادر عطا-دار الفكر-بيروت-لبنان-2001.

31- الزمخشري (جار الله أبو القاسم)-المفصل في العربية-دار الجيل-بيروت-لبنان-(د.ت).

32- الزمخشري (جار الله)-الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل-دار الفكر-بيروت-لبنان-ط01-1983.

33- الزمخشري(جار الله أبو القاسم)-أساس البلاغة-دار المعرفة-بيروت-لبنان-ط 01- 1989 -

34- الزناد (الأزهر)-نسيج النص(بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)-المركز الثقافي العربي-بيروت-لبنان-ط01-1993.

35- السامرائي(فاضل صالح)- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني-دار عمار-عمان-الأردن-ط 05- 2008.

36-السامرائي (فاضل صالح)-التعبير القرآني-دار عمار-عمان-الأردن-ط 06- 2009

37-السيوطي (جلال الدين)-معترك الأقران في إعجاز القرآن-تح:علي محمد البجاوي-مكتبة الدراسات القرآنية-دار الفكر العربي-بيروت-لبنان(د.ت).

38- السيوطي (جلال الدين)-الإتقان في علوم القرآن-تح:طه عبد الرؤوف سعد-المكتبة التوفيقية-القاهرة-د.ت.

39--الشاوش (محمد)-أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية-المؤسسة العربية للتوزيع-جامعة منوبة-تونس-ط01-2001.

40- الشهري (عبد الهادي بن ظافر)-استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)-دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-لبنان-ط01-2004.

41- الطبري (ابن جرير)-جامع البيان عن تأويل آي القرآن-دار الفكر-بيروت-لبنان-ط01-2001.

42- العبد (محمد)- النص والخطاب والاتصال-الأكاديمية الحديثة-القاهرة-مصر-ط01 – 2005

43-العبد (محمد)- اللغة و الإبداع الأدبي-الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-القاهرة-مصر-ط02 -2007.

44- العبد (محمد)- العبارة و الإشارة:دراسة في نظرية الاتصال-مكتبة الآداب-القاهرة-مصر-ط01-2007

45- عبد الرحمن (طه)-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام-المركز الثقافي العربي-بيروت-لبنان-ط 04-2010-

46- عبد اللطيف (محمد حماسة)-الإبداع الموازي-دار غريب-القاهرة-مصر-ط 01- 2003.

47- عبد اللطيف (محمد حماسة)- بناء الجملة العربية-دار غريب-القاهرة-مصر-2003

48- عبد اللطيف (محمد حماسة)- اللغة وبناء الشعر-دار غريب-القاهرة-مصر-ط 01- 2001

49- عبد اللطيف (محمد حماسة)-النحو والدلالة:مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي-دار غريب-القاهرة-مصر-ط01-2006.

50- عبد المجيد (جميل)-البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية-الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة-مصر-ط01- 1998.

51-عفيفي (أحمد)-نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي-زهراء الشرق-القاهرة-مصر-ط 01-2001 -
52- عياشي (منذر)-الأسلوبية وتحليل الخطاب-مركز الإنماء الحضاري-حلب-سوريا-ط 01- 2002.
53- فاخوري (عادل)-محاضرات في فلسفة اللغة-دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت لبنان-ط01-2013-
54- الفراء-معاني القرآن-تح:محمد علي النجار وآخرون- دار السرور-مصر-1955
55-الفراهيدي (الخليل بن أحمد)-كتاب العين-تح:مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي-دار و مكتبة هلال-د.ط-د.ت.
56-فرنسيس (مريم)-في بناء النص و دلالته(محاور الإحالة الكلامية)-وزارة الثقافة السورية-ط01-1988
57-فضل (صلاح)-بلاغة الخطاب وعلم النص-الشركة المصرية العالمية للنشر،لونجمان-القاهرة-مصر-ط01-1996.
58- الفقي (صبحي إبراهيم)-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-دار قباء-القاهرة-مصر-ط01-2000-
59- الفيروزأبادي-القاموس المحيط-شركة فن الطباعة-مصر-ط05-د.ت.
60- قطب (مصطفى)-دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغة الجاحظ و الزيات-جامعة القاهرة-مصر-1996.
61-قطب (سيد)-في ظلال القرآن-دار الشروق-القاهرة-مصر-ط03-1977.
62-القيرواني -العمدة في محاسن الشعر-تح:محمد قرقزان-دار المعرفة-بيروت-لبنان-ط 01- 1988.
63- ليلى (يوسف)-دور نحو الجملة في تفسير النص-بحث منشور في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية-كلية دار العلوم-جامعة القاهرة-مصر -فبراير-2005.
64- المبرد-المقتضب-تح:محمد عبد الخالق عضيمة-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-1994.
65-المتوكل (أحمد)-قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية(بنية الخطاب من الجملة إلى النص)-دار الأمان-الرباط-المغرب-ط 01- 2001.
66- المتوكل (أحمد)- الوظيفية بين الكلية والنمطية-دار الأمان-الرباط-المغرب-ط01-2003.
67- مصلوح (سعد)-في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية:آفاق جديدة-جامعة الكويت-ط01 -2003
-

68- مصلوح (سعد)- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص-ضمن الكتاب التذكاري لذكرى عبد السلام هارون-جامعة الكويت- 1991.

69- مصلوح (سعد)-في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية:آفاق جديدة-عالم الكتب-القاهرة-مصر-ط 01- 2006.

70- مصطفى (عادل)-فهم الفهم(مدخل إلى الهرمنيوطيقا)-دار النهضة العربية-بيروت-لبنان-ط01 – 2003.

71-مفتاح (محمد)-مساءلة مفهوم النص-منشورات كلية الآداب والعلوم-جامعة محمد الخامس-وجدة-المغرب-ط 01-1997.

72- محمد (عزة شبل)-علم لغة النص(النظرية و التطبيق)-مكتبة الآداب-القاهرة-مصر-ط02-2009.

73-مناع (عادل)-نحو النص(اتجاه جديد في دراسة النصوص اللغوية)-مصر العربية للنشر-القاهرة-مصر-ط01-2011.

74-المهيري(عبد القادر)وآخرون-أهم المدارس اللسانية-منشورات المعهد القومي لعلوم التربية-تونس-ط2-1990.

75-النحاس (مصطفى)-نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب-مكتبة ذات السلاسل-الكويت-ط01-2001.

76- يقطين (سعيد)-انفتاح النص الروائي(النص و السياق)-المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء-المغرب-ط 02- 2001.

77- يقطين (سعيد)- تحليل الخطاب الروائي-المركز الثقافي العربي-بيروت-لبنان-ط01 – 1989.

78-يونس (محمد علي)-مدخل إلى اللسانيات- دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت-لبنان-ط 01-2004.

<u>(ب)المراجع المترجمة إلى العربية:</u>

79- أرسطو- الخطابة-تح:عبد الرحمن بدوي-وزارة الثقافة- القاهرة-مصر-1959.

80- أركون(محمد)-القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني-ت:هاشم صالح-دار الطليعة-بيروت-لبنان-ط01-2001.

81- باسل حاتم وإيان ميسون-الخطاب والمترجم-ت:عمر فايز-جامعة الملك سعود-الرياض-السعودية-ط01-1998.

82- براون و يول-تحليل الخطاب-ت:محمد لطفي الزليطي و منير التريكي-جامعة الملك سعود-السعودية-ط 01- 1997.

83-برند شبلنر-علم اللغة والدراسات الأدبية-ت:محمود جاد الرب-الدار الفنية للنشر والتوزيع-ط01 – 1987.

84-جون أوستين-نظرية أفعال الكلام العامة-ت:عبد القادر قنيني-إفريقيا الشرق-الدار البيضاء-المغرب-ط2-2008

85- جون كوهين-بناء لغة الشعر-ت:أحمد درويش-زهراء الشرق-القاهرة-مصر-ط 01-1985 - ص190.

86- جون لاينز-اللغة و المعنى و السياق-ت:عباس صادق الوهاب-دار الشؤون الثقافية-بغداد-العراق-ط01 -1987 .

87-دي بوجراند ،درسلر-النص و الخطاب و الإجراء-ت:تمام حسان-عالم الكتب- القاهرة-مصر-ط 01-- 1998 .

88- رولان بارت-لذة النص-ت:فؤاد صفا و الحسين سحبان-دار توبقال-الدار البيضاء-المغرب-ط02 - 2001

89- رولان بارت-نظرية النص-ت:محمد البقاعي-ضمن كتاب:في النص و التناصية-مركز الإنماء الحضاري-حلب- سوريا-ط01-1998 .

90- رولان بارت-درس السيميولوجيا-ت:عبد السلام بنعبد العالي-دار توبقال-الدار البيضاء-المغرب-ط02-1986.

91- زتسيسلاف واورزنياك-مدخل إلى علم النص:مشكلات بناء النص-ت:حسن بحيرى-مؤسسة المختار-القاهرة-مصر-ط 01- 2003.

92- فان ديك و آخرون-في نظرية الأدب:مقالات و دراسات-ت:محمد العمري-كتاب الرياض رقم38 – السعودية.

93- فان ديك-علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)-ت:سعيد حسن بحيرى- مكتبة زهراء الشرق-القاهرة-مصر-ط02 – 2005.

94- فان ديك-النص و السياق-ت:عبد القادر قنيني-دار إفريقيا الشرق-الدار البيضاء-المغرب-ط01 – 2000.

95- فرانسوا راستيي-فنون النص و علومه-ت:إدريس الخطاب-دار توبقال-الدار البيضاء-المغرب-ط 01-2010.

96- كريستيفا(جوليا)-علم النص-ت:فريد الزاهي-دار توبقال-الدار البيضاء-المغرب-ط 01- 1991.

97- كولينج.ن.ي-الموسوعة اللغوية-ت:محي الدين حميدي و آخرون-جامعة الملك سعود-الرياض-السعودية-ط01 – 1421ه.

98- ميشيل أريفيه-السيميائية الأدبية-ت:رشيد بن مالك-ضمن كتاب(السيميائية أصولها و قواعدها)-منشورات الاختلاف-الجزائر-ط01 – 2002.

99- هاينه فولفجانج و ديتر فيهفيجر-مدخل إلى علم لغة النص-تر:حسن بحيرى-زهراء الشرق-القاهرة-مصر-ط01-2004.

(ج)المراجع الأجنبية:

100-Greimas&Courtes-SEMIOTIQUE:Dictionnaire raisonne de la theorie du langage-ed.Seuil.1972

101-F.Rastier-Sens et textualite-Hachette-Paris-1989

102-Michael Hoey-Patterns of lexis in text-Oxford university press-1991

103-Halliday and Rugaiya Hasan-cohesion in English-Longman-London-1976

104-J.M.Adam-Elements de linguistique textuelle-Bruxelles-Margada-1990

105- Judith w.Irwin –Cohesion and Comprehension-published by the international reading association-1986

(ج)المقالات و الدوريات:

1- مجلة رسالة الخليج--مكتب التربية العربي لدول الخليج:

-الجرف(ريما سعد)-مهارات التعرف على الترابط في النص في كتب القراءة-مكتب التربية العربي لدول الخليج-ع87

2-مجلة عالم الفكر-المجلس الوطني للثقافة-الكويت:

-عبد المجيد(جميل)-علم النص(أسسه المعرفية وتجلياته النقدية) -مج32 –ع 02- 2003.

- عبد السلام(بيومي)-التناص(مقاربة نظرية شارحة)-مج40 –ع01-2011.

- وهابي(محمد)-مفهوم النص-مج41 –ع02 –(أكتوبر-ديسمبر)- 2012.

3- مجلة العرب والفكر العالمي-مركز الإنماء القومي-بيروت-لبنان:

- كريستيفا(جوليا)-السيميائية علم نقدي أو نقد العلم-ت: أبي صالح- ع02-1988.

- بول ريكور-النص والتأويل-ت:منصف عبد الحق-مجلة العرب والفكر العالمي- ع03- 1988.

4- مجلة علامات في النقد:

- بحيرى(سعيد حسن)-اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص-مج10- ع38.

5- مجلة علوم اللغة- دار غريب-القاهرة-مصر:

- النجار(نادية رمضان)-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق(الخطابة النبوية نموذجا) -مج09- ع02-2006.

- عبد الكريم(أشرف)-العناصر المكوّنة لنظرية النص(إيزنبرج نموذجا)-مج09- ع04-2006.

6-مجلة فصول- القاهرة-مصر:

- مصلوح(سعد)-نحو أجرومية للنص الشعري-مج10 –ع(01-02)-جويلية،أوت- 1991.

7- مجلة اللغة والأدب-الجزائر:

- بن عروس(مفتاح)-في علاقة النص بالمقام(سورة الكهف نموذجا)- ع14-ديسمبر1999.

8-مجلة الموقف الأدبي- اتحاد الكتاب العرب-دمشق-سوريا:

- الوعر(مازن)-نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة- ع385-2003.

- إبرير(بشير)-من لسانيات الجملة إلى علم النص- ع401 –س34 -2004 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

-مقدمة..**(أ-ز)**

-المدخل(تحديد الإطار المعرفي للمقاربة اللسانية النصية)..................................02

أ-المقاربة الشكلية للغة..02

ب-المقاربة التواصلية للغة..05

الفصل الأول(لسانيات النص:قراءة في الأنموذج والمفاهيم)

-تحديد مفاهيمي للنص...15

1-مفهوم النص...16

-النص في ظل الرؤية النحوية...23

-النص في ظل الرؤية الدلالية...28

-النص في ظل الرؤية الاتصالية...32

-النص في ظل الرؤية السيميائية..35

-النص في ظل الرؤية العربية المعاصرة...44

2-النص/الأثر/المتن/الخطاب:تحديد العلاقة...52

3-تحوّل الدرس اللساني من الجملة إلى النص...57

3-1-مفهوم الجملة..58

3-2-مفهوم لسانيات الجملة(نحو الجملة)...66

3-3-لسانيات النص...69

أ-فضاء النشأة...69

ب-مسوّغات التحوّل من الجملة إلى النص.......................................71

ج-مفهوم لسانيات النص(نحو النص)..75

د-مهمة لسانيات النص... 78

4-لسانيات الجملة/لسانيات النص:أية علاقة؟......................................80

الفصل الثاني(تماسك النص في سورة الكهف):

1-مفهوم تماسك النص أدواته...90

1-1--مفهوم التماسك(لغة واصطلاحا)...90

1- 2-أدوات التماسك.. 96

1-2-1- الإحالة...102

أ-مفهوم الإحالة... 102

ب-أهمية الإحالة.. 105

ج-أنواع الإحالة ....

106

د-بنية الإحالة في النص...109

ه-التحليل النص لسورة الكهف من خلال الإحالة........................... 110
1-2-2-الحذف..155
أ-مفهوم لحذف..157
ب-تماسك النص عن طريق الحذف..158
ج-أنواع الحذف.. 158
د-التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الحذف...............................160
1- 2-3- الربط... 171
أ-مفهوم الربط...171
ب-أنواع الربط...172
ج-التحليل النصي لسورة الكهف من خلال الربط...............................174

الفصل الثالث(انسجام النص في سورة الكهف)

1-مفهوم انسجام النص وعلاقته الدلالية...185
أ-مفهوم الانسجام لغة.. 186
ب-مفهوم الانسجام اصطلاحا.. 186
ج-القارئ و بناء الانسجام النصي...188
د-قيمـــة الانسجـــام
النصي..190

2-علاقات الانسجام الدلالي في النص..192

3-انسجام موضوعات النص...233

4- انسجام النص في ضوء السياقات..248

5-انسجام النص في ضوء نظرية الأفعال الكلامية(البعد

التداولي)..............................255

خاتمة...262

قائمة المصادر والمراجع..268

فهرس الموضوعات...278

Summary :

This research tends primarily to draw a methodology for text analysis in order to reveal factors of cohesion and coherence in it , in order to contribute to the Arab theory of text analysis, and the means to achieve this objective was by the application on Surat "El Kahf", and the analysis has included many aspects of interdependence script : the linguistic , semantic , lexical and deliberative , Where it was interested in the internal structure of the text and its relationship to what is outside the text .

Key words: **text-text linguistics-cohesion-coherence-discourse-context**

Résumé :

Cette recherche vise principalement à élaborer une methodologie pour l'analyse du texte afin de revéler les facteurs de cohésion et de coherence dans ce système afin de contribuer à la théorie arabe de l'analyse de texte, et les moyens pour atteindre cet objectif est par l'application sur sourate "El Kahf", et a inclus l'analyse de nombreux aspects du script de l'interdépendance : la structure linguistique, sémantique, lexicale et délibérative, Où il s'intéresse à la structure interne du texte et de sa relation à ce qui est en dehors du texte.

Mots clés ; texte-linguistique textuelle-la cohesion-la coherence- textualite-le discours-contexte

الملخص :

يسعى هذا البحث ، بالدرجة الأولى ، إلى رسم منهج لتحليل النص بغية الكشف عن عوامل التماسك والانسجام فيه ، من أجل الإسهام في نظرية عربية لتحليل النص ، و كانت وسيلة هذا الهدف هي التطبيق على سورة " الكهف"، و قد شمل التحليل جوانب عديدة من جوانب الترابط النصي : الجانب النحوي ، والدلالي ، و المعجمي والتداولي ، حيث اهتم بالبنية الداخلية للنص وعلاقتها بما هو خارج النص .

الكلمات المفاتيح: النص-لسانيات النص-التماسك-الانسجام-النصية-الخطاب-السياق

ملخص رسالة الدكتوراه"تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف(مقاربة في ضوء لسانيات النص)"

يعدّ إنتاج الدلالة النصية الكبرى واحدا من الإمكانات اللسانية والأسلوبية،التي تقدمها منطوقات مختلفة في النص القرآني،وإذا كانت الدراسة اللسانية النصية للدلالة على المستوى اللغوي العام من الأهمية بمكان،فإن دراستها في لغة القرآن الكريم خاصة،تعدّ عظيمة الخطر،شريفة القدر.إن تشكل اللغة نصا،أيا كان نوعه،هو بمعنى من المعاني اجتراح لسانياتها،لأن مجرد امتلاك بنية خاصة بإنتاج دلالة يعني امتلاك النص لسانيات خاصة به،ولهذا الأمر يقوم النص بتوجيه عملية التلقي في ضوء خصوصية بنائه اللساني،وعليه يتحتّم علينا ألّا نعامل الخطابات كما نسمعها في هيأتها كنصوص،كمجموعة من الأدلة اللسانية،فلا وجود لخطاب بدون أدلة،لكن ما تنجزه هذه الخطابات يتجاوز مجرد استخدام الأدلة للدلالة على الأشياء،هذا التجاوز بالذات هو ما يجعلها غير قابلة للاختزال في اللغة أو الكلام.فالنص نظام خاص يقطع لسانيات اللغة،وهو كلام متميز يتقاطع مع العالم المرجعي لتحلّ بنيته،وأيضا،الرؤية الناتجة عنها داخل ثنائية(اللغة/الواقع)،بالقدر الذي تكون نقاط تقاطعه معها-باعتبار هذه النقاط نقاط التقاء نوعي-ذات وظيفة تقوم بالتأشير على انصال

النص عن الواقع من خلال اتصاله به،وتضمن ماهية النص في الخط الإحداثي الوصل بين أقصى نقاط الاتصال ونقاط الانفصال.

فلسانيات النص تتميّز داخل لسانيات اللغة ذاتها،لذا ترى (جوليا كريستيفا)النص كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان.فالنص،إذن،إنتاجية وهو ما يعني أن علاقته باللسان الذي يتموضع داخله هي علاقة إعادة توزيع(هدم/بناء).وهنا يتميز علم النص عن علم اللغة،ليتحدد الأول في دراسة الملفوظات اللغوية والأشكال والبنى المختصة بها التي لا يمكن وصفها بواسطة القواعد اللغوية،ومن ثمّ فإن النص قابل للتناول عبر المقولات اللسانية الخالصة،باعتبار المنطق في نهاية الأمر نظرية الشروط التي يجب أن تتوفر للاستنتاج الصحيح،وبتعبير آخر، نظرية الشروط التي يجب أن تتوفر لخطوات بناء الدلالة الكلية،هذه الشروط التي تشكّل سلّم الصعود من الظاهرة في حدّ ذاتها(وهي جزئية)إلى التصوّر الذي يبلغ اكتماله بقدر ما يمتلك من كلية وشمول،فالانتقال يكون من العمل كظاهرة مادية محسوسة إلى النص كبناء دلالي...ومنذ القديم تتجاذب النص أطراف عديدة،ومناهج من التحليل مختلفة،ولعل أبرز هذه الأطراف اهتماما بالنص طرفان وهما:علم اللغة والنقد الأدبي،وقد شهد الدرس اللغوي تطوّرا هائلا،وتنوّعت مدارسه عبر الزمن مفرزة إمكانات

جديدة لتحليل النصوص ومضفية صرامة علمية على المعرفة الدلالية والتلقي التأويلي،حيث إنها زوّدت القراءة بطرائق إجرائية،تعمل على كشف الخصائص النوعية للإنتاج الأدبي بالعتماد على بنيته العامة وعلى البنى الجزئية المشكّلة له،بهدف سبر أغواره وإماطة اللثام عن بنيته العميقة.وتعتبر اللسانيات النصية من أحدث الاتجاهات اللسانية في مقاربة النصوص،فهي ترى بأن الصفة القارّة في النص هي صفة الإطراد والاستمرارية،وهي صفة تعني التواصل والتتابع بين الأجزاء المكوّنة للنص،وبصيغة أخرى تعني أنه في كلّ مرحلة من مراحل الخطاب نقاط اتصال بالسابقة عليها،وهذه الاستمرارية تتجسّد في سطح النص أو ظاهره(والمقصود به الأحداث اللغوية التي ننطق بها ونسمعها في تعاقبها الزمني،والتي نخطّها أو نراها بما هي كمّ متصل على صفحة الورق،وهذه الأحداث أوالمكوّنات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية،ولكنها لا تشكّل نصا إلا إذا تحقّق لها من وسائل التماسك ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته،والمعيار المختص برصد هذه الاستمرارية وتجسيدها هو التماسك(Cohesion)وهو نوعان:

التماسك النحوي:ويتحقق عبر وسائل أو ظواهر لغوية عديدة منها الإحالة والحذف والاستبدال والربط بنوعيه المتصل والمنفصل.

التماسك المعجمي:ويتحقق عبر ظاهرتين لغويتين،وهما التكرار والمصاحبة المعجمية.

وإذا كان معيار التماسك يختصّ برصد الاستمرارية المتحققة في ظاهر النص فإن الانسجام هو المعيار الذي يختص بالاستمرارية المتحققة في باطن النص،وهي الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين المفاهيم.وتكثر أنماط العلاقات التي تؤسّس للانسجام النصي،وخاصة في النص القرآني المعجز،من سببية وحجاجية،وتفصيل بعد إجمال ومقارنة،والسؤال والجواب والتعليل وغيرها.

لقد بات للترابط النصي(التماسك والانسجام)حضور واجب في أي نص،ذلك أن كل جملة تمتلك بعض أشكال الترابط عادة مع الجملة السابقة،ومن جهة أخرى،كل جملة تحتوي على الأقل-على رابطة واحدة تربطها بما حدث مقدّما،وبعضٌ آخر من الجمل يمكن أن يحتوي على رابطة تربطه بجمل لاحقة.وإذا خلا النص من هذه الأدوات سواء أكانت شكلية أم دلالية،فإنه لا يصبح نصا بل مجرد ركام من الجمل التي لا يربط بينها رابط،فهي جسد بلا روح.

ومن علماء اللغة من جعل الترابط بين الجمل قائما على الترابط بين الظروف المحيطة بها،فترتبط العبارتان فيما بينهما،إذا كان مدلولهما،أي الظروف المنسوبة إليهما في

التأويل،مترابطة فيما بينها،فحين ننظر إلى السور القرآنية نلاحظ أن فيها آيات متجاورة،وقد اختلفت مناسبات النزول في كل منها،ومع ذلك فهي تحقق قيمة الترابط،ومردّ ذلك إلى وحدة الموضوع،فالعديد ممن السور المكية تتحدث عن قصص مختلفة من قصص الأنبياء مع العلم أن لكل نبي قصة مع قومه،وقد يظن الظان أن هذه القصص غير مترابطة فيما بينها،ولا شك أن هناك رابطا دلاليا بين هذه القصص.وهذا ما أحاول الكشف عنه من خلال هذه الدراسة،وذلك بتوظيف علوم متداخلة ومناهج متنوعة في قالب لساني نصي،فما هي الأدوات والوسائل الكفيلة بتحقيق تماسك النص وانسجامه في سورة الكهف؟ثم ما هي طبيعة الترابط النصي؟وماهي أهميته؟وما هو دور الكشف عنه،من خلال تلقي النص القرآني المعجز؟

وإذا كان العارفون بنظرية لسانيات النص،يدركون ما لهذا التوجه في السنوات الأخيرة من توزعات شتى:عند البلاغيين واللغويين الوظيفيين،واللغويين الاجتماعيين،واللغويين النفسيين،وعلماء النفس المعرفيين،واللغويين التطبيقيين،بل عند علماء التعليم والباحثين في الإنشاء،وعند علماء تحليل الخطاب وغيرهم.فإن هذا البحث،قد مال ميلا شديدا إلى نهج اللسانيين النصيين واللسانيين الوظيفيين في تعاملهم مع كيفيات تحليل الخطاب.ويتضمن

التحليل النصي عندهم دراسة العلاقات بين الشكل والمضمون والوظيفة،في شرائح لغوية أكبر عادة من الجملة أو المنطوق،ويتضمن تحليل الخطاب عند علماء لسانيات النص،دراسة بنية النص لفحص التنوّع في أنماطه،أو اختبار السمات اللغوية المحددة لبنيته.وإذا كانت علوم النحو واللغة والبلاغة والتفسير وعلوم القرآن،قد نهضت مع النص القرآني وبه،على اختلاف فيما بينها في الاختصاص والغاية،فإن التحليل النصي في النص القرآني الكريم،لن يكون بحال من الأحوال تحليلا لغويا متكاملا،إلا إذا أفاد حقا من معطيات هذه العلوم جميعا،وذلك أمر مهم،وإن الانقطاع عن القديم-عند اقتضاء الاتصال به-في أي بحث جديد،يصبح مضرة للبحث ذاته،وإضعافا من قيمته في تأسيس بناء معرفي متين في مجال اختصاصه،فالتأصيل النظري وسعة الأفق التطبيقي،يوجبان الاتصال بالقديم،والبناء عليه بأساليب جديدة،وهو اتصال لا يتوقف عند ما يسعفنا به في مجال التطبيق،بل يتجاوزه إلى تحري المستندات النظرية والفكرية الأصيلة التي تعمّق تعاملنا مع النص،وتوسّع معرفتنا به،ويظل صنيعنا في كل ذلك إفادة وبناء.

وتقع الدراسة في ثلاثة فصول مسبوقة بمدخل،وكان الحديث في المدخل حول الإشارات النصية في التراث العربي النقدي والبلاغي والنحوي،وتحديد الإطار المعرفي الذي

تندرج فيه المقاربة اللسانية النصية المتبناة في الدراسة،وقد انصبّ التركيز على جهود المفسّرين القدماء لعلاقتها الوثيقة بموضوع الدراسة.أما الفصل الأول فكان بعنوان:لسانيات النص(قراءة في الأنموذج والمفاهيم)وهو عرض تنظيري للسانيات النص ألقى الضوء على مفاهيمها الأساسية ونشأتها،واتجاهات البحث فيها ومنهجها وأهميتها في البحث اللغوي الحديث.كما ناقش أيضا مسألة العلاقة القائمة ما بين لسانيات الجملة ولسانيات النص،هل هي قطيعة تامة أم امتداد لها؟أما الفصل الثاني فعنونته بـــــ"تماسك النص في سورة الكهف"وهو فصل إجرائي يهدف إلى بيان صور التماسك النصي المتعددة في سورة الكهف،وقد مهّدت له بالحديث عن مفهوم التماسك لغة واصطلاحا،وقيمته،وبيّنت أدواته وأنواعه.وبعد ذلك حاولت أن أتبين التماسك عمليا وإجرائيا من خلال السورة الكريمة.أما عن الفصل الثالث والموسوم بـــــ"انسجام النص في سورة الكهف"فهو فصل إجرائي أيضا وقد مهّدت له بالحديث عن مفهوم الانسجام لغة واصطلاحا،ثم تعرضت لأنواعه وأهميته،وقدمت تعريفا لعلاقاته الكثيرة.ثم بعد ذلك حاولت تبين مواطن الانسجام في السورة الكريمة.وفي ختام البحث لخصت أهم النتائج التي تحصلت عليها من جراء تطبيق المنهج النصي على تحليل سورة الكهف.

وقد حاولت توظيف كل ما يمكن توظيفه من المعطيات النظرية العربية القديمة والوافدة الحديثة والمعلومات المتوفرة من العالم الخارجي للنص وكذا الإشارات اللغوية والبلاغية والمعلومات الإحصائية...من أجل فهم النص من جهة وخدمة أهداف البحث ،والتي تمثلت في ما يلي:

في الفصل الأول:

وهو عبارة عن قراءة في القضايا الأساسية في أنموذج لسانيات النص،ومن النتائج التي خلصنا إليها في هذا الفصل:

-أن النص مصطلح إشكالي،ومرد ذلك إلى تعدد مفاهيمه بتعدد مستوياته،فهناك من عرفه من زاوية نحوية بنيوية،وهناك من قاربه من زاوية دلالية،أو من زاوية تداولية،أومن ناحية سيميائية.لذلك بات من الضروري أن نحدّد تصوّرا واضحا لمفهوم النص باعتباره موضوع لسانيات النص،وقد خلصنا بعد عرض كل الزوايا إلى تركيب تصور للنص يلقي الضوء على مستوياته المتعددة :التركيب والدلالة والاتصال.فالنص يمتاز بالخصائص التالية:

أ-كيان لغوي:فنحن لا نتصور النص خارج اللغة،ونقصد بها أساسا اللغة الطبيعية التي تحكمها مجموعة من القواعد النحوية والتركيبية،وبهذا فنحن نقصي من النصية جميع أشكال التواصل الاصطناعية كلغة الرياضيات أو المنطق أو الحواسيب....

ب-متوالية من الكلمات والجمل:وهذا يعني أن الكم اللغوي للنص،لا يمكن أن ينحصر في الكلمة وحدها أو الجملة وحدها،وإنما ينبغي أن يتكون من مجموعة من الكلمات والجمل.

ج-نسيج:ونعني بذلك أن يكون بين مجموع الكلمات والجمل علاقة ترابط وانسجام،ويمكن اعتبار هذه الخاصية جوهر البناء النصي،لارتباط كلمة نص بمعنى النسج من جهة،ولكون كثير من النظريات النصية اعتبرت الترابط والانسجام الذي هو من خصائص النسيج معيارا نصيا بامتياز من جهة ثانية.

د-مكتوب:وفي هذا إقصاء لكل مظاهر التواصل الشفوية والإشارية،وهذا ما أكّده بول ريكور حين قال:لنطلق كلمة نص على خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة.

ه-يتضمن رسالة:وبهذا لا يكون النص مجرد كلام يبث في الفراغ،وإنما يكون خطابا موجها من مرسل إلى متلق معين،أي تكون هناك قصدية من طرف المرسل في إنتاج هذا الخطاب

وتبليغه،ولا شك في أن هذه القصدية يستدعيها سياق يساعد على تمتين التواصل بين طرفي الرسالة.

-ومن نتائج الفصل الأول أيضا تقديم بطاقة نظرية تعريفية للسانيات النص(المفهوم والنشأة والأهمية)وفي سبيل تحقيق ذلك قمنا بمساءلة العلاقة القائمة مابين لسانيات الجملة ولسانيات النص،واكتشفنا أنها تمثل شبه قطيعة معها،وبيان ذلك أن لسانيات النص تنطلق من لسانيات الجملة فالجملة هي الوحدة الأساسية في التعبير اللغوي،لكنهاتختلف عنها من حيث منهج الدراسة(تحليلي/تركيبي)،وموضوع الدراسة(الجملة/النص)،وغاية الدراسة(الوصف البنيوي/تحقيق الاتصال).

وبالنسبة **للفصلين الثاني والثالث** فهما فصلان تطبيقيان،وقد عنونت **الفصل الثاني** بـــــــــتماسك النص في سورة الكهف،ومن أهم النتائج التي خلصت إليها فيه:

-بيان مفهوم التماسك وإشكالية تلقي المصطلح في الدراسات اللغوية العربية الحديثة.فالتماسك هو ذلك الترابط الرصفي مابين الجمل والقائم على النحو والمعجم في مستوى سطح النص والمقصود بسطح النص الوحدات اللغوية الظاهرة التي ندركها بالحواس،ننطقها أو نكتبها.

-التماسك نوعان:تماسك نحوي وهو التماسك الذي تبنيه معطيات نحوية،ومن أهم أدواته:الإحالة والاستبدال والحذف والربط.وتماسك معجمي وهو التماسك الذي يقوم على أساس ظاهرتين معجميتين وهما التكرار والمصاحبة المعجمية.

-لقد وُظفت الإحالة بأنواعها المختلفة في سورة الكهف توظيفا فعّالا،بحيث أحكمت شبكة من العلاقات بين الآيات المتباعدة في سورة الكهف.وبالتالي فإن تتبع العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في النص من قبل المتلقي من شأنه أن يزوده بالهيكل الدلالي العام للسورة.بالإضافة إلى ذلك أظهر التطبيق قيمة الحذف في تماسك السورة،خاصة وأن القصص هو العنصر الغالب فيها.ثم إن الربط بنوعيه:المتصل والمنفصل قد ساهم بشكل لافت في ربط الآيات والوحدات(القصص)بعضها ببعض،وتجلى ذلك في توظيف أدوات العطف(الواو-ثم-والفاء)و كاف التشبيه في الربط المنفصل.

وقد كان عنوان **الفصل الثالث**:

انسجام النص في سورة الكهف،وفيه بحث عن الطرق الكفيلة بتحقيق الانسجام في السورة.وكان من أهم نتائجه:

-بيان مفهوم الانسجام،والذي يتمثل في ذلك الترابط القائم مابين أفكار النص ومفاهيمه في مستوى باطن النص،حيث وجدنا أن الانسجام تحكمه علاقات عديدة تجلت في التطبيق على السورة الكريمة،واستنتجنا أيضا أن الانسجام له ارتباط وثيق بالقارئ،لأن علاقات الانسجام يبنيها القارئ أثناء قراءته للنص.ومن أبرز العلاقات التي حققت الانسجام في سورة الكهف العلاقة السببية،علاقة التفصيل بعد الإجمال،علاقة الإجابة بالسؤال،علاقة التعليل،وعلاقة التدرج،وعلاقة التأكيد،والعلاقة بين الكلام في الحوار،والعلاقة الحجاجية وعلاقة المقارنة أوالمفاضلة،وعلاقة التقابل.

-استثمار نظرية "فاينرش" في التحليل الدلالي للنص،والذي يقوم على أساس تجزيء النص إلى وحدات ومقاطع دلالية،تقوم بينها علاقات مختلفة(دلالية/بنائية)،كل مقطع من النص يساهم في بناء جزئية من الدلالة النصية.أي أن المقاطع النصية كلها تتضافر من أجل بناء الدلالة النصية الكبرى للنص.

-قراءة بعض الآيات في ضوء السياقات المحيطة بالنص،فاللغة على صعيد الاستعمال التواصلي لا تعبر عن ذاتها لأن المعنى ليس متأصلا في كلماتها أو جملها.بل يتلبس بظروف إنتاجها،وعليه إن ما يؤكّد عليه هذا المبحث أن الانسجام النصي يعتمد على معطيات

لسانية(علاقات المنطقية بين القضايا أو المقاطع) وعلى معطيات خارج لسانية(أسباب النزول-أفعال الكلام...)،وللقارئ أيضا نصيب وافر في بناء تأويله للنص وتحديده لمعالم الانسجام فيه.

INTRODUCTION

In the name of God the Merciful Praise be to Allah , and peace and blessings be upon the Prophet Muhammad and his family and companions,and after,

This research in text linguistics , which is one of the modern sciences, dated back to four decades ago, which falls within the applied linguistics , as interested in analyzing texts as totalities , surpassing the sentences , and by focusing on inter relations that connect the sentence units and its text sections. These relations have been rationing her in the light of this new science , which led to categorize it into two chief parts : cohesion and coherence and each of them have its tools and methods , and must be manifested when vocalization of these relations , because they are the most important criteria for the text ;as a result ,I have chosen for this search the title : " Text cohesion and its coherence in the surat of - the cave- (AL-Kahf) (approach in the light of text linguistics) . "

Textual analysis and trends in linguistics multiple text , can be classified as the most important in six directions:

1 -A side cares about the grammar , and another interested in the link between sentences , and the direction of the retail grammatical text at (Weinerich) .

2 –A side cares about the semantic aspect , and from the model features as lexical signs of bonding scripts.

3 –A side cares about the communicative direction , and it has the theoretical text model (Isenberg) in 1976 .

4 –A side cares about the psychological aspect .

5 - The (Van Dijk) has presented his grammar model by which he broadened the concept of grammar as to gather in his model among a number of aspects raised in the past trends , those aspects are: the grammar , semantic and communicative deliberative . , And so did (De Beaugrande) which enjoined to look at the text through three dimensional structure which consist of . Formation, which comes from grammatical cohesion. Meaning, which concerns the intellectual interdependence; and deliberative, which o regards the plans , objectives and actions that are used by the text in order to achieve its objectives.

6 - Text grammatical and semantic analysis Model submitted by (Pitofi) which is close to the model of (van Dijk) ,which not only did the analysis of the text to reveal the internal relations in the text , But has expanded to a group of external meanings of the text, besides, the additional ,the indicative and the deliberative meanings and others, Each text according to what is available in these groups .

It goes without saying that every direction (aside) of these trends _ Prior to the direction of Van have at least _ is not enough to understand the text , because the text has forked aspects , and perhaps the lack of validity of one of its ways in order to reach a true understanding and comprehensive text is due to the fact that each direction of which looked at the text from only one or two sides ,therefore it did not absorb all its aspects.It has become indispensable that the texts cannot be taught by only one theory ... but there must be several theories that each of them

depicts specific aspects of the text , then it can be incorporated into a general and comprehensive theory of the text.

So , text linguistics still note in the process of theorizing , hence we decided that we take in our study, this approach that involves a number of aspects , namely the grammar , the lexical and the semantic ones , including the context of the case , and the deliberative which we link whereby the internal structure of the text and the world external reference , and this should be a concerted trends or means not incongruous , and not incompatible ,in other words , if it is launched towards one way led to the same result from another direction .

What prompted me to choose this topic is my belief that the text needs a holistic approach , and by this concept the text overcomes all the limits of the significance and the eloquence standards of the text , as it exceeds all the traditional reading habits and the well-known ways of grammar analysis that served the language for centuries , and still , this text is achieved, which is not analyzed grammatically , but by taking into account the interaction and interdependence between the body of the text in one hand, and its implications on the other hand , as well as by taking into account above all , who is part of the construction in the lingual text analysis. and the lack of applied text linguistics researches in the Arab library , and the urgent need for the definition of this approach , I'm trying through this research to analyze surat ‘ Al kahf ‘ in a contemporary textual analysis , through answering some fundamental questions :

What is the nature of this theory ? What are its objectives? And how can we analyze texts through it? , What is its new contributions that contributed with before other earlier linguistic schools ? If it has roots in the Arab heritage ? , And other questions that prompted my curious knowledge to try to answer them.In addition to this,what has made me select ‘surat Al Kahf ‘ is the unity of the subject itself , because the dominant component of the stories is narration , it contained

five stories , the study imposes the existence of a semantic thread that combines them.

The study was based on the description and analysis , manifested first in the presentation of the data of the lingual text model , focusing on privacy and procedures in dealing with texts , while the second represents the action that was the great Qur'anic text 'Surat Al-Kahf ' a scene for it.

The research occurred in three chapters unprecedented by an entrance where l talked about determining the framework to which the text lingual approach belongs to , exemplified in the direction of the communicative study of the language i-e language study during use , I also discussed some script references that were distributed in the rhetorical western and Arab heritage , with reference that the signals or cues does not mean the scientific model that is built on a pattern of actions and logical organization.

As for The first chapter it was titled : Text linguistics (readings in the model and concepts) , a theoretical view of text linguistics that shed light on its basic concepts and origins , its approach and its importance in the modern linguistic research .It Also discussed the issue of the relationship between sentence linguistics and text linguistics , is it a complete break or stretch between them ?

The second chapter was entitled " the cohesion of the text in surat 'Al Kahf' a procedural chapter aims to state images of multi script cohesion in "Surat al Kahf " , I have paved the way to speak about the concept of language cohesion linguistically and idiomatically , and its value , and showed its tools and types . Then , I tried to discern cohesion practically and procedurally through " Surat Al Kahf ".

The third chapter which is labelled as " Text harmony in Surat "Al Kahf " is a procedural chapter too,I have started it by talking about the concept of harmony linguistically and idiomatically , and then I exposed its types and

importance, and I provided a definitionfor its several relations . Then I tried to show images of harmony in “Surat Al Kah” through the analysis of the semantic relations in this Surat, and the investment of the view of (Weinerich) , which is based on the fragmentation of the text to the semantic units , including horizontal and vertical relationships in order to reach the overall significance of the text.

In conclusion of my research I have summarized the main results obtained by the application of the textual approach on the analysis of “Surat Al Kahf” . I have tried to harness all of the data from ancient Arabic theory ,to use modern and available information from the outside world of the text, as well as linguistic and rhetorical signals and statistical information ... in order to understand the text on the one hand and serve to reach the objectives of the research on the other.

I would like to acknowledge some of the important references that I had relied on in my research paper , and the most important book: the consistency of the text in ‘Surat Al Kahf’ of Professor Dr. Farid Awad Haider , where he drew an integrated approach that combines several aspects of the text , but he did not study the complete Surat , but dealt with only two stories : the story of the Companions of the Cave(ashab al kahf) , and the story of the bicorn . as I have found in theancient interpretations of the text many directives that made analysis easier , the most important is :’ the spirit of the meanings ‘of Alussi , and’ Searchlight’ Zmkhcri , and’ inclusive statement’ of Zrkachi , and’ modern interpretation’ of Muhammad Izzat Darwaza .

To conclude , and to be fair and loyal ,I have mention my sincere gratefulness and my appreciation to my teacher Dr .LARABI LAKHDAR who has honoured this modest work,and for his objective supervision , and renewable thanks to him because he has directed me and supported me as a father to his son ...He has also provided me withvaluable and rare references .. I would also like to

thank the gentlemen, dear members of the Scientific Committee to discuss the acceptance of this search.

Mostefaoui Djalal

31August2013

Sabra-Tlemcen

CONCLUSION

The ultimate goal , which this study seeks to achieve is to propose parameters of a practical method for the text analysis, in which analyst focuses on the detection of the means and modalities through which sentences of the text and its sections are linked on a shallow and horizontal level (cohesion script) , and the mechanisms through which text's ideas and concepts are linked together at a vertical or internal level (Coherence script).

Since text linguistics approach methodology has framed this study , the talk focused on endoscopy for its legibility and procedures at the entrance and in the first chapter , this has resulted in theorizing the following results:

1 – The text linguistic approach falls within the communicative trend in the study of language , text linguistics was limited in its infancy in terms of structure (morphology and syntax), the structural semantics and the phonological component , but then evolved to include data outside the lingual aspect, where its approach focused on the triad of trends which are: formation, significance , and deliberation. It is then, studying the language of the text during its use by people

in the community ,it has become linking the language of the text with its users and with the conditions of its production .

2 - To differentiate between the scripts signals or precursors , and the scientific model built on hypotheses and on organized logical procedures that determine its theme, approach and purpose . Text linguistics is a modern scientific doctrine deals with the study of the text in its entirety , taking into account its communicative dimension , ie, that the text is its theme , and the formation is its approach , and to achieve communication is its purpose .

Though the care of the text as a whole was found in the Arab and Western heritage , it hadn’t been materialized in the form of an organized theory that had its own dimensions and applications .

3 - That the text is a problematic term, owing to the multiplicity of its concepts and the multiplicity of its levels , there are those who knew it from a grammatical structural view , and others perceived it from a semantic view , or from a deliberative one, or from semiotic concept . So it has become necessary to define a clear vision of the concept of the text as a Multi linguistics text , we have come after viewing all angles to visualize a conception of the text sheds light on multiple levels : Formation, semantics and communication. The text is characterized by the following characteristics:

A - a linguistic entity : we do not imagine the text outside of language, we mean the natural language mainly the one governed by a set of grammatical and synthetic , and thus we eliminate the text of all its artificial and communicative as the language of mathematics or logic ...

B - a sequence of words and sentences : This means that the linguistic quantum of the text, can not be confined to a word or a phrase alone , but should consist of a set of words and sentences .

C - Texture: I mean that a correlation and harmony should be established between the total words and sentences , and can be considered as the essence of building the script , to link the word text of the sense of tissues on the one hand , and the fact that many of the text theories considered coherence and harmony , which is one of the characteristics of the texture, a textual standard on the other hand .

D - written : In this, there is an exclusion of every manifestation of oral and indicative communication, and this was confirmed by Paul Ricoeur when he said:Let's call the word 'text' to a speech that has been installed by writing .

E - includes a message : In this text is not just talk broadcast in a vacuum , but rather a speech directed from a sender to an appointed receiver, i.e there must be an intention by the sender in the production of this discourse , there is no doubt that this intention invokes a context that helps to strengthen communication between the two parts of the letter .

4 – The induction of a theoretical card of text linguistics (Concept, Evolution and importance) In order to achieve this, we have the accountability relationship between sentence linguistics and text linguistics , and we discovered it represents a quasi- break with it , and a statement that the text linguistics that runs from sentence linguistics . The sentence is the basic unit of linguistic expression , but it is different from them in terms of the curriculum (analytic / synthetic) , the subject of the study

(sentence / text) , and the purpose of the study (Description structural / achieve contact) .

5 – Clarification of the concept of cohesion, and the problematic of receiveing the 'term' in linguistic studies of modern Arabic . Cohesion is that organized interdependence between sentences, based on grammar, lexicon in the level of the surface of the text (what is meant by surface of the text,is the apparent linguistic

units, which we do reckon with senses ,we utter it or write it .
6 – cohesion is of two types: The first is the grammatical cohesion , which is built through grammatical data , and among its most important tools : referral , replacement , deletion and connectivity .Where as the second is the lexical cohesion which is based on two phenomena : Repetition and lexical redundancy.
7 - Referral was used of its various kinds in 'Surat al Kahf' in an effective way , so a network of relations has tightened divergent verses in 'Surat Al Kahf '.

Consequently, the following referral and indicative elements in the text by the receiver , would provide him with the general semantic structure of the Surat (Al –Kahf). Additionally application showed the value of deletions in the cohesion of the surat, especially since narration is the predominant element in it. Then the linkage of its both types : the attached and the unattached has contributed remarkably to link the verses and units (narration) to each other , and was manifested in the recruitment tools ampersand (and - then - so) and (such) of simile in unattached linking.

8 – Clarification of the concept of harmony , which is based on the interdependence between the ideas of the text and concepts at the level of the depth of the text , where harmony is governed by many relationships manifested in the application on the precious surat 'Al kahf ' , and we conclude also that his harmony is closely linked to the reader. Among the most prominent relations that have achieved harmony in this precious surat we have the ; causal relationship , retail after summing, answering by the question ,reasoning relationship, the confirmation relationship, the relationship between words in the dialogue ,and the relationship of juxtaposition .

9 – The Investment of the Theory of " Veinerh " in the semantic analysis of the text , which is based on splitting the text into units and semantic sections , are

including different relationships (semantic / structural) , each section of the text contribute to building a partial indication text .

10 - Read some verses in the light of the contexts surrounding the text , language at the level of communicative use do not express themselves because the meaning is not inherent in its words or sentences , but characterize by the conditions of its production , and therefore , what is confirmed by this section is that coherence script, is based on lingual data (logical relationships between issues or sections) and the outside lingual data (reasons to get off - actions of speech .....) , and the reader has also a large share in the construction and interpretation of the text .

العدد : 12
مــاي 2012

مجلة اللغة والإتصال

مجلة علمية محكمة
يصدرها مختبر اللغة العربية و الإتصال
جامعة وهران الجزائر

المراسلات
مختبر اللغة العربية و الاتصال جامعة وهران الجزائر
الهاتف : 51 80 20 71 07 الهاتف فاكس : 40 25 58 041
البريد الإليكتروني : Redenchef@yahoo.fr

"نماذج وصف النص"
(من الرؤية النحوية إلى الوظيفة الاتصالية)

الأستاذ: مصطفاوي جلال، جامعة معسكر

تقديم

في خضم التطور الهائل الذي عرفته علوم اللغة في العصر الحديث سجّل النحو قفزة نوعية من حيث الكم والمنهج والغاية، وذلك بتمرده على حدوده الضيقة، فقد انتقل الدرس فيه من مجال الجملة إلى مجال النص. وغني عن البيان أنّ الجملة تمثل الركيزة الأساس في بناء النص نحويا، وما عاد من الممكن الادعاء بأن هناك قطيعة تامة ما بين نحو الجملة ونحو النص. لكن تجاوز هذا الأخير لحدود الجملة قد فتح آفاقا لفهم وتفسير النصوص حاملات وعي الإنسان بتناقضاته وصراعاته الوجودية... ولقد تم التغلب على الوصف النحوي الذي اقتصر على الجملة المفردة في ضوء ما عرف ب" فرضية التوسيع"، التي تعد نقطة انطلاقها اعتبار النصوص وحدات متجاوزة للجملة... لكن كيف بدأ التفكير نحويا في تجاوز الجملة؟ ثم ما هي مسوغات التحول المنهجي من نحو الجملة إلى نحو النص.

1- بداية الانتقال

عرفت عملية التحول في بدايتها توسيعا مبدئيا لقواعد الجملة، انطلاقا من فكرة أن النصوص والجمل تشترك في نفس الصفات، وعليه فالمنهج الخاص بنحو الجملة تمكن توظيفه في تحليل النص،" ومن ثم كان "نحو النص" يفهم على أنه نوع القواعد لعدة جمل، ولما كان تجاوز حدّ الجملة أمرا أساسيا لإدراك النصيّة فقد وصفت النصوص بأنها كليّات متجاوزة للجمل"[1].

لقد تبلور هذا التصوّر في ظلّ أوجه التشابه القائمة بين الجملة والنص، والمتمثلة في:

أ- لا يمكن تحديد عدد نهائي من جهة الكم للجمل أو النصوص في كل لغة.

ب- تعدّ كلّ من الجمل والنصوص ناقلات للموضوعات ومصوغة صياغة زمنية.

ج- كلتا الوحدتين لهما في حد ذاتهما طابع بنيوي ويتكونان من عناصر لكل منهما علاقة بالآخر.

د - يمكن أن تأتلف الجمل والنصوص على أساس نماذج معينة في أقسام، وتقوم هذه الأقسام بوظيفة نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة وتلقيها"[2].

لقد كانت بداية الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص،بطيئة ومحتشمة،تركز الاهتمام فيها على وصف وحدات خلف حد الجملة"العبارة" أي أنها لم تبلغ درجة وصف النص كمتوالية من الجمل،"ويعد ممهد الطريق لهذا التصور في علم اللغة الروسي (بشكوفسكي)، وفي الدراسات اللغوية الجرمانية (ك. بوست) وذلك منذ سنة 1949م"[3].

2 - النص في ظل الرؤية النحوية

أ- يرى "ايزنبرج" بأن النص تتابع متماسك من الجمل،كما نجدها في الاستعمال الاتصالي اللغوي، إلا أنه يركز اهتمامه على مصطلح "تتابع"و يضفي عليه بعدا رياضيا." نشير بكلمة "نص" إلى متوالية منسجمة من الملفوظات التي تستعمل في التواصل اللغوي"[4]. ولمّا كان التأكيد على تتابع الجمل، وجب اقتراح خصائص للنصوص، تكفل للجمل جودة سبك داخل النص، ومن أهمها:

❖ التتابع الأفقي للجمل.

❖ تحديد الجهة اليسرى والجهة اليمنى.

❖ الاستقلال النسبي.

❖ التماسك داخل تتابع الجمل.

❖ وجود علاقات دلالية بين مكوناتها السطحية"[5].

وفي سبيل التقنين لأشكال الترابط والتماسك بين الجمل، يستثمر" إيزنبرج" ما سماه "وسائل التنصيص".

ومنها الأشكال المتنوعة للربط، الضمائر، أشباه الظروف وعلامات التقسيم[**]، ومورفيمات الزمن، ظروف الجملة، أدوات السؤال والإجابة (عناصر منفردة)، والتنغيم، ونبر الجملة والتوكيد، وبناء الحذف، والتقسيم إلى موضوع ومحمول (=وسائل كلية).

ومن أنماط التنصيص لدى "إيزنبرج" ما يلي:

"الإسناد إلى متقدم، الارتباط السببي، الارتباط لوجود دافع أو علة، التفسير التشخيصي، التخصيص، ونظام ما وراء اللغة، الارتباط الزمني، الارتباط الافتراضي، التقابل العكسي، التطابق بين الإجابة والسؤال، والمقارنة، والإضراب عن قول سابق"[6].

ب- والنص في نظر (روجر فاولر) عبارة عن "البنية السطحية الخطية الأكثر إدراكا ومعانية"[7]، وهو يقصد بالبنية للسطحية في هذا التعريف، تلك" المتوالية من الجمل المترابطة فيما بينها على نحو يشكل استمرارا وانسجاما على صعيد تلك المتوالية"[8].

ج- أما عند "هارفج" فـ"النص هو ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميمية التي تظهر الترابط النحوي في النص"[9]. وينطوي هذا التحديد على معطى أساس، وهو أن الامتداد الأفقي للنص يتم من خلال الجسور الترابطية التي تهندسها وسائل لغوية معينة ،ولعل أهمها

التسلسلات الضمائرية، فالنص " تتابع مشكل من خلال "تسلسل ضميري متصل" لوحدات لغوية، وهكذا يؤسس هارفج مفهومه للنص على مبدإ الإحالة(...) فتجده يتحدث عن "استبدال نحوي (سينتجماتي)، ويضع تصنيفا معقدا من أنماط الاستبدال،و من الأنماط الأساسيّة للاستبدال النحوي لدى "هارفج": استبدال المطابقة (مثل تكرير الوحدة المعجمية) واستبدال المشابهة (مثل الإعادة من خلال المترادفات) واستبدال التلاصق (تحقيقات مختلفة للإعادة الضمنية)"[10].

د- والنص في رأي (فاينرش) "تكوين حتميّ يحدّد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم النص".(11)، وجوهر نموذج وصف النص لدى (فاينرش) يتلخّص في أنّ النص يسخّر أدوات نحوية (التعريف، التنكير، مورفيمات الزمن...) لتوجيه عملية التجاوب والاتصال، وتوجه أداة التعريف المتلقي إلى معلومات سابقة، في حين يوجهه التنكير نحو معلومات لاحقة،" وبهده الطريقة يثار لدى المتلقي من خلال الاستخدام المقصود لصيغ الأدوات، عمليات ترتيب معينة، ضرورية لعملية فهم النص"[12].

هـ- المنظور الوظيفي للجملة/ للنص

ارتكزت الأبحاث في مدرسة براغ [***] على مفهوم جوهري للجملة الوظيفية، والذي يقتضي وجوب التمييز بين وظيفتين إخباريتين وهما:

الموضوع (المسند إليه) والمحمول (المسند أو الخبر)، على اعتبار أنّ "المتقدم (الموضوع) هو الشيء المتحدث عنه والذي يفترض المتكلم معرفة المخاطب له، والمتأخر (=المحمول) هو الجزء المتمم للجملة الذي يضيف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل بالمتقدم"[13]. فالجملة الوظيفية تخضع لبناء أو ترتيب نحوي (الموضوع/المحمول)، وانطلاقا من هذا الترتيب تتحدد وظيفتها

الإبلاغية، فكل ترتيب يحمل وظيفة خاصة به. لذلك يهتم الوظيفيون بالإجابة عن السؤال:لماذا وردت الجملة على هيئة معينة؟

استثمر (دانش) هذه المعطيات على صعيد النص والذي اعتبره تتابعا للموضوعات، وبإمكاننا فهم دلالة النص، بتتبع تضاريسه واقتفاء ما سماه التدرج الموضوعاتي في النص.

إذا تكمن البنية الحقيقية لموضوعات النص – في نظر دانش – في تسلسل الموضوعات وترابطها، في تدرجها وعلاقاتها فيما بينها، وبين فقرات النص وبين النص ككل وكذلك بالمقام أو الموقف التواصلي.

ويتخذ توالي الموضوعات – عند دانش – ثلاثة أنماط أساسية، هي:

أ – التوالي الأفقي للموضوعات. ب – توالي ذو موضوع مستمر. ج- توالي ذو موضوع متفرع. (أ) وفي عرض هذه الأنماط الثلاثة يقدم "فولفجانج" الأمثلة الآتية:

"المرء تسمع كثيرا عن الأمريكيين.

فهم قد فتحوا جبهة ثانية.

الجبهة الثانية سوف تأتي.

يمكن أن يفسر تعاقب الموضوعات (المرء، الأمريكيون/هم، الجبهة الثانية) توالي النص، بأنه ربط موضوعات مختلفة بوحدات جملية متجددة دائما في شكل توال أفقي.

م1..............> ح1

م2..............>ح2

م3..............> ح3

❖ مقهى المدينة جددت الآن أخيرا.

❖ هو يبدو الآن مضاء ولطيفا.

هذا المكان المصمم بمنتهى الذوق يجتذب الآن كثيرا من الزوار.

م 1 .... > ح1

م 2 .... > ح2

م 3 .... > ح3

وفي هذه الحال يعاد تلقي موضوع الجملة الأولى باستمرار من خلال أشكال تكرار متباينة، ويربط بأبنية المحمول الجديدة، وهو بذلك يشكل نوعا من ثبات موضوع النص.

التوالي ذو الموضوع المتفرع:

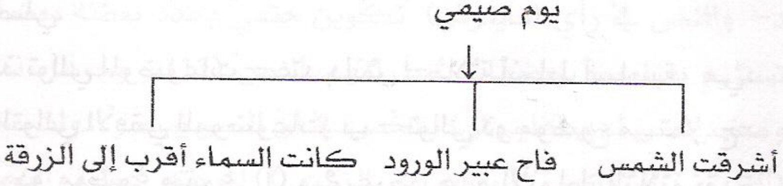

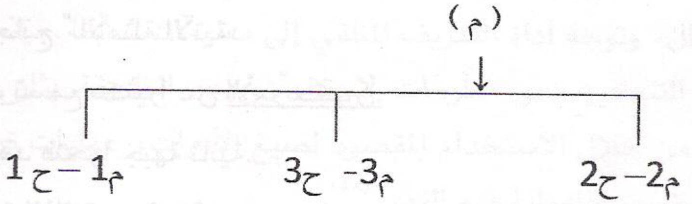

"في هذه الحالة تلحق أبنية (الموضوع – المحمول) المفردة، بموضوع علوي/موضوع شامل(...) غير أن نموذج المنظور الوظيفي للجملة القائم على أساس نحوي صارم قد ارتكز في أنماط التوالي على أساس دلالي – اتصالي"(14).

3- النص في ظل الرؤية الدلالية

ظهر نموذج وصف النص القائم على أبنية الأساس الدلالية، كرد فعل اتجاه الرؤية النحوية المحضة للنص، والتي لا يمكن الاكتفاء بها في معرفة حقيقة النص، فأدوات الربط التركيبية (مفاهيم الاتساق) لا تمثل إلا وجها ثانويا، لتعقيدات النص. إنما المعول عليه في الوصف العلمي البناء هو دلالة النص الكلية، و من ثم " لا يمكن أن يوصف اتساق نص ما، وصفا كافيا إلا باشتماله على بنية الأساس الدلالية، أما وسائل الربط التركيبية فلا تقوم على العكس من ذلك إلا بوظيفة إشارات إضافية؛ أي اختيارية دائما، تسهل على السامع معرفة بنية الأساس الدلالية في النصوص وفهمها"[15]. وخير من تمثل هذا الاتجاه في الوصف النصي: "برينكر" و"فان ديك" و"بتوفي"، فقد قدم (برينكر) تعريفا للنص، مركزا على الجانب الدلالي المحوري حيث يقول: "إن مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية تترابط بعضها مع بعض على أساس محوري - موضوعي- ، أو جملة أساس، من خلال علاقات منطقية دلالية"[16].

ويؤكد "فان ديك" على المستوى الدلالي للنص، ويتكفل ببناء صرح نموذج بمفاهيم دلالية مثل: البنية العميقة، والبنية السطحية والبنية الكبرى والبنية العليا وقواعد التحويل (الحذف والتعميم والبناء). ثم "إن تصور "فان ديك" للنص خلافا لتصور "ايزنبرغ " و"هارفج " اللذين يؤكدان على التماسك النحوي للنص، قائم على أساس دلالي للنص"[17]. لكنه لا يركز على المفاهيم المنطقية (الصدق، الكذب)؛ بل يهتم بكيفيات ترابط هذه القضايا داخل النص (الربط القضوي)، فهو يحدد أشكالا من العلاقات التي تنظم قضايا النص، داخل القضية الواحدة، وما بين القضايا أيضا و من العلاقات القضوية الداخلية ما يلي: الوصل – العطف – الـ

اعتمد "فان ديك " في نموذجه أساسا على مفهوم "القضية"؛ لأنه يرى أن النصوص ما هي إلا مركبات سببية – الشرطية – التعاقبية – الاعتراضية – الختامية – المقارنة – الاستدراكية – الإضرابية. ومن العلاقات القضوية المتداخلة: التعليل–التوضيح–التخصيص التأكيد– التصويب–علاقات السؤال والجواب. وفي سبيل تقديم صورة عامة لهيمنة العنصر الدلالي في نموذج "فان ديك"، سنشرح المخطط التالي:

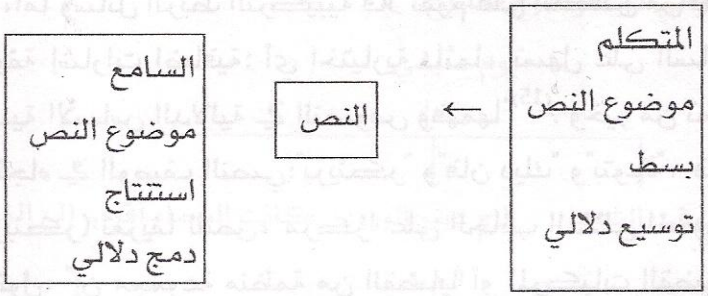

فالمتكلم يبسط تيمة النص أو بنيته الكبرى (ب) عن طريق التوسيع الدلالي (تدعيم القضية النواة بقضايا غرى) وينتج عن ذلك "النص"، في حين نجد السامع يستقبل النص، محاولا استنتاج بنيته الكبرى انطلاقا من اكتشاف بناه الدلالية الصغرى ثم دمجها.

أما عن (بتوفي) فقد حاول نقل مفهوم البنية العميقة للجملة في النحو التوليدي التحويلي إلى مستوى النص ممهدا لعلم دلالة توليدي نصي،و يؤكد تصوره على أن "يمكن أن يطور من الأساس الدلالي لكم من أبنية المحمول – الحجة، الموصوف بوسائل المنطق الشكلي قياسا على الجمل – نموذجا للنصوص أيضا، و أن يشق قواعد لبنائها بشكل منظم"[18]. والجدير بالذكر أن نهج التناظر: (السمات المعجمية بوصفها مؤشرات لأوجه ترابط النص) يشكل نموذجا دلاليا أيضا في وصف النص. وتعود فكرته الأساسية إلى السيميائي

الفرنسي "جريماس"، وقوام هنا النموذج "أن دلالة النصوص تنشأ من اتفاق ملامح/سمات/ دلالية محددة للوحدات المعجمية الواردة في نص ما"[19].

ويوظف "جريماس" مصطلح "تناظر" أو "تشاكل" للتعبير عن هذه العلاقة المعجمية الدلالية التي تحدد التقارب أو التكافؤ الدلالي بين الوحدات المعجمية المكونة للنص،" وبذلك لا يكون للملامح السطحية إلا أهمية ثانوية لتماسك النص، غير أنّ الأساس الحاسم هو الظاهرة الدلالية الناشئة عن تكرير السمة الدلالية"[20]. إن الوحدات المعجمية التي تدخل في عملية التناظر تشكل سلاسل تناظر، والتي إذا كان عددها كبيرا فإنها تشكل شبكات تناظر في النصوص، تسهم بشكل فعال في كشف الدلالات النواة في النص.كما أن العلاقات التناظرية تتعدد ما بين الوحدات المعجمية ومن بينها:

- التكرار الكلي: سائق- سائق.
- الاستئناف المتنوع: - من خلال الترادف: سائق – قائد وسيلة نقل.
  - من خلال اللفظ الشامل: - مشترك في حركة المرور
  - من خلال التضاد: سائق – مار
  - من خلال جملة مفسرة: سائق – بطل الطريق العام.
  - من خلال الاستبدال النحوي: سائق – هو.

و تتضافر أوجه (التكافؤ الوظيفي) مع أشكال التكافؤ التركيبي المعجمي، في سبيل كشف القناع عن مظاهر الترابط الدلالي للنص.

3- وصف النص من زاوية اتصالية

لقد قامت معظم نماذج وصف النص منذ السبعينيات على أساس تحديد الطريقة التي تعمل بها النصوص في كنف الحياة العملية، مشيرة إلى عناصر غير لغوية، إلا أن ما هو تداولي حقيقة لم يحظ بمساحة مناسبة وظل هامشيا، لكن مع ظهور نماذج النص

الاتصالية، أصبح البعد البرجماتي هو المركز والمنطلق في الوصف النصي. "إن ما يمكن وصفه لغويا ما يزال وسيلة(مثل صور النشاط العملية، والحراكات وتعبيرات الوجه أيضا) لتحقيق أهداف معينة لشركاء الاتصال"[21].

من العلماء الأوائل الذين وضعوا فرضيات هذا العلم "هارتمان p.Hartmann" الذي يحد النص بأنّه "علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"[22]. ويعلق سعيد حسن بحيرى على هذا التعريف بقوله: "على الرغم مما يتسم به من عمومية، إلا أنه يقدم خاصية له وهي ارتباط النص بموقف اتصال من جهة وإمكان تعدد تفسير العلامة النصية من جهة أخرى"[23].

كما ألح "شميت" على البعد الاتصالي في تعريفه للنص، حيث يقول: "إنّه جزء حدد موضوعيا (محوريا) من خلال حدث اتصالي ذي وظيفة اتصالية(إنجازية)"[24]. ويتضمن هذا التعريف معطيات أساسية، تتمثل في أن النص يتميز بوحدة الموضوع ووحدة المقصد؛ لأنّه قد تشكّل في سبيل تحقيق هدف محدّد.

- أما "برينكر" فيرى أن النص ربط أفقي أو متدرج لأفعال كلامية، وهو فعل كلاميّ معقد أيضا"[25].

ونجد أيضا "جلنتس" معتمدا على المنظور التداولي في وصف النص، فقد ربط مفهوم النص بالأداء اللغوي في لغة ما أي بتحقيقه. ويلاحظ سعيد حسن بحيري أن "جلنتس" يحاول" أن يتناول مفهوم النص من خلال توظيف جديد لمصطلحات النحو التوليدي وربطها بمفاهيم تداولية... ويهمنا هنا ملاحظة التشابك بين عناصر تحويلية وعناصر تداولية داخل عملية إنتاج النص وتلقيه"[26].

و يتوجب علينا – في اعتقاد "سوونسكي" «Sowinski» " أن ننظر إلى إنتاج النص (مكتوبا أو منطوقا) وإلى التبليغ النصي، وإلى الاستقبال النصي باعتبارها جميعا أحداثا أو عمليات اتصالية"[27]. ولا شك بأن

تزامن التطورات اللسانية النصية وعلم الاتصال، هي المسؤولة عن بروز نماذج الوصف الاتصالية للنصوص، حيث أصبحت هذه الأخيرة وحدات اتصالية، فمنتج النص يسعى لقول شيء للقارئ أو السامع، ولا يمكن أن يعيش النص في فراغ. وفي مقدمة ترجمة كتاب النص والخطاب والإجراء يشرح "حسان تمام" الفرق بين نحو الجملة ونحو النص (لسانيات النص) في نسق "دي بوجراند" و"دريسلر" وتخلص إلى أنهما يختلفان في الموضوع (الجملة/النص) والمنهج (التحليلي /تركيبي) والغاية (الوصف/الاتصال)، فالغاية من نحو النص هي تحقيق الاتصال وليس مجرد الوصف البنيوي لوحدات الجملة.

ويقدم "فان ديك" "مبادئ أساسية للتحليل النصي، تعمل وفق هندسة تكاملية حيث تتآلف فيها مكونات العملية التواصلية (المنتج والمتلقي – لغة النص وسياقاته المختلفة) ومن بين هذه المبادئ:

1– تعمل النصوص على الدوام، في سياق خاص.و هذا يقتضي عند تحليل النص وفهمه تحليلا وفهما للسياق أيضا.

2 – أن التحليل سواء كان نصيا /أو سياقيا هو نتاج لذات محللة، أي أنّه يمثل في حد ذاته نصا.

3 - ... وفي إطار وصف نصي أكثر اندماجا ستوضع المستويات المختلفة من التحليل في علاقة بعضها ببعض"(28).

يتحد الوصف اللغوي النصي (الفونولوجيا والمرفولوجيا، التركيب بين الجمل، الدلالة، البنيات الكبرى، البنيات العلي) مع الوصف السياقي (التداولي، المعرفي (فهم النصوص)، الاجتماعي النفسي (تأثير النصوص)، الاجتماعي (النص كظاهرة ثقافية) في سبيل الإحاطة بفهم النص.

وفي الأخير، يمكن أن نخلص إلى أن حقيقة النص، تبدو غامضة وسديمية، إذا ما اقتصرنا في وصفها على زاوية أحادية. لا يسعنا إلا أن نسلم بضرورة تضافر زوايا النظر كلها، في سبيل مقاربة ناجعة

لمستويات النص المختلفة. ولعل خير ما يعزز هذا الطرح، ذلك التعريف الذي اقترحه كل من دي بوجراند ودرسلر والذي يمتاز بالدقة (تحديد المعايير) والشمول (التأكيد على الزوايا المتنوعة). وتتجلى مظاهر قوته، في الأثر العميق الذي حظي به لدى الكثير من الباحثين لاسيما اللغويين العرب مثل: سعيد البحيري، وأحمد عفيفي، وصبحي إبراهيم الفقي، و"سعد مصلوح" الذي يصرح بقوله: "وقد آثرنا هنا أن نعتمد تعريف "دي بوجراند" و"درسلر" لمفهوم النص من حيث أنه: حدث تواصلي، يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي: السبك، الحبك (النص)، القصد والقبول (منتج النص ومتلقيه)، الإعلام والمقامية والتناص (السياق المادي والثقافي)"(29).

الهوامش:

(1)- هاينه مان(فولفجانج) وفيهقجر(ديتر)- مدخل إلى علم لغة النص- ت:سعيد حسن بحيرى- مكتبة زهراء الشرق- القاهرة- مصر- ص(10).

(2)- المرجع نفسه، ص(20). وأوّل من وظّف هذا المصطلح(تجاوز الجملة) هو جريماس ويعبر عنه بـ: النحو الكلي، النحو العلوي، المحو الأكبر.

(3)- هاينه مان (فولفجانج)- المرجع السابق- ص(19).

(4)- نقلا عن:راستيي(فراتسوا)- فنون النص وعلومه- ت: إدريس الخطاب- ص(49).

(5)- هاينه مان (فولفجانج) - مرجع سابق - ص(21).

علامات التقسيم هي الأدوات المعجمية والفراغات الطباعية التي تحدد المقدمة والعرض والخاتمة، مثل:بادئ ذي بدء، في البداية، في الختام....

(6)- للزيادة والتفصيل انظر:د/العبد(محمد)- اللغة والإبداع الأدبي- الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة- مصر- ص(41- 43).

(7)- يقطين(سعيد)- تحليل الخطاب الروائي- المركز الثقافي العربي- ص(43).

(8)- يقطين(سعيد)- انفتاح النص الروائي- المركز الثقافي العربي ص(12).

(9)- نقلا عن: بحيرى(سعيد حسن)- علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات- ص(99).

(10)- واورزنياك (زتسيسلاف)- مدخل إلى علم النص:مشكلات بناء النص- ت:سعيد حسن بحيرى- ص(55).

(11)- نقلا عن: بحيرى (سعيد حسن)- علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات- ص(99).

(12)- هاينه مان (فولفجانج) - مرجع سابق- ص(24).

(***) مدرسة براغ اللغوية كان مولدها في السادس أكتوبر1926.

(13) علي(محمد يونس)- مدخل إلى اللسانيات- الكتاب الجديد- بيروت- لبنان- ص(71).

"في هذا الشأن: (أ)يقول" "Carter"و"Shirley:

-les analyses de (F.Danes)portant sur des textes d'ordre scientifique et professionnel en Tchèque, Allemand, et Anglais lui ont permis d ;identifier trois grands types de progression thematique:la progression lineaire,la progression à thème constant, et la progression à thème dérivés. » (La coherence textuelle-p(90)).

(14)- هاينه مان(فولفجانج)- مرجع سابق- ص (27- 28).

(15)- المرجع نفسه- ص (31).

(16)- بحيرى (سعيد حسن)- علم لغة النص- ص (101).

(17)- واورزنياك (زتسيسلاف) - مرجع سابق- ص(57).(ب)- هي المعنى الإجمالي للنص:الموضوع أو التيمة.

(18)- هاينه مان (فولفجانج)- مرجع سابق- ص(36).(19)،(20)- المرجع نفسه- ص(33)،(21)- المرجع نفسه ص (48)

(22)،(23)،(24)- بحيرى (سعيد حسن)- علم لغة النص:المفاهيم والاتجاهات- ص(99).

(25)- المرجع نفسه- ص(101)، (26)- المرجع نفسه- ص(104).

(27)- د/العبد(محمد)- العبارة والإشارة: دراسة في نظرية الاتصال- مكتبة الآداب- القاهرة- مصر- ص(89).

(د)- المنهج التحليلي يعنى بدراسة الجملة بعزلها عن كافة السياقات التي ولدت في كنفها بغية الوصف والتبويب والتصنيف.أما المنهج التركيبي فيدرس النص في علاقاته بالسياقات المحيطة به بهدف الاتصال.

(هـ)- انظر: دي بوجراند ودرسلر- "النص والخطاب والإجراء"- ت: تمام حسان- عالم الكتب- القاهرة- مصر

(28)- فان ديك وآخرون- "في نظرية الأدب: مقالات ودراسات"- ت: محمد العمري- كتاب الرياض- رقم 38- المملكة العربية السعودية- ص(58-59).

(29)- مصلوح (سعد)- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية:آفاق جديدة- جامعة الكويت- ص(225- 226).

قائمة المراجع المعتمدة:

الكتب العربية:

(1)- بحيرى(سعيد حسن)- علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات- مؤسسة المختار- القاهرة- مصر- ط1 - 2004.

(2)- دي بوجراند (روبرت)ودريسلر- "النص والخطاب والإجراء"- ت:تمام حسّان- عالم الكتب- القاهرة- مصر- ط1 - 1998.

(3)- ديك (فان) وآخرون- "في نظرية الأدب: مقالات ودراسات"- ت: محمد العمري- كتاب الرياض- ع 38 - المملكة العربية السعودية.

(4)- العبد (محمد)- اللغة والإبداع الأدبي- الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة- مصر- ط 2- 2007

(5)- العبد(محمد)- العبارة والإشارة:دراسة في نظرية الاتصال- مكتبة الآداب- القاهرة- مصر- ط1 - 2007.

(6)- علي(محمد يونس)- مدخل إلى اللسانيات - دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت - لبنان- ط1 - 2004.

(7)- هاينه مان(فولفجانج) وفيهفجر(ديتر)- مدخل إلى علم لغة النص- ت سعيد حسن بحيرى- مكتبة زهراء الشرق- القاهرة - مصر- ط1- 2004.

(8)- راستيي(فرانسوا) - فنون النص وعلومه - ت: إدريس الخطاب - دار توبقال- الدار البيضاء- المغرب- ط 1- 2010.

(9)- مصلوح (سعد)- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية:آفاق جديدة - جامعة الكويت - ط1 - 2003.

(10)- واورزنياك (زتسيسلاف)- مدخل إلى علم النص: مشكلات بناء النص- ت:سعيد حسن بحيري- مؤسسة المختار- القاهرة - مصر- ط1- 2003.

(11)- يقطين(سعيد)- تحليل الخطاب الروائي- المركز الثقافي العربي - بيروت - لبنان - ط1 - 1989.

(12)- يقطين(سعيد)- انفتاح النص الروائي- المركز الثقافي العربي- بيروت- لبنان- ط1 - 1989

الكتب الأجنبية:

1- Thomas_Carter (Shirley)-»la cohèrence textuelle: pour une nouvelle pèdagogie de l'ècrit »-l'Harmattan-2000.

الدرس النحوي من الجملة إلى النص

مقدمة للقارئ العربي

أ.مصطفاوي جلال
جامعة معسكر

تمهيد:

تتجاذب النص منذ القديم أطراف عديدة ، و مناهج من التحليل مختلفة ، و لعل أبرز هذه الأطراف اهتماما بالنص طرفان وهما: علم اللغة و النقد الأدبي، و قد شهد الدرس اللغوي تطورا هائلا ، و تنوعت مدارسه عبر الزمن مفرزة إمكانات جديدة لتحليل النصوص و مضفية صرامة علمية على حقل النقد الأدبي، حيث إنها زودته بطرائق إجرائية ، تعمل على كشف الخصائص النوعية للإنتاج الأدبي ، بالاعتماد على بنيته العامة و على البني الجزئية المكونة له ، بهدف سبرأغواره و إماطة اللثام عن بنيته العميقة ضالة المتلقي للعمل الأدبي ...و في خضم هذا التطور الهائل في العلوم اللسانية، سجل النحو قفزة منهجية و نوعية وكمية ، و ذلك بتمرده على حدوده الضيقة ، حيث انتقل الدرس فيه من مجال الجملة إلى مجال النصو يعتبر" نحو النص " أو لسانيات النص من أحدث الاتجاهات اللسانية التي تتعامل مع العمل الأدبي (الأثر) في كليته ، و تقوم منهجيته في التحليل اللغوي على أساس تجاوز "نحو الجملة " أو لسانيات الجملة ، التي تعتبر الجملة هي الوحدة اللغوية الكبرى، و يرى علماء نحو النص بأن التحليل المحدود بسقف الجملة ، غير كاف للتصدي لجوانب نصية كثيرة، فمن غير الممكن أن تدرس الجملة بعيدا عن سياقها اللغوي المتمثل في النص،لكن هل هذا يعني أن نحو النص شكل قطيعة تامة مع ما يعرف بنحو الجملة ؟

1 – بين نحو الجملة و نحو النص: المفهوم

يقوم مفهوم "نحو النص " على أساس تفعيل إجراءات عملية تمتاز بالاتساع و الشمولية ، و تهدف أساسا إلى تحقيق هدف جوهري ، يتمثل في وصف الأبنية النصية و دراستها دراسة لغوية ،و تحليل الصور المتنوعة لأنماط التواصل اللساني،و قد "اشترك مع مصطلح نحو النص في تحقيق هذا الهدف بعض التوجهات التي تعني بذلك أيضا و هي :

علم النص و علم اللغة النصي، و نظرية النص"(شبلنر . ب : 1987م ، 183) إلا أن نحو النص هو الأجدر في تحقيق الهدف ، لأنه يضطلع بتوضيح صور الترابط والتماسك النصي ووسائله ، وقد قام هذا العلم الجديد على أنقاض " نحو الجملة " ، هذا الأخير الذي يعتبر نموذجا من نماذج التحليل النحوي ، تتوقف حركته عند حدود الجملة لاتتعداها –إلا في بعض الاستثناءات –فالجملة في هذا النحو هي الوحدة اللغوية الكبرى المقصودة بالتقعيد والتقنين ، وقد وجه علماء نحو النص موجة نقد شديدة ل " نحو الجملة "حيث اعتبرته وسيلة قاصرة وغير كافية لتحليل مجموعة من الجمل المتوالية (النص) ، فهل معنى هذا أن نحو الجملة لا حاجة إليه في دراسة النص ما دام نحو النص يدعي الاكتفاء بإجراءاته الجديدة ؟ يجيب الدكتور حسن بحيري بقوله:"إن كل أشكال النقد التي وجهت إلى نحو الجملة لا تعني أنه لم تعد له قيمة، وأنه قد مر عليه الزمن،و أن كل هذا التراث النحوي الضخم السابق لأجيال متعددة لم يعد له مكان "(بحيري ح:1997، 133)، صحيح أن "كثيرا من الظواهر التركيبية لم تفسر في إطار نحو الجملة تفسيرا كافيا و مقنعا، و أنه ربما تغيرت الحال إذا اتجه الوصف إلى الحكم على هذه الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة، و تمكن أن تكون تلك الوحدة هي النص"(بحيري ح: 1997 . 134)،لكن خطوات الوصف النحوي لمجموع الجمل المتوالية اللغوية، تعتمد على نحو الجملة، فكما توجد علاقات محددة ما بين جمل النص ، توجد علاقات بين الكلمات و المركبات داخل الجملة أيضا، يقول "فان ديك":" و نظرا لأن أي تتابع يمكن أن ينشأ من جملة ، فيجب أن يشتمل أي نحو لوصف التتابع –في حقيقة الأمر –على نحو لوصف الجملة ، فالنظر العميق في بنية الجمل ضروري للغاية، إذا ما وضع في الاعتبار أن العلاقات على نحو ما ترد في التتابعات لا تقوم في الأغلب على علاقات بين عناصر الجمل المنفردة المختلفة"(ديك ف:2001. 45). و غني عن البيان أن نحو النص يتعامل مع النص على أساس أنه بنية كلية، و بالتالي يكون استهلال التحليل النحوي بواسطة تحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، و تعطي عرضا لمكوناته التنظيمية النصية ، و على هذا، فقد شغل الترابط النصي حيزا كبيرا في مجال الدرس اللساني المعاصر،فقد شرع "علماء النص يولون التماسك عناية قصوى، ويذكرون أنه يفهم من الجمل الأخرى،و يشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط (فضل ص: 1996 ، 263) ، فقد أصر علماء نحو النص على الربط ما بين المستويات اللغوية ، و التركيز على دراسة الروابط التي تؤدي إلى الاتساق ما بين

أجزاء النص وتجليها في بنية نصية واحدة ، و يؤكد "علي أبو المكارم" على أهمية الاتساق بقوله: "إن الاتساق اللغوي لا يمكن أن يعزل مستوى من مستويات النشاط اللغوي عن غيره من المستويات، ويستحيل أن يكون الأداء اللغوي صحيحا مع فقدان الصحة في أي مستوى من مستوياته الصوتية و الصرفية و النحوية والمعجمية و الدلالية ".(أبو المكارم ع : 1968 ، 325) إذن ، فالاتساق يتضمن في معناه الانسجام الكامل بين بداية النص و آخره دون الفصل بين مختلف جوانبه اللغوية و تحقيق هذا الأمر ليس بالهين، إذ يتطلب جهدا تحليليا و قدرة على النظر الشامل و دقة في ملاحظة العلاقات المتشابكة، و تبصرا بأساليب تشكل الظواهر المشتركة، فنحو النص إذ يعالج النص، لا ينظر إليه نظرة جزئية بل يتعامل معه على أساس تصور مسبق و هو أنه نسيج واحد و بنية كلية، لها قانونها الخاص من حيث ضرورة وجود علاقات بين أجزاء النص، تتمظهر في صور كثيرة و أشكال متنوعة ، و يضطلع نحو النص على ضوء ما سبق بمهمة البحث عن كيفية ارتباط أول النص بآخره ، و آخر النص بأوله، و التفتيش عن الخيط الذي يجمع كلماته و جمله وفقراته في وحدة دلالية ، في كل لا يتجزأ و يهيئ ترابط الجمل وتراصها في النص جوا دلاليا يجلي الدلالة النصية الكبرى، يقول الدكتور حماسة عبد اللطيف :" النص الواحد تحكمه علاقات لغوية و دلالية تعمل على تماسكه و ترابط أجزائه، و هذه العلاقات تكون شبكة نصية تعين على تفسير النص و هي تسمى الاتساق ".(عبد اللطيف ح :1993م ، 240) ،فبنية النص ليست مجرد تتابع للأدلة اللغوية أو الجمل النحوية ، إنها تنظيم داخلي محكم يمتلك رؤية دلالية خاصة به و هذا ما يطلق عليه تحديدا "الترابط النصي " ، و نحو النص هو الكفيل بأن يكشف عنه و عن آلياته المتنوعة." نحن نحلل النص عن طريق دراسة الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص، و تعطي عرضا لمكوناته منظمة لنماذجه النصية".(عفيفي أ:2001 م ،97,98) .إن" نحو الجملة " باكتفائه بالقواعد المحدودة للإسناد داخل الجملة لا يجعل للنص كينونة مستقلة و متميزة تستدعي معالجة تراكيبه معالجة نحوية تتناسب و مقتضيات بنيته، الأمر الذي يخرج النص من إطار الدراسة النحوية ، فالوصف النحوي في (نحو الجملة) ينكب على الجمل، مفصولة عن سياقها في النص لينتج بذلك كما لا نهائيا من النماذج الجملية ، مما يؤدي إلى محدودية هذا النحو، و اقتصاره على فرز نماذج الجمل و ضبط للقوانين الحاكمة لمكوناته التركيبية (قواعد الإسناد) ليصبح الكلام مقننا و قيد الضبط... إن هذا الوصف

يتصف بالجزئية ، و يرتبك إذا ما حاول معالجة النص ككل متناسق له قيمته الدلالية الفاعلة.لأنه لا يقيم وزنا في نسقه إلى العلاقات ما بين أجزاء النص الواحد.و آلية ارتباط أوله بآخره، بل يبقى حبيس سقف الجملة و أسوارها ، إذن ، ينبغي أن يفهم نحو النص على أنه"فهم أوجه الترابط المتجاوزة للجملة و تغير التركيب في كل جملة على حدة على أساس معطيات نصية." (بحيري.ح:1997 م. 149).

لقد اعتمد نموذج الوصف الخاص بنحو الجملة (النحو التوليدي عند تشو مسكي) و نحو التبعية و التعليق عند " تنيير" ونحو الحالة عند "فيلمور" على صياغة المركب الفعلي أو الحمل "الإسناد" باعتباره النواة الأساس للجملة و خضعت بذلك الجملة إلى المعيارية في تحديد أطرافها و مكوناتها و علاقتها الداخلية بخلاف النص الذي " لا يخضع لقواعد معيارية مثل الجملة و هو من هذه الزاوية يفلت من الضبط، لا لأنه يعسر ضبطه، و إنما لاختلاف المعاييرالضابطة له في التصور القديم عن ضوابط الجملة،و بتوحيد تلك المعايير من حيث النوع،أي بجعلها مجردة بما فيه الكفاية متعلقة بالبنية النصية التي تقاربها البنية الجملية ، يدخل النص تحت طائلة الضبط، و بهذا التوحيد يتم رتق ما بين الجملة و النص من فراغ في الجهاز اللغوي." (الزنادأ:1993م . 20).

و يعتقد كثير من علماء اللغة المحدثين أن لنحو النص ضرورة منهجية أساسية في جلاء دلالة " النص الكلية" ، و هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنهم يهمشون معطيات نحو الجملة ،بل على العكس من ذلك ، إذ يعتبرونه إجراء لا بد منه، باعتبار الجملة نقطة الانطلاق في التحليل النحوي النصي.يقول الدكتور " حسن بحيرى " :" و هو يقصد –فاينرش – لا يرفض مستوى الجملة.بل على العكس من ذلك يؤكد أنه نقطة البداية في التحليل ، و هذا أقوى دليل على أن علماء النص في أغلب تحليلاتهم سواء بدأوا بوحدة كبرى و انتهوا إلى الوحدة الصغرى أو عكس ذلك –فإنهم قد أخذوا في الاعتبار الجملة و مقولاتها و أجزائها." (بحيرى.ح : 1997م،218).فالجملة تمثل بنية غير مكتفية بنفسها، تحتاج إلى جمل أخرى لتكتمل دلالتها ، و يتحقق الإعلام و التواصل المقصود من تواجد النص.

و صفوة القول: إن الجملة دعامة أساسية في بناء النص نحويا، ولا يمكن الفصل بين نحوية الجملة و نحوية النص."غير أن تجاوز نحو النص لحدود الجملة في التحليل يسمح بطرح إمكانات متعددة للفهم و فضاءات أرحب للتفسير"(الفقي: 2000، 51).

2- خصائص نحو الجملة :

لقد قام الأستاذ بجامعة فلوريدا بالولايات الأمريكية _ "روبرت دي بوغراند" بوضع مبادئ عامة توجه كلا من نحو الجملة ونحو النص، في قسم تحت عنوان (النص في مقابل الجملة)من كتابه المعنون ب "النص و الخطاب و الإجراء" الذي نقله " تمام حسان" إلى العربية، و فيما يلي سنحاول عرض بعض هذه المبادئ قصد تبين الخطوط العريضة لنحو النص و من ثم نمهد الحديث عن أشكال الترابط النصي و بعض وسائله:

يقوم نحو الجملة على التزام أسس عامة، قد يتجاوزها أحيانا، و هي أسس لصيقة بنحو الجملة، يعرض "دي بو جراند" اثنين منها:

أ - استقلال النحو عن السياق اللغوي، و معنى هذا أن نحو الجملة لا يربط تحليله بالسياق الذي وردت فيه الجملة،فهو مهمل للمواقف اللغوية،و لا يسهل- في الحقيقة – تقبل مثل هذا الاعتقاد لصعوبة، بل استحالة غياب التعالق ما بين الجملة و السياق أو الموقف اللغوي،لأن هذا يعني بناء جمل و غياب تواصل.

ب- نحو الجملة يتعامل مع الجملة على أنها مستقلة بذاتها،مما يجعله نحو تحليل و ليس نحو تركيب، الأمر الذي يؤدي إلى إخضاع كل الجمل المركبة لقواعد ثابتة و بسيطة و يرى "دي بوجراند" أن هذين المبدأين يمثلان عائقا أمام التحليل الذي يعنى بمتتاليات الجمل، فهما يعملان على قولبة اللغة في نماذج ثابتة، و تغييب التكافلات النحوية ما بين العناصر النصية ، وهذا هو سبب ثورة "دي بوجراند"على نموذج النحو التحويلي الذي يرتكز على الجملة.

ج - يمتاز نحو الجملة بالاطراد ،الذي مفاده ثبات القاعدة في الحكم على اللغة الفصحى (مجموع القواعد) و لما كان نحو النص مسلما بالانزياحات الأسلوبية، التي يعمد إليها منتج النص لغايات فنية و جمالية و دلالية،فإنه لا يخضع لقانون الاطراد "

فالنص الكامل في الأسلوبية هو موضوع البحث ، و من أجل ذلك ظهرت ملامح لسانيات النص." (عفيفي،أ:2001، 74).

د - و تعتبر" المعيارية" من السمات البارز ة التي تخص "نحو الجملة" الذي قوامه القاعدة، المعيار الذي به نميز صحة الجملة من خطئها، فنحو الجملة ، إذا ، يوافق الأساس أو القاعدة، في حين ينأى نحو النص عن هذه الصفة"لأنه نحو تطبيقي غير نظري، فلا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص ، و بعد أن يكون النص حاضرا و معرضا لتطبيق النحو عليه مستخرجا من مادته." (مصلوحس:1990م 01) ومعنى هذا أن المعيار ينبثق دوما من داخل النص لا من خارجه ، الأمر الذي يؤدي إلى اختلاف المعايير فيه.

ه - في نحو الجملة ، تطلق القاعدة مسبقا (الإطلاق) لتصبح منوالا لكل قول ، و بالتالي ينتج الحكم على الجملة قبل إنتاجها ، بينما يكون الحكم في نحو النص في حالة التواصل الإبلاغي أي بعد إنتاج النص.

و - نحو الجملة يمتاز بالفاعلية المحدودة، حيث يقتصر على البحث في العلاقات داخل إطار الجملة الواحدة، لا يتجاوزها إلا في بعض الحالات الدلالية البسيطة التي تجمع بين جملتين أو أكثر مثل الاستدراك و التعليل و الإضراب و الشرط و غيرها ، و في المقابل نجد نحو النص يهتم بالنص و يبحث في العلاقات التي تجمع أجزاءه جمعا علميا مقنعا.

تمكن أن نخلص مما سبق إلى أن نحو الجملة متميز عن غيره من حيث الموضوع ، و المنهج و الغاية ، فهو يدرس الجملة و ما دونها (موضوع) دراسة تحليلية ، و ذلك بعزلها عن كافة السياقات التي تكتنفها ، لغوية و ثقافية و اجتماعية (منهج) في سبيل وصفها ، ووضع نموذج بنائي لها (غاية).

3 - خصائص نحو النص:إذا كانت طبيعة النص تتقاطع مع طبيعة الجملة في مجموعة من الميزات فإن نحو النص يمتاز بصفات جوهرية مميزة، و من بين الصفات المشتركة ما يلي:

لا يمكن تحديد عدد محدود من الجمل أو النصوص في لغة من اللغات. *

الجمل و النصوص تنقل مضامين أو موضوعات و تخضع للصفة الخطيةأو لبعد الزمن.*

كلاهما يتمتع بطابع بنيوي، و يتكونان من عناصر لكل منها علاقة بالآخر. *

❖الجمل و النصوص تأتلف في أقسام تقوم بوظيفة نماذج لإنتاج الوحدات. أما عن الفروق الجوهرية فيكشف "دي بوجراند"

و "درسلر" عن مهمة يعجز نحو الجملة على تأديتها و هي تحديد أنماط النصوص، فمنها ما هو حجاجي و ما هو إخباري، و ما هو سردي و ما هو قصيدة." مما يبدو معقولا أنها تتطلب علم النصوص الذي يجب أن يكون قادرا على وصف أو شرح كل الخصائص و العلامات الفارقة بين هذه النصوص، أو أنماط النصوص."(فيهقجرد 2004، 20)ثم إن نحو النص يشخص علاقات لم ينظر إليها في نحو الجملة و المتمثلة في ما وراء الجملة، ما بين الجمل و الفقرات و النص بأكمله، و إذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن" هاليداي" يرى أن النص ليس وحدة نحوية أوسع أو مجرد مجموع جمل، بل هو وحدة دلالية لها معنى في سياق محدد، فالجملة هي التي تتكفل بتجسيد الوحدة الدلالية التي يصنعها النص في كنف موقف اتصالي ما (عبد الراضي أ 2008، 111).

لنحو النص خصائص جوهرية تميزه عن غيره، ولنبدأ بعرض المعايير التي تحقق نصية النص، ما يكون به الكلام نصا، فقد قام كل من" دي بوجراند" و " دريسلر " بتقديم سبعة معايير حين اعتبرا النص "حدثا تواصليا يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة و يزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير و هي :

- السبك (الربط).
- الحبك (التماسك)
- القصد.
- القبول.
- الإعلام .
- المقامية
- -التناص.

و قد نسب الباحثون في علم النص هذه المعايير للثنائي (دي بوجراند و دريسلر) انطلاقا من كتابهما المشترك المعنون ب (Introduction to textlinguistics) في سنة 1981م، و الأصح ، كما يقول الدكتور أحمد عفيفي " أن تنسب إلى (دي بوجراند) فقط حيث إن كتابه (النص والخطاب و الإجراء) سابق لكتابه مع دريسلر (عفيفي أ 2001، 75) فقدت وردت المعايير في كتابه سنة 1980م

و يشير "دي بوجراند" الى أن هناك خمسة معايير فقط ، يختص بها نحو النص، و هي القصد والتناص والمقامية والاعلامية والقبول، و يدعو إلى منهج تكاملي في البحث النصي، نظرا للأبعاد الثقافية المختلفة المنبثقة عن تلك المعايير، يقول "دي بوجراند": و من هذه المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص (السبك و الالتحام) و اثنان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف و التناص) ، أما المعيار الأخير (الإعلامية) فهو بحسب التقدير (دي بوجراند ر1998، 106) و من خلال هذا التصنيف يظهر أن نحو النص نحو هجين تتشابك فيه حقول معرفية عديدة (الأدب – النقد – علم النفس و غيرها).

و جدير بنا أن نذكر الصفات المشتركة ما بين "نحو الجملة " و "نحو النص" حيث يتقاطعان في معيارين اثنين و هما :

1 – السبك (الربط) أو التضام و هو "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي(دي بوجراند ر: 1998، 103).

2 – الحبك أو الانسجام يتبع هذا المعيار وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص ، أي أنه يهتم بالمعنى و روابطه يقول "هاليداي " و" رقية حسن " : التماسك علاقة معنوية بين عنصر في النص و عنصر آخر يكون ضروريا لتفسير هذا النص،هذا العنصر الأخر يوجد في النص، غير أنه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسكية . إن مفهوم الاتساق هو مفهوم دلالي، انه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، و التي تحدده كنص. (خطابيم : 1991 م ، 15)و بهذا يكون السبك متعلقا باللفظ و الحبك مرتبط بالمعنى ،و كلاهما يعملان على مستوى نحو الجملة و نحو النص.

و على ضوء ما سبق من مقارنة بين نحو الجملة ونحو النص ، نخلص إلى أن هناك تداخلا واضحا بينهما، و إن جزءا من قواعد نحو الجملة يتضمن اكتشاف الروابط من مثل أدوات العطف و الشرط و القسم و غيرها من الأدوات التي تدل على العلة والسبب يقول الدكتور سعد مصلوح : " إن نحو النص لا يرفض نحو الجملة رفضا مطلقا

إنما يقف به تاركا له العلاقات داخل الجملة الواحدة،و متجاوزا ذلك إلى مسرح النص على اتساعه".(مصلوح س:1990م ، 201).

4- أشكال الترابط و بعض وسائله:

يظهر "الترابط النصي" في شكل من أحد الشكلين التاليين:

1 –الترابط الرصفي 2 –الترابط المفهومي

فالترابط الرصفي يخص سطح النص و ظاهره ، و يرتبط بالدلالة النحوية التي تلقي الضوء على تلقي المتلقي و كيفية انتفاعه بالتتابعات الشكلية و أنماط الاطراد في استعمال المعنى و المعرفة و كيفية نقلها و تذكرها.

أما الترابط المفهومي فيتعلق بتلك الروابط الدلالية التضمنية التي يشير إليها "جون كوهين" بقوله :"إن كل ربط يستلزم وحدة إلى حد ما ، وحدة في المعنى بين

الأجزاء التي يربط بينها مما يؤدي إلى الاتساق الدلالي الذي يبدأ من استخدام الكلمات. (كوهين ج:1985م ، 190).

و يتعلق هذا النوع من الترابط بالنحو الدلالي الذي " يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم مثل فاعل و حدث و حالة و صفة...الخ، من أجل إيجاد معنى كلي للنص،فالدلالة النحوية أكثر اتساما بالتنظيم الرصفي النظمي من النحو الدلالي". (دي بوجراند ر:1998م 85).

و تتطلب هذه الدراسة النحوية للنص في نظر –دي بوجراند-ثالوثا من الاتجاهات و هي :

" النحو : الترابط الرصفي. الدلالة : الترابط المفهومي. التداولية : (أعمال–خطط –أغراض)"

(دي بوجراند ر: 1998م ، 86).

و قد أشار "دي بوجراند" إلى أن نظرية استعمال اللغة يتوجب عليها أن تقوم على أساس مفهوم الترابط حيث عده من دواعي الكفاءة النصية أو المعيار الأهم في نصية النص كما قال بذلك هو و زميله "دريسلر".

و يؤكد "دي بوجراند" بأن ما يعرف بنحو النص ، ليس هو النحو المعهود الينا و هو نحو الجملة بل هو"نحو هجين"

يتعايش فيه وعيان لغويان مختلفان، و هو نحو تتضافر فيه الدلالة النحوية، و النحو الدلالي بواسطة العلاقات التداولية.

و للترابط النصي وسائل عديدة نقتصر على ذكر بعضها فيما يلي :

1 –إعادة اللفظ.
2 - التضام .
3 –التعريف.
4 –الإحالة.
5 –الاستبدال.
6 –الحذف.
7 –الربط الرصفي.

أ- إعادة اللفظ: التكرار

خلصنا من العرض المفاهيمي السابق إلى أن التماسك النحوي يعنى بالعلاقات ما بين الأجزاء المكونة للنص، و يرتكز على أدوات شكلية و دلالية تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية ، و بين النص و البيئة المحيطة من ناحية أخرى، و بهذا يتضح أن التحليل النصي يقوم على أساس الكشف عن التماسك في تحقيق نصية العمل ،"فالتماسك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة و أيضا بالعلاقات بين جمل النص، و بين فقراته ، بل بين النصوص المكونة للكتاب، مثل السور المكونة للقران الكريم، و يهتم أيضا بالعلاقات بين النص و ما يحيط به، و من ثم يحيط التماسك بالنص كاملا ، داخليا و خارجيا"(الفقي،إ:2000، 97) .

" و التكرار" صورة من صور التماسك المعجمي ، و يقتضي إعادة مكون (عنصر) معجمي أو ذكر مرادف، و يطلق البعض على هذه الصورة اسم الإحالة التكرارية " و مفادها " تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد وهو "الإحالة التكرارية". (الزناد،أ:1993م ،119)، و إن هذا التكرار على مستوى ظاهر النص يعمل على ترابط أجزاء النص ترابطا واضحا.

و تتنوع أشكال التكرار في عدة صور :

- <u>التكرار الكلي</u>: و هو نوعان:

التكرار مع وحدة المرجع (يكون المسمى واحدا).

التكرار مع اختلاف المرجع (يكون فيه المسمى متعددا).

التكرار الجزئي : و هو تكرار عنصر سبق استخدامه , و لكن في صور و أشكال متعددة.

التكرار بالمرادف : و هو أن نكرر المكون المعجمي بذكر مرادفه.

شبه التكرار: وهو أن نكرر العنصر المعجمي عن طريق استعمال عنصر آخر يوهمنا أنه يرادفه (دلاليا أو صوتيا أو في الصياغة الصرفية)،يقول الدكتور "سعد مصلوح": " إنه –أي شبه التكرار– يقوم في جوهره على التوهم إذ تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض،و يتحقق شبه التكرار غالبا في مستوى التشكل الصوتي وهو أقرب إلى الجناس الناقص."(مصلوحس:1991، 158)

*تكرار لفظ الجملة.

*التضام.

ولا يفوتنا و نحن بهذا الصدد أن نتعرض لوجهة نظر كل من "هاليداي" و "رقية حسن " في أدوات تماسك النص في كتابهما "التماسك في الانجليزية" حيث حددا خمس أدوات هي:

1- المرجعية. 2 –الإبدال 3- الحذف. 4- العطف. 5- التماسك المعجمي (خليل.إ :1997م، 120).

و قد قسما المرجعية إلى :

شخصية : (انا ، أنت ، نحن ،هو ،هم ....الخ).

إشارية : (هذا ، هؤلاء،أولئك، ....الخ). مقارنة:(أفضل، أكثر...........)

و قد اعتبروا السياق أداة من الأدوات الضمنية التي تعمل على تحقيق التماسك النصي في الشكل التالي المأخوذ عن الدكتور"صبحي إبراهيم الفقي"في كتابه: " علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق".

أدوات التماسك

خارجية	داخلية

السياق	الإحالة الخارجية		شكلية	دلالية	العط
					ف
دلالـة			العطف	المرجعية	
والسياق يعبر عن الأدوات التماسكية الضمنية			التكرار	الإبدال الحذف	
			المعجم	التكرار بالمعنى	
			الرتبة	الترادف	
				السببية	
				التخصيص	
				العطف	
				الإضراب	
				التعميم	
				(التوكيد)	

ب– التضام:

و هذا مظهر آخر من مظاهر الاتساق المعجمي، و يقسم الباحثون في مضمار تماسك النص الاتساق المعجمي إلى نوعين:

أ- التكرار. ب- التضام.

وإذا كان التكرار يقتضي إعادة عنصر معجمي أو ذكر مرادف له أو شبه مرادف، فإن التضام"توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك".(خطابي،م:1991م ،25).

و يعرض الدكتور"محمد خطابي" هذا المثال لتوضيح هذه الوسيلة :

Why does this boy wriggle all the time? Girls don't wriggle.

(ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت و حين؟البنات لا تتلوى).

فيقول في تبيان أثر التضام "ف" الولد و البنات" ليسا مترادفين، و لا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، و مع ذلك فان ورودهما في خطاب ما يساهم في النصية.(خطابيم:1991م، 25)و تتنوع العلاقات الحاكمة للتضام، و القائمة ما بين طرفيه، و قد تناولها علماء اللغة المحدثون بشيء من التفصيل:

- **التضاد:** و تقوى فاعليته النصية (الربط و تحقيق التماسك) كلما امتاز بالحدة، و التضاد الحاد يكاد يكون هو النقيض عند المناطقة، فالنقيضين—في عرفهم —لا يجتمعان و لا يرتفعان مثل: جلس/ وقف ، الجنوب / الشمال ، ميت /حي ، " وهناك أيضا كثير من أنواع التضاد الأخرى مثل النوع الذي يسمى (العكس) مثل: باع / اشترى ، زوج/زوجة ، أو التضاد الاتجاهي مثل: أعلى/ أسفل ، يصل / يغادر ، يأتي / يذهب." (مختار عمر: 1988م ،103)و إضافة إلى هذا يضيف د/محمد خطابي علاقة أخرى حيث يقول:" هناك علاقات أخرى إضافة إلى علاقة التعارض، مثل الكل و الجزء، أو الجزء والجزء، أوعناصر من نفس القسم العام كرسي، طاولة (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز)...(خطابيم:1991م، 25)

- **التنافر:** و يتضمن فكرة النفي داخل جنس معين مثل ذئب/فرس ، هر/ كلب ، بالنسبة لجنس الحيوان، كما يرتبط أيضا بالنفي داخل مفهوم معين (نسق) مثل:عقيد/عميد/لواء داخل مفهوم الرتبة العسكرية، و يمكن أن يكون متعلقا باللون مثل: أصفر/أحمر، أو بالزمن مثل شهر/عام.

- **الجزئية:** و هي علاقة تقضي بأن يكون الطرف الأول في الثنائية اللفظية جزءا من الطرف الآخر أو العكس مثل:اليد / الجسم، الركوع / السجود...الخ.

هذه بعض أنواع العلاقات بين الكلمات من شأنها أن تشكل في النص ما سميناه " التضام"، و إن المتكلم حين يعمد إلى التضاد حتى في الصورة الضيقة ، يختار لطرف بعدا إيجابيا و للآخر بعدا سلبيا، ضمن سياق كلامه ، و هذا الأمر ينعكس على متلقي الكلام في شكل شحنة شعورية (خاصة إذا كان الكلام فنيا)، على أن تنظر إلى

هذه الثنائيات في خضم السياق الدلالي الذي وردت فيه ، و من هنا يتضح دور العلاقات في صنع التماسك النصي بدلالاتها المتناقضة.

- **التعريف:** و يقول في تعريفه –روبرت دي بوجراند - : " إنه وضع للعناصر الداخلة في عالم النص إذ تكون وظيفة كل منهما لا تحتمل الجدل في سياق الموقف و معنى أن تحدد الوضع باسم علم مثلا أو بصفة هي معرفة أنك تقول للسامع أو القارئ أن المحتوى المفهومي المضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلومية المنشطة بالفعل أما عناصر النكرات فتتطلب من ناحية ثانية تشيطا لمساحات إعلامية أخرى(دي بوجراند ر:1998م،310)و معنى هذا أن التعريف يمكنه أن يشمل أي عنصر من عالم النص في نطاق دلالي مربوط بمركز الضبط و يورد كل من براون و يول هذا المثال لتوضيح التعريف:"عندما تذهب إلى مركز الاقتراع ، فلست بحاجة لأن تعلم بوجود مركز اقتراع و لابد أن يحتوي على موظف مسئول."(براون ج:1997م،286).

و لعل المثال الذي أورده الدكتور أحمد عفيفي، يوضح فاعلية التعريف أكثر، "..و نموذجه–أي التعريف –قول الشاعر:

و تلفتت عيني فمذ غربت عني الديار تلفت القلب

فالقلب ذو وصلة نموذجية بمركز الضبط و هو المتكلم لأن كل إنسان له قلب، و لذا لا يقال هنا مثلا:" تلفت الولد إلا أن يكون قد سبق ذكره بخلاف القلب." (عفيفي أ:2001م،115)و من هنا تتضح مقاربة مفهوم فعالية التعريف بمفهوم فعالية السياق النصية ،فالتعريف يمنح الألفاظ تحديدا ، له علاقة مفهومية نحو المفردات السابقة عليه.

ج - **الإحالة:**

و هي تقنية تقضي باستعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى، سابقة أو لاحقة، في النص أو المحادثة، فمعرفة ماهية الإحالة و نوعها منوطة بمعرفة سياق الحال أو الأحداث و المواقف المحيطة بالنص.يقول " جون لاينز": " الإحالة هي العلاقة القائمة بين الأسماء و المسميات"(لاينز ج:1987م،113)و يضيف الدكتور محمد خطابي:"... فالأسماء تحيل إلى المسميات،و تعتبر الإحالة علاقة دلالية ،لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل و العنصر المحال إليه".(خطابي م:1991م،17). و في مفهوم " العناصر الإحالية" يقول

الدكتور الأزهر الزناد:"تطلق هذه التسمية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة،بل تعود على عنصر أو على عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب،فشرط وجودها هو النص،و هي تقوم على مبدإ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر." (الزناد أ:1993م،118)و الملاحظ من خلال التعريف السابق أن متكلم اللغة لم يحظ بما يستحق من اهتمام،فهو الذي يقوم بفعل الكلام و بالتالي بفعل الإحالة، لذلك يورد "الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما بل إنها ، شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معينا." (براون ج:1997 م،36).

و يقسم علماء النص الإحالة إلى قسمين:

1- إحالة داخل النص أوداخل اللغة: و هي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة،فهي إحالة نصية،تنقسم بدورها إلى قسمين و هما :

أ – إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة:و هو أن تعود على مفسر سبق التلفظ به،و تسمى الإحالة القبلية مثل:" علي شارك في المسابقة لكن أحمد لم يشارك فيها."فالضمير"ها" يشير إلى الرجوع إلى "المسابقة" و بهذا أبدل الاسم بالضمير،و تمثل بعض الأفعال – خاصة في الانجليزية – الوظيفة الإحالية نفسها، مثل:"عمر حفظ القصيدة و كذلك فعل زيد " فالفعل" فعل" يحيل رجوعا لما سبق إلى الفعل "حفظ"... فوظيفة الإحالة القبلية هي الإشارة لما سبق من ناحية،و التعويض عنه بضمير أو بتابع أو بتكرار أو بحذف من ناحية أخرى و هي بهذا المفهوم عامل أساس من عوامل تحقيق التماسك النصي.

ب – إحالة على اللاحق و تسمى الإحالة البعدية: و هي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص و لاحق عليها" من ذلك ضمير الشأن في العربية أو غيره من الأساليب من قبيل:

- "من تونس ، نقدم إليكم نشرة لظهيرة للأبناء، و هذا موجزها"
- " صرح ناطق باسم مجلس قيادة الثورة فقال ما يلي..."

حيث يحيل المركبان المسطران على نص لاحق عليهما."(الزناد أ :1993م، 119).

فالإحالة البعدية في استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة، و مثال ذلك إحالة عنوان نص على مضمونه.

و لما كانت الإحالة الداخلية تعنى بالتشابك العلائقي داخل النص سميت إحالة نصية ، أما الإحالة الخارجية فيطلق عليها اسم الإحالة المقامية.

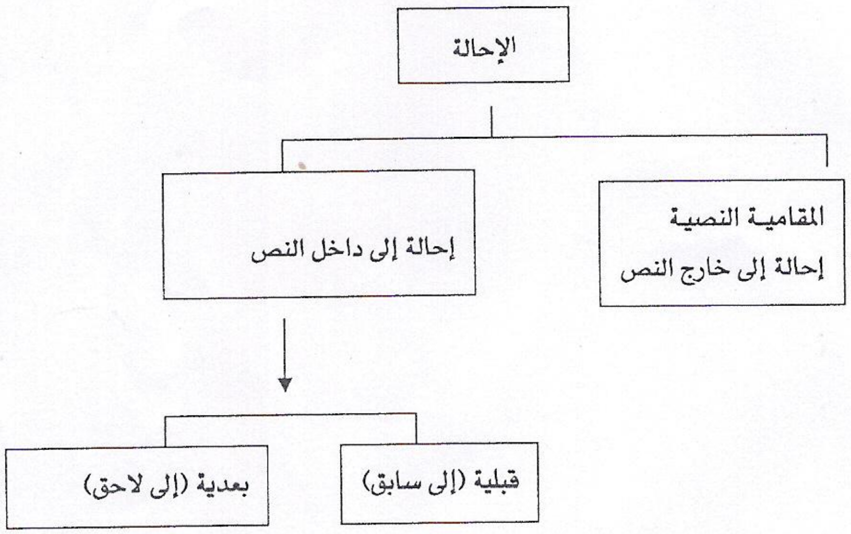

ونجد ضمن أدوات التماسك الإحالية ، الضمائر و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة ،ووسائل المقاربة كالمشابهة ، وألفاظ المفاضلة والمقارنة (أكثر – أقل- أفضل ....الخ).

أ –إحالة ذات مدى قريب: و تعمل في مستوى الجملة الواحدة،"حيث تربط العنصر الإحالي الجملي بمفسره المتواجد في الجمل نفسها و بحيث لا توجد فواصل تركيبية جملية" (الزناد أ :1993م،124).

مثل قول الشاعرة "فدوى طوقان" في قصيدتها "أنا راحل":

" نجمان موهوبان كم نشدا فراديس اللقاء عبثا
و عاد كلاهما يطفو ،يدور بلا رجاء متغربا حيران ،
يسفح ضوءها عبر الخواء ،
و الدهر و الأبعاد بينهما
و جلاد القضاء."(طوقان ف : 1978م، 257).

و الضمير في السطر الشعري الأول و هو (ألف المثنى) يعود إلى النجمين الموهوبين،و نرى أن الإحالة وقعت في الجملة ذاتها، بمعنى أن المدى الفاصل ما بين العنصر الإحالي (الضمير) و مفسره (النجمان) قصير،و بالتالي سميت هذه الإحالة بذات المدى القريب.

ب- إحالة ذات مدى بعيد و هي تعمل ما بين الجملة المتصلة أو الجمل المتباعدة في جسد النص، فهي إحالة " تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل.(الزناد أ :1993 م ،124)و هناك إمكانية لتصنيف الإحالة حسب الظرفية إلى الزمنية (أمس – الآن – غدا) أو المكانية (هنا – هناك) فالظرف في هذه الحالات يحيل على زمان أو مكان و بالتالي يسهم في نسج خيوط النص... و من النص السابق نلاحظ أن الضمير (هما) في السطر الشعري الأخير يحيل إلى مفسره

(النجمان) الموجود في السطر الشعري الأول،و لما كان الفاصل ما بين العنصر الإحالي،و مفسره بعيدا سميت هذه الإحالة ذات مدى بعيد، و تتميز في أن لها فعالية أكثر في مساحة النص ككل، حيث و كما لاحظنا في المثال قد تم الربط ما بين السطر الشعري الأول و السطر ما قبل الأخير، و هذا ما يتّج صدر المحلل النصي للعمل.

2- الإحالة المقامية و هي الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص و لكن السياق من شأنه أن يدلنا عليه ويسميه (دي بو جراند) " الإضمار" لمرجع متصيد و هو الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقا"(دي بوجراند ر &1998م، 301).

و نمثل لذلك بقول الشاعرة "فدوى طوقان" :

"الريح تنقل اللقاح و أرضنا تهزنا في الليل
رعشة المخاض
و يقنع الجلاد نفسه
بقصة العجز، بقصة الحطام
و الأنقاض .(طوقان ف: 1978م، 547)

فالضمير المتواجد في السطر الشعري الثاني (نا) يحيل إلى شيء خارج النص، يمنحنا السياق الدلالي للمقطع كنهه ،و هذا ما يعرف بالإحالة المقامية ، و من خلال

سير معاني القصيدة نكتشف أن ما يفسر الضمير هو أبناء فلسطين الفدائيين ،و هذا الأمر له دلالته الربطية و التماسكية.

و في الختام نخلص إلى أن العلاقة ما بين نحو النص و نحو الجملة قوية و متشابكة و متكاملة، و قد عرف" نحو النص" بعض التحرر و لم يتقيد بضوابط محددة " حيث وجدت حرية كبيرة في صنع المعايير و الضوابط و القواعد و لهذا و جد خلاف كبير بين نحاة النص و تعددت اتجاهات التحليل النصي".(بحيري:ح:1997م،141). و لم يمنعه ذلك من الارتكاز على نحو الجملة باعتباره يخضع لمعايير و ضوابط صارمة، فليس لنحو النص أن يلغي نحو الجملة، فما يزال هذا الأخير شاغلا لحيز هام في التحليل النحوي النصي، حيث يمثل المعنى الجملي ركيزة أساس للمعنى النصي ، فلا يمكن لأحد أن يلغي الآخر لأنهما اتجاهان متكاملان يصبان في علم واحد و هو النحو.

قائمة المراجع المعتمدة:

1- إبراهيم الفقي(صبحي)- 2000 ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق- ط01 - القاهرة- مصر ،دار قباء.

2- أبو المكارم(علي)- 1968الظواهر اللغوية في التراث النحوي- ط01 - القاهرة- مصر - القاهرة الحديثة للطباعة.

3- بحيرى(سعيد حسن)- 1997 ،علم لغة النص- ط01 - القاهرة- مصر- الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.

4- خليل(إبراهيم)- 1997 ،الأسلوبية و نظرية النص - ط01 - بيروت- لبنان- المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

5- خطابي(محمد)- 1991 - لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)- - ط01- بيروت- لبنان المركز الثقافي العربي.

6- الزناد(الأزهر)- 1993 - نسيج النص(بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)- ط01 - بيروت- لبنان- المركز الثقافي العربي

7- طوقان(فدوى) - 1978 - ديوان فدوى طوقان- ط01- - بيروت- لبنان- دار العودة.

8- شبلنر(برند)- 1988 - علم اللغة و الدراسات الأدبية- ط01 - ت:محمود جاد الرب- القاهرة- مصر- الدار الفنية .

9- عفيفي(أحمد)- 2001- نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)- ط01 - القاهرة- مصر- مكتبة زهراء الشرق.

10- عبد الراضي(أحمد محمد) - 2008 - نحو النص بين الأصالة و الحداثة - ط01- القاهرة- مصر مكتبة الثقافة الدينية.

11- عبد اللطيف(حماسة) - 1993 - منهج في التحليل النصي للقصيدة- حولية الجامعة الإسلامية العالمية- إسلام أباد- باكستان ع01- (23- 45).

12- فضل(صلاح)- 1996- بلاغة الخطاب و علم النص- ط01- القاهرة- مصر- الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.

13- فيهفجر(ديتر)وفولفجانج(هاينه مان)- 2004 - مدخل إلى علم لغة النص- ط01 - ت سعيد حسن بحيرى- القاهرة- مصر- مكتبة زهراء الشرق.

14- نيك(فان)- 2001- علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات)- ط01 - ت حسن بحيرى- القاهرة- مصر- مكتبة زهراء الشرق.

15- دي بوجراند(روبرت)- 1998 - النص و الخطاب و الإجراء- ط01 - ت تمام حسان- القاهرة- مصر - عالم الكتب.

16- لاينز(جون)- 1987 - اللغة و المعنى و السياق- ط01- ت عباس صادق الوهاب- بغداد- العراق- دار الشؤون الثقافية.

17- مصلوح(سعد)- 1991- نحو أجرومية لنص شعري- مجلة فصول- القاهرة- مصر- المجلد العاشر- العدد الأول و الثاني، 13- 37.

18- مصلوح(سعد)- 1990- العربية من نحو الجملة إلى نحو النص- ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت.

19- يول(جورج)وبراون(جيليون)- 1997- تحليل الخطاب- ط01- ت منير التريكي و محمد لطفي الزليطي- المملكة العربية السعودية- جامعة الملك سعود.